

الذخائر ٤٩

الجزء الأول من

# فتوح مصر والمغرب

لابن عبد الحكيم

٢٥٧ هـ : ٨٧١ م

تحقيق  
عبد المنعم عامر



الهيئة العامة للمراكز الثقافية  
GENERAL ORGANIZATION for  
CULTURE CENTERS

# الذخائر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

جمال الغيطاني

مدير التحرير

خيري عبد الجواد

المراسلات : باسم مدير التحرير  
على العنوان التالي : ١٦ شارع أمين سامي - القصر العيني  
القاهرة - رقم بريدي ١٢٥٦١

## موكب النور

تحيا مصر هذه الأيام ذكريات مجيدة، انطبعت  
أثارها، من قديم، في نفوس أفرادها. ففي الوقت الذي  
تنأهب فيه للاحتفال بحلول الألفية الثالثة، لميلاد السيد  
المسيح، تعاصرنا الذكرى التاريخية العطرة بمرور أربعة  
عشر قرناً على دخول الإسلام مصر، الأمر الذي يؤكد  
على الدوام أن مصر إنما تحتضن المسيحية والإسلام  
معاً، في وحدة وطنية فريدة، تستحق التقدير والاحترام.  
ولا يكاد يختلف إثنان حول مدى التأثير العميق الذي  
خلفه الإسلام في ثقافة مصر وحضارتها، وما أسهمت به  
مصر، في المقابل، لاثراء الوعي الإسلامى بين الشعوب  
العربية والإسلامية في شتى مناحى العلم وضرابه.  
ولا يسع الهيئة العامة لقصور الثقافة، في هذه  
المناسبة الإسلامية الرفيعة، إلا أن تبادر بتقديم نخبةٍ  
منتقاةٍ من المؤلفات الثرية، القديمة والحديثة، التي نسعى  
من وراها إلى تأكيد دور مصر التاريخى والريادى بين  
شعوب الأمة الإسلامية، منذ الفتح الإسلامى وحتى  
اللحظة الراهنة، وإلقاء الضوء على الانجاز الحضارى  
الكبير الذى أسهمت به مصر في تعزيز الحضارة العربية  
الإسلامية، في الوقت الذى نهدف فيه إلى ربط القارئ  
المعاصر بتاريخه الأصيل، وتراثه الفريد، وحضارته  
المجيدة.

والله الموفق

د. مصطفى الرزاز

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

يعتبر تاريخ مصر في الأعوام الثلاثين التي سبقت الفتح العربى فى سنة ٦٤١م من أكثر الحقب الزمنية غموضاً فى التاريخ المسطور ، فلا يكاد المؤرخون يجدون أمامهم مؤلفاً كاملاً تستقيم فيه الحقائق التاريخية الصحيحة ، وليس هناك من المصادر ذات القيمة إلا ذلك الشتات المفرق بين الخطوط القبطية وبين أوراق البردى العربية ، وإلا هذا الذى تسجله تلك الكتب العربية التاريخية التى صنفها مؤلفوها بعد الفتح العربى لمصر بمدة طويلة ، وقد اعتمدوا فى تدوينها على رواية الحوادث التاريخية مما هو مكتوب فى المصادر الأولى التى رجعوا إليها ، وكانوا بها عارفين .

ورغم هذه الضالة فإن المؤرخين من العرب ومن غيرهم ، يكادون يتفقون على أن حكومة مصر فى عهد « هرقل » الإمبراطور الرومانى لم يكن لها شأن إلا أن تعيد للحكم الرومانى كيانه ونظامه بعد أن جلا الفرس عن مصر ، وأن سلطان الرومان قد اشتد فى مصر ، وصار جندهم مدائن حصينة فيما بين أسوان فى الجنوب والفرما فى الشمال ، ينتشرون منها فى البلاد إظهاراً لهيبة السلطان وجمعاً للأموال ، ويساعدون فى ذلك أعيان الروم وتجار اليهود الذين كانوا ينافسون القبط منافسة شديدة .

وكانت أمور الدين فى مصر إذ ذاك تمثل أكبر خطر عند الناس من أمور السياسة ، فما كان الاختلاف والتحزب يدور بينهم حول الوطن وحقوقه ، وإنما كانت مناظراتهم العنيفة وخلافهم الشديد على خيالات صورية من فروق دينية دقيقة ، بين مذهب اليعاقبة ، وهم قبط مصر ، وبين مذهب الملاكانيين الذى يعتنقه الإغريق والأوربيون من السكان . ويجمع المؤرخون على أن الحاكم الرومانى قد سار



(د)

في سياسته على سنة القضاء على مذهب اليعاقبة ، وما كان اليعاقبة يرضون إلا بأن يمحوا كل أثر من آثار مذهب للمسكانية .

وقد اشتد اضطهاد القبط أيام ولاية المقوقس « قيرس » اشتدادا عظيما ، واقتن كثير منهم عن دينه بسبب ما نالوه من الظلم وشدة العذاب ، فتحولوا من مذهبهم اليعاقبي إلى مذهب المسكانية ، ووجد البطريق القبطي « بنيامين » مشقة في ذلك ، ورأى ألا ملجأ من العذاب إلا إلى الهرب ، فدبر أمور السكينة قبل أن يغادر ولايتها ، وكان مقره إذ ذاك الإسكندرية ، وجمع إليه القسس والرعية ، وألقى فيهم خطابا يحضهم فيه على أن يثبتوا على عقيدتهم حتى يأتيهم الموت ؛ وكتب إلى أساقفته ، يأمرهم بالهجرة إلى الجبال والصحارى ليتواروا فيها حتى يرفع الله عنهم غضبه ، وقد أنبأهم ، أن البلاد سيحل بها الوبال ، وأنهم سيلقون العنف والظلم عشر سنين ، ثم يرفع الله عنهم .

واستبد بالمقوقس طغيانه وجبروته ، فأمر بتعذيب أخ البطريق بنيامين ، وكان تعذيبه له شديدا ، فقد جاء في كتاب « تاريخ البطريق القبطي إسحق » تأليف أميلنو : « أنه أوقدت المشاعل ، وساطت ناراها على جسده ، فصار الجسد يحترق حتى سأل دهنه من جنيبه على الأرض ؛ ولما لم يترزع عن إيمانه أسبر به المقوقس ، فخلعت أسنانه ، ثم وضم في كيس مملوء من الرمل ، وحمله في البحر حتى صار على قيد سبع غلوات من الشاطئ ، وعرضوا عليه الحياة إذا هو رجع عن دينه وآمن بمذهب المسكانية ؛ فعابوا ذلك ثلاث مرات ، وهو يرفض ؛ فرموا به في البحر ، فمات غرقا .

ولم ينقطع سعي المقوقس وراء « بنيامين » ، وكان سعيه دون جدوى ، فقد كان البطريق متحفظا ، ينتقل من دير إلى دير ، وقد انخلعت عليه قلوب الناس القبط ، فكانوا يقيمون الصلاة من أجله ، ويدعون الله أن يحفظه من مكر الرومان ، وظل البطريق

(هـ)

مخبتنيا على هذا الحال حتى تم للعرب فتح مصر ، فأمنه عمرو بن العاص ، واستدعاه إليه ، وأمر له بأن يقابل بما يليق بمقامه من الترحاب والتشكر .

وقد كان « بنيامين » رجلاً ذاهية جميلة ، تلوح عليه سماء الوقار والجلال ، وكان عذب المنطق في رزانه وتؤدة ، وقد تأثر به عمرو بن العاص ، وقال عنه لأصحابه : « إننى لم أرى يوماً في بلد من البلاد التى فتحتها الله علينا رجلاً مثل هذا بين رجال الدين » .

ويروى بعض المؤرخين ، أن المصريين قد سعوا مرة إلى التخلص من « المقوقس » قيرس الحاكم الرومانى ، فاجتمع قوم منهم في كنيسة « دفاشير » قرب « مريوط » ، وتأمرأوا على قتل هذا الظالم ؛ ولكن سعيهم باء بالفشل ، فقد سمع ضابط رومانى اسمه « أودقيانوس » بأمر الاجتماع ، وكان شديد العداوة للقبط ، فأرسل جنداً من جند الرومان ، وأمرهم أن يذهبوا للمتأمرين فيقتلوه ، وكان ما أمر ، فقتل الجنود بعضاً منهم ، وجرحوا البعض الآخر بسهامهم دون أن يسمعوهم قولاً ، وقضى على المؤامرة ، ونجا قيرس من القتل .

وكان الخلاف الطائفى في الإسكندر ينفأً أعلى أشده ، وكانت العداوة بين طائفتى الملكانية واليعاقبة عداوة عنيفة ، لا تحمد لها نار ، ولا تنهدأ مرة إلا لعمود أشد مما كانت إذا ما هبت عليها ريح من الفتنة ، ورأت الحكومة في ذلك الوقت أن تفرق بين رئيسى المذهبين في مقامهما ، حتى لا يبقى المتنافسان في بلد واحد ، فازدادت الشدائد بالقبط ، وتوالت عليهم المصائب ، وما كان هناك أمل في أن يعود السلام والوفاق بين الطائفتين نلتنازعتين أبداً ، فاشتدت عداوة القبط للرومان وأساطان الدولة الرومانية ، ولدينها جميعاً .

وكانت البلاد كلها تحت قبضة قيرس المتولى أمورها ، يصرفها كيفما شاء ، وكان جيش الرومان يحكم مصر حكماً عنيفاً صارماً ، وأخت جوانب طرق الإسكندرية ،

## (و)

عاصمة البلاد، تتجارب بين الوقت والآخر بأصداء الكتائب البيزنطية التي تحتل المدينة ، وقد وضعت على أسوارها آلات الحرب .

وكانت الإسكندرية يومئذ بلداً من أشق بلدان العالم حكماً، فسكانها أخلاط من الناس ، مغربق وقبط ، وسوريون ويهود ، وعرب وغرباء ، من جميع أنحاء البلاد، وهي ثلاثة أحياء ، حتى المصريين، وحتى اليهود، وحتى الروم ، وتضمها كلها سبع قلاع حصينة، وسبعة خنادق ، ويحترق الاسكندرية طريقان، يمتد أولها من شرق المدينة إلى آخر غربها ، ويشقها الثاني من شمالها إلى أقصى جنوبها ، ويلتقي الطريقان في ميدان فسيح، تحيط به الحدائق ذات القصور المرمرية الجميلة؛ والمدينة فوق هذان تحتها عدد عظيم من الصهاريج العجيبة ، طبقات بعضها فوق بعض ، وفي كل طبقة عدد عظيم من الحجرات الدفينة ، التي تستخدم في خزن الماء الذي يصل إليها في قنوات تجرى من التربة الحلوة ، وقد كانت هذه التربة تشق المدينة في حتى المصريين .

وكان جند الروم في مسالخ مصر ، في الفرما ، وفي أتريب ، وفي نقيوس ، وفي حصن بابلون ، وفي القيوم، وفي وأسوان يروحون ويغدون، مائلين لإنفاذ أوامر قيس المقوقس ، يعسفون بالقبط في مصر السفلى وفي الصعيد ، وينزلون العقاب ، أشد العذاب على من يأبى منهم أن يتخلى عن عقيدته ، أو ينازع قيس في أمره ، ويحبسون الناس اليعاقبة على أن يقيموا كنائس للمساكنانية في كل بلد من بلاد مصر .



وكان سكان مصر في ذلك الوقت يضرعون إلى الله صباح مساء ، يطلبون منه النجاة والخلاص ، وبينما هم كذلك إذ طرقت أسماعهم أنباء الحركة العظيمة التي قادها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب، تحت لواء الإسلام ، فغبت وجوه القبط في مصر إلى الله الواحد القهار ، يرجون منه أن يصير أمر بلادهم إلى أولئك العرب الذي هبوا من ديارهم يدعون إلى المحبة، والسلام، رسالة السماء .

(ز)

ولم يمض على بدء الدعوة المحمدية إلا قليل حتى كان فتح العرب لمصر ،  
وما كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه ! فلقد خرجوا  
من عهد الظلم والعتس إلى عهود من السلام والاطمئنان ، أظلمهم بأنمها ،  
بعد أن أنقذهم العرب من اضطهاد الرومان و بطشهم ، فدخل منهم في الإسلام  
طائفة كبيرة من أهل الرأي والعقل حباً في الإسلام وكرهه للمسيحية المملكانية ،  
بعد ما كان من عصيان أهلها لتعاليم صاحبها ، وكان من القبط طائفة ثانية أسلمت  
طمعاً في المساواة بالمسلمين القاطنين ، فيكون لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ؛ وبقيت  
فئة أخرى علي دين المسيح في أمن واطمئنان ، في أمور دينهم ودنياهم . وقد اعتصم  
القبط والمسلمون في مصر بحبل الله ، يستمطرون رحمته ، ويرجون الصلاح  
لأنفسهم في الدنيا والآخرة على هديه .

\* \* \*

وإن تاريخ فتح العرب لمصر لقصة مثيرة ، تصور معالمها تنازع الخير والشر  
على البقاء بين الإنسان ، وتسجل خطوطها في مراسم التاريخ صفحات منيرة من  
السكافح والفداء ، وقد عني بتسجيلها المؤرخون من قبل ابن عسك الحسك على أنحاء  
في مصفاتهم ، وعلى نحو ما وصلت إليهم روايته من الأخبار ، وتمثل هذه العناية فيما  
كتبه البلاذري (٨٠٦-٨٩٢م) في كتابه فتوح البلدان ، وهو كتاب عني فيه مؤلفه  
بذكر الغروب والغزوات مرتبة حسب الأقطار والأقاليم ، والكتاب أهمية كبرى ، نظراً  
لسمته وغزارة مادته ، وقدم طبع هذا الكتاب في الهند ، وله مختصر مطبوع في القاهرة .

وقد سبق الواقدى (٧٤٧ - ٨٢٣ م) البلاذري في تدوين حوادث الفتح  
العربي في كتابه « فتوح مصر » ، ويزوى بعض المؤرخين الحققين ، أن الكتاب  
الأصلى للواقدى قد ضاع ، ولم يبق منه إلا المقتبسات الكثيرة ، والإشارات التي  
بقيت في كتب المؤرخين ، وأن الكتاب المشهور المطبوع للواقدى ، منسوب إليه  
خطأً ، ولهؤلاء الحققين في دعواهم أدلة كثيرة مقبولة .

## ( ح )

وليس من شك في أن المؤرخين السابقين لمصرى البلاذى والواقدى قد خلفوا كتباً تناولت الفتح العربى لمصر . ولكن هذه الكتب ظلت مجهولة ، ولا بد أنها قد ضاعت مثل ما ضاع غيرها من أمهات المصادر الخطية العربية .

ويعتبر كتاب فتوح مصر والغرب لابن عبد الحكم من أهم المصادر العربية الأولى التى تناولت تاريخ الفتح العربى لمصر ، فقد حوى الكتاب جملة من الحوادث التاريخية فى مجموعات متكاملة ، يتضام بعضها إلى بعض ، فتكون سلسلة متصلة الحلقات من التاريخ العربى فى مصر ، وقد مهد المؤلف لموضوع الكتاب ، فذكر جملة من الأخبار الخاصة بتاريخ مصر قبل الفتح العربى كما تخيلها من القصص الدينى ، وكأرويت له من القاصين ذوى الأخبار ، ولم يقتصر ابن عبد الحكم فى كتابه على ذكر ما يتعلق بفتح مصر بل استمر فى روايته التاريخية ، فتناول فتوح شمال إفريقية زمن عمرو بن العاص ، وزمن الولاة والقواد من بعده ، فجاء الكتاب بهذا كله وافياً لما يحتاجه المؤرخون من معلومات توضح حقائق الخلافات الكبيرة التى تضمنها روايات الكتب عن تفاصيل فتح مصر وشمالى إفريقية .

\* \* \*

وابن عبد الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصرى ، أبو القاسم ، أقدم من وصلت إلينا مؤلفاته من مؤرخى مصر الإسلامية ، وقد اشتهر من بين إخوته بابن عبد الحكم ، ولد حوالى سنة ١٨٧ هجرية ، وتوفى فى القسطنطينية عام ٢٥٧ ( ٨٧١ م ) ، ودفن إلى جانب قبر أبيه بجوار قبر الإمام الشافعى مما إلى القبلة .

وكان أبوه عبد الله للتوفى سنة ٢١٤ ( ٨٣٠ م ) من الفقهاء المحدثين ، وقد ألف فى الفقه والحديث كتباً كثيرة ، وانتهت إليه رئاسة الطائفة المالكية فى مصر بعد موت أشهب ، وروى عن الإمام مالك كتاب الموطأ سماعاً ، وكان

من ذوى المال والرباع ، له جاه عظيم وقدر كبير ، وكان عمله أن يشترك مع القاضى فى تزكية الشهود وتجريمهم وهو أسر ذو خطر فى القضاء ؛ وكان أبناؤه الأربعة من مشاهير الرجال ، فقد كان محمود فقيها ، وكاتباً ، خلف أباه فى رياسة الطائفة المالكية بمصر ، واشتهر الابنان ، عبد الحكم ، وسعد بسمه العلم ، أما عبد الرحمن مؤلف هذا الكتاب فقد كان من أهل الحديث ، عالماً بالتواريخ .

وقد جاء فى كتاب « الديباج المذهب فى معرفة أهل المذهب »<sup>(١)</sup> لقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى اللبني المالكي : « أن عبد الله بن عبد الحكم مولى « عمرة » امرأة من موالى عثمان بن عفان ، يُقال إنه مولى رافع مولى عثمان ؛ وكان عبد الله رجلاً صالحاً ، ثقة فقيهاً ، صدوقاً ، عاقلًا ، حكيمًا ، وكان صديقاً للإمام الشافعى ، وعليه نزل الشافعى إذ جاء مصر ، فأكرم مثواه وبلغ الغاية فى بره ، وعنده مات ، وقد روى عبد الله عن الشافعى ، وكتب كتبه لنفسه ولابنه محمد ، وله فى هذا تأليف كثيرة .

وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد ، وقد اشتهرت الأسرة فى مصر وفى خارجها بمعرفة علوم الحديث والفقه ، ومات الأب وعمره حوالى الستين عاماً ، وبعد موته بثلاثة عشر عاماً أصيبت الأسرة بنسكية عظيمة أثناء الحنة التى جديدها الخليفة العباسى ، الواثق بالله : فتنة خلق القرآن ، فقد رفض الأبناء الاعتراف بمذهب خلق القرآن ، كما رفضه غيرهم من المستمسكين بالأصول ، وكان جزاؤهم جميعاً السجن والعذاب ، ومات من أبناء عبد الله ابنه عبد الحكم فى سجن يزيد التركى بعد عذابه بالسوط ، والتدخين عليه بالسكبريت .

ومن قبل هذا الوقت صدمت الأسرة بكارثة أخرى عام ١٣٧ هـ انتهى معها نفوذها ، فقد حدث أن صادرت الحكومة جانبها كبيراً من أملاك على بن

## (٥)

عبد العزيز الجداوى الذى كان واليا وقائداً عسكرياً على مصر ، وجاءت رسل الخليفة إلى مصر تطلب مالا لخزانة الدولة فلم يجدوا مالا ، وكان بنو عبد الله بن عبد الحكم قد تولوا الإدارة المؤقتة لأُملاك عدد من رجالات مصر البارزين ، فالتحذت الإجراءات القضائية ضدهم ، وطالبتهم الدولة بدفع ٤٠٠٠٠ دينار ، فلما أن عجزوا عن الدفع صبادرت الحكومة أموالهم وأملأهم ، وألقت بهم في السجون مدة ، ثم قررت الإفراج منهم ، وأعيد للأسرة ما كانت تملكه قانوناً ، فغضب أن شرف البيت وسمعته قد انتهيا<sup>(١)</sup> إلى حين .

والذى يهمنا من الأسرة وحديثها هو إلقاء ضوء على سيرة المؤلف عبد الرحمن ابن عبد الحكم في بيئته الخاصة وفي حياته العامة ، كى يستفيد به القارئ على استجلاء منهجه الفكري وطريقته في كتابه فتوح مصر ، هذا المصنف التاريخي الذى سائر فيه ابن عبد الحكم المحدثين في روايتهم الأسانيد ، مخالفاً غيره من المؤرخين فيما اتبعوه من تصنيف ، أمثال البلاذرى المتوفى سنة ١٦٩ هـ ، والطبرى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، وأبى حنيفة الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ، فقد نهج ابن عبد الحكم نهجاً فريداً في كتابة التاريخ المفصل للإسلام من مصادره الكثيرة ، الشفوية والتحريرية .

ولا ريب في أن هدف عبد الرحمن بن عبد الحكم كان جمع المعلومات من مصادرها المختلفة ، وترتيبها في مجموعات كبيرة وفق أهميتها ، وكانت مصادر ابن عبد الحكم في هذا تعتمد إلى حد كبير على الروايات الشفوية التى يتناقلها الرواة ، وقد كانوا كثرة كبيرة في مصر ، وعلى المعلومات المكتوبة التى تكون الأصول الأولى للتاريخ الإسلامى ، وتتمثل هذه المعلومات في مخطوطات يحيى بن عبد الله بن بكير ، وفيما كتبه الواقدي ، وابن لهيعة اللذين توفيا قبل مولد المؤلف .

---

(١) راجع كتاب الولاة والقضاة للسكندى .

## (ك)

ولقد اتبع المؤلف في كتابه بصفة عامة ذكر الرواية وإسنادها السكامل دون تعرض إلى مناقشة مصادرها الشفوية ، فإن المادة التاريخية التي اعتمد عليها ابن عبد الحكم كثيرة في حجمها ، وهي مختلفة في تفاصيل أنواعها ، وقد شملت عدداً كبيراً من القصص الشائع والأساطير ، وبعضها مكتوب ، وبعضها شفوي ، وإن ما كتب منها لا يستند على تحقيق علمي ، وقد لعبت هذه الكتابات دوراً هاماً في التدوين التاريخي القديم ، كما قامت الروايات الشفوية بتصوير التعبيرات المختلفة ، والروايات التي كانت منشورة في نهاية القرن الثاني من الهجرة ، وقد تأثر ابن عبد الحكم بكل هذا ، ففى بجمع المادة الكثيرة ، ولم يقيع طريقة النقد العلمي في سلسلة الروايات ذات الأهمية الكبرى ، التي تستحق المتابعة لجمع الحقائق المطلوبة في استكمال البحوث العلمية .

ويرى بعض المحققين أن غالب التواريخ التي وردت في كتاب فتوح مصر مأخوذة مما كتبه الليث بن سعد ، وما دونه يزيد بن أبي حبيب المتوفى سنة ١٨٠هـ ، وقد ذكرها ابن عبد الحكم في كتابه كثيراً ، وسيجد القارئ في الكتاب ، أن ابن عبد الحكم قد اعتمد على عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩هـ في التاريخ للحوادث ، كما اعتمد على ابن لهيعة في ذكر الأحاديث ، وقد تكرر ذكر اسمي يحيى بن أيوب المتوفى سنة ١٧٣هـ ، وخالد بن حميد المتوفى سنة ١٩٩هـ ، كثيراً في الكتاب رغم أن الرواية المنقولة عنهما والتي استخدمها المؤلف قد جمعها خالد بن نجيح ، وانتفع بها عثمان بن صالح ، وهو مصدر مصري يستطيع أن يعطى من ذاكرته أكبر رواية تاريخية ، وقد كان له فضل كبير في التأريخ لفتوح العرب في شمال إفريقيا وأسبانيا .

وهناك مصادر أخرى معروفة في الرواية اقتبس منها المؤلف جزءاً كبيراً من مادته التاريخية ، وقد ذكر السكندى من هؤلاء ، أسعد بن موسى المتوفى سنة



## (ل)

٢١٤ هـ، وعبد الله بن صالح المتوفى سنة ٨٢١٣، وهو أمين سر الليث بن سعد ،  
والنضر بن عبد الجبار المتوفى سنة ٨٢١٩، وقد كان أمين سر في وقت ما .

ومن الرواة المعروفين الذين لم يذكرهم ابن عبد الحكم ويعتقد السكندى  
أنه قد رجع إلى مؤلفاتهم في كتابه فتوح مصر عبد الله بن المبارك المتوفى سنة  
١٨٩ هـ، وسعيد بن أبي مريم المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، وسعيد بن كثير بن غفير المتوفى  
سنة ٢٢٦ هـ، وعبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ هـ .

وإذا كانت غناية ابن عبد الحكم بذكر الأسانيد قد شاعت في كثير من  
أجزاء كتابه فإنه لم يذكرها كثيرا في الفصل الخاص بالخطوط، وذلك لأن المعلومات  
التي جمعها كانت من الروايات الشائعة بين أهل القسطنطينة بالإضافة إلى المشاهد  
الخاصة التي لدى المؤلف ، وإن جانباً كثيراً من هذه المادة الهامة المتيعة كان  
معروفا أيام المؤلف عندما كانت القسطنطينة مدينة محتفظة بمظاهر النصف الأول من  
القرن الثالث الهجري .

وعلا شك فيه أن الرواية والأسانيد التي بنى عليها ابن عبد الحكم  
كتاب « فتوح مصر » قد سارت إلى حد كبير الفن القصصي الذي كان يتبعه  
القاصون من العلماء في المساجد والجامع ، وبخاصة بعد أن عنيت الدولة بهذا  
النوع من التحدث، وجعلت للحكاية في الأفطار الإسلامية وظائف رسمية ، يختار  
لها خبراء التاريخ من ذوى الدراية بأحوال العرب والمسلمين ، والذين تجرأ عليهم  
الدولة واتب سخية .

وقد كان لهذه الوظائف أثرها الكبير في الحياة السياسية للدولة، وفي المكانة المعاشية،  
والاجتماعية ، والحربية ، لبطون العرب وقبائلهم في البلاد التي صاروا إليها فاتحين ،  
ولعبت القصة التاريخية دوراً هاماً في التمسك بالحياة الثقافية، ونشر الوعي القومي بين  
الناس، وكان أثرها بين العرب والمسلمين كأثر الشعر في العصر الجاهلي بين القبائل العربية،

يرفع الشاعر به من يشاء ، ويحط به من قدر من يريد عن طريق الرواية وذويع ما ثور الأقوال . ولا عجب بعد هذا أن يتحرى ابن عبد الحكم أسانيد فيما يروي به من أخبار عن الدور الذي قام به العرب في نشر دعوتهم والتبكين لرسالتهم ، حتى يكون كتابه فصل القول فيما يقصه العلماء على الناس في المساجد والجامع ، وفقاً لما اعتادته الأذان العربية في سماع الروايات ، هذا إلى أن ابن عبد الحكم يحدث قد غلبت عليه طريقة المحدثين ، فتتبع الرواية بأسانيدها ، وأعادها في أشكالها التي حفظت بها في ذواكر الناس تأكيداً لها ، وتمديلاً لرواياتها ، وإن هذا المنهج ليظهر واضحاً فيما ذكره ابن عبد الحكم عن عدد من الروايات غير الموثوق بها ، التي يكثر حولها الجدل بين الناس ، وقد عرضها ابن عبد الحكم على هذه الأشكال المختلفة من الرواية في حرص على بيان رواياتها ، وأمانة منه في النقل كما يحرص المؤلفون في العصور الحديثة على بيان مصادر معلوماتهم من الكتب التي يرجعون إليها .

وإن كتاب « فتوح مصر والغرب » لابن عبد الحكم أقدم مصدر من المصادر العربية في تاريخ فتح المسلمين لمصر وشمال إفريقيا ، وهو أهم بيان لعمارات العرب وخططهم في الفسطاط والإسكندرية والجيزة ، وغيرها من البلاد المصرية .

\* \* \*

وقد اهتم المؤرخون العرب القدامى بكتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم اهتماماً كبيراً ، واعتبروه مصدراً أول لتواريخهم التي تناولوا فيها النشاط العربي في البلاد التي خضعت لحكم العرب ، في إفريقيا ، وروى عن ابن عبد الحكم من جاء بعده من مؤرخي مصر الإسلامية ، كالكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، وابن زولاق المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، والقضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ، وابن دقاق المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ، والمقرئ المتوفى سنة ٨٢٥ هـ . وأبي الحسن المتوفى سنة

٥٨٧٤ ، والسيوطي المتوفى سنة ٥٩١٠ ، وابن إياس المتوفى سنة ٥٩٣٠ ؛ وقد اعتمد المؤرخون من الأوربيين على كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم اعتماداً واضحاً فيما دونوه في كتبهم عن الزحف العربي ، وانتشار القومية العربية في الأقطار والبلاد المختلفة في آسيا الغربية وفي شمال إفريقيا .

وتفقس المادة التاريخية في السكتاب إلى سبعة أجزاء :

١ - الجزء الأول ، ويبحث في فضائل مصر ، وصفتها ، وتاريخها منذ القدم إلى دخول الإسلام فيها وفتح المسلمين لها ، ودور بنى إسرائيل في تاريخها ، ونشأة مدينة الإسكندرية ، وذكر الصراع الفارسي والبيزنطي للسيطرة على مصر .

ويحوى هذا الجزء من السكتاب كثيراً من الأساطير التي لا ترقى إلى مرتبة الحقائق التاريخية ، بل إنها في كثير من موضوعاتها تنزع إلى الميثولوجيا التي تتوارثها الأجيال . وتناقضها الشفاه ، فتزداد بعدا عن الحقائق العلمية ومجافة للتاريخ الصحيح ، وأمثلة هذا كثيرة في السكتاب ، مثل حكاية أولاد نوح عليه السلام وأبنائهم ، وأسماء هؤلاء الأبناء الذين سميت بهم بلاد مصر وقراها ، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر والسحرة من أهلها ، وحديث الملكة العجوز « دلوكة » ، وتاريخ الفرس والروم في مصر ، ونبا ذى القرنين المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير هذا من الروايات التي لا تحتمل نقداً علمياً لكثرة ما فيها من خرافة واصطناع .

٢ - الجزء الثاني ، وفيه يعالج ابن عبد الحكم الفتح الإسلامي لمصر تحت قيادة عمرو بن العاص في تفصيل صحيح ووضوح تام :

(س)

٣ - الجزء الثالث ، وله أهمية خاصة ، فقد عرض فيه ابن عبد الحكم الخطط والرباع التي أقامها الفاتحون في القساطر وفي الجزيرة ، كما شرح النظام الضرائبي من الخراج والجزية وما فرض على الإسكندرية من أخذ<sup>(١)</sup> في بسط مفيد لدارسي النواحي الاقتصادية والعمرانية للدول العربية في مصر .

٤ - الجزء الرابع : وفيه يصف ابن عبد الحكم إدارة مصر تحت إمارة عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد ، ويذكر فتح الفيوم ، وبرقة ، وطرابلس بقيادة عمرو بن العاص ، والنوبة وشمال إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد ، وثورة الإسكندرية ، وفتحها الثاني ، ومسائل أخرى مفصلة تبين فضائل مصر تحت الحكم الإسلامي ، وهذا الجزء ينتهي بوفاة عمرو بن العاص .

٥ - الجزء الخامس ، وفيه بيان فتح شمال إفريقية وأسابانيا إلى سنة ٢٠٠ هـ .

٦ - الجزء السادس ، وهو تاريخ مختصر لقضاء مصر حتى سنة ٢٤٦ هـ .

قبل وفاة المؤلف بعشر سنوات .

٧ - الجزء السابع ، وهو أكبر الأجزاء وأوسعها ، ويشمل هذا الجزء مختارات عديدة من الأحاديث والروايات المنسوبة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وفدوا على مصر ، وقد ذكر ابن عبد الحكم في هذا الجزء اثنين وخمسين صحابيا ، بدأهم بعمر بن العاص وابنه عبد الله .

وتقسيم الكتاب إلى هذه الأجزاء السبعة من عمل ابن عبد الحكم نفسه ، ولقد احتفظ بهذا التقسيم من بعده من خلفه ، ويدل على هذا اتفاق المخطوطات المتعددة للكتاب على تجزئة واحدة رغم تغاير أزمان نسخها ، واتفاق هذه المخطوطات أيضا على إيراد عنوان فصل « فتح بلاد النوبة » في غير مكانه وقد حدث هذا إهمالا من المؤلف أو خطأ وقع فيه ناسخ المخطوطة الأولى .

(١) جمع أخنة وهي الأخوذ .

## (ع)

ويرجع اهتمام عبد الرحمن بن عبد الحكم بذكر قضاة مصر في كتابه إلى صلة أسرته بهذا الفرع من الإدارة الإسلامية ، فقد كان والده يعمل مع القضاة كميز للشهود ، وكان أخوته ، وبخاصة محمد ، من الفقهاء المعروفين ، وقد غلبت على ابن عبد الحكم صفة المحدثين ، رواة الحديث ، فأفرد الجزء السابع من كتابه لذكر الأحاديث التي حفظت في مصر عن الصحابة الذين دخلوها ، وقد اختارها نظاما خاصا اتبعه في كتابته ، وإن مصدره في هذا يكاد يكون مقصورا على ابن أبي عمير الذي خلط في آخر عمره ، وإن ما ذكره ابن عبد الحكم عن الرواة الآخرين فأمر مشكوك فيه ، وإن كان في مجموعه ذا فائدة هامة في دراسات أخرى .

وقد ذكر المؤلف أحاديث عدد غير قليل من هؤلاء الرواة في الفصول السابقة من كتابه في مناسبات عديدة ، وأشار في كثير منها إلى ذلك في هامش كتابه ، ولم يفته أن يتفقد أى خبير في الأحاديث برواية ما ذكره عنه في أساليب أخرى ، ولكن يفقد هذا لا يمكن معه اعتبار ابن عبد الحكم ضمن المؤرخين ذوى القدرة العلمية في معالجة حوادث التاريخ الذين تتوافر لديهم أساليب النقد العلمى ، وإن كان كتابه رغم هذا يعتبر نقطة البدء في كتابة عدد من كتب تاريخ مصر التي لها أهميتها ، كأندلسنا طريقة جمع الكتاب على أن مؤلفه كان بارعا في جمع الأخبار .



ولقد عنى المستشرقون عناية كثيرة بنشر كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وقد سبقَتْ جهودهم في هذا الصدد جهود المعنيين بنشر المخطوطات من العرب والمسلمين ، وتمثل هذه العناية فيما نشره من بعض أجزاء الكتاب كل من إيفالد Ewald ، ودى سلاين de Slane ، وكارل Karle ، وجونس Jonse ، ولافت La Fuente ، وهنرى ماسيه H. Massé الذى طبع الجزء الأول من الكتاب في سنة ١٩١٤ م .

وفي سنة ١٩٢٠ نشر المستشرق تشارلس . س . تورى Charles c. Torrey كتاب فتوح مصر بمدينة ليدن .

## (ف)

ويبدو أن خلو المكتبات العربية العامة والخاصة من النسخ الخطية للكتاب كان من أهم العوامل التي قعدت بالمؤرخين العرب عن معالجة هذا النص الهام، وأن الاستعمار الثقافي الذي سيطر على مصر إبان الحكم العثماني، وفي عهد الحملة الفرنسية قد جهد في نقل جملة من المخطوطات العربية الهامة إلى أوروبا عقب انتهاء الحملة الفرنسية على مصر في سنة ١٨٠١ م، فقلّت المصادر العربية الأولى التي تهتم الباحثين، وقد كان من بينها هذا الكتاب الذي توجد منه نسخ خطية في المكتبات الأوروبية على النحو التالي :

١ - نسخة المتحف البريطاني بلندن، المسجلة تحت رقم ٥٢٠ (شقيقات ٦) وهي نسخة تخلو من تاريخ نسخها، ولكنها تحمل كإدراج «توري» عدة براهين تدل على أنها قد كتبت في أواخر القرن السادس الهجري، ومن هذه البراهين العبارة التي وردت في نهاية المخطوطة، وتشير إلى أنها قد قورنت على مخطوطة الحافظ محمد بن عمر بن يوسف الأنصاري، الذي قام بقراءة المخطوطة كلها أمام الشيخ أبي القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٥٩٨ هـ.

ب - مخطوطة مسجلة تحت رقم ١٨٨٦ بمكتبة باريس الأهلية، وتاريخ نسخها كما هو واضح في نهاية الجزء الأول منها «ثلاثة أيام قبل نهاية شهر ذي الحجة من عام ٥٨٥ هـ (١١٩٠ م). وتتماز هذه المخطوطة بكثرة التصويبات المكتوبة على هامشها نتيجة للأخطاء العديدة التي وقع فيها الناسخ.

ج - مخطوطة باريس الثانية، وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية تحت رقم ١٦٨٧، وتاريخ هذه المخطوطة يرجع إلى سنة ٧٧١ هـ (١٣٧٥ م). وقد قام بنسخ هذه المخطوطة كما جاء في نهايتها الناسخ أحمد بن محمد بن إبراهيم الأزهرى الحنفي، وماتت هذه النسخة مملوءة بالأخطاء التي تجعل بعض الكلام لا معنى له، رغم أنها مكتوبة بخط جميل.

## (ص)

د - مخطوطة ليدن، رقم ٩٦٢ المودعة خزانة مكتبة الأكاديمية ، وهي موصوفة رصفاً تاماً في فهرس المخطوطات العربية الخاص بمكتبة الأكاديمية المطبوع سنة ١٧٨٨ م ، وهذه المخطوطة ناقصة من الأول ، وتخلو من أسماء الرواة الذين نقل عنهم المؤلف ، وتحمل الصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة تاريخ نسخها وهو سنة ٩٧٣ هـ ( ١٥٦٦ م ) .

هـ - مخطوطة أخرى في مكتبة جامعة جوتنجن ، وهي جزء من الكتاب منقول عن مخطوطتي المكتبة الأهلية بباريس .

وقد اعتمد المستشرق تورى Torrey في نشره كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم على مخطوطة المتحف البريطاني ، نظراً إلى أنها أقدم المخطوطات وأحسنها ؛ ويعتبر عمل «تورى» من الأعمال المتكاملة الأولى التي تعطى صورة واضحة عن جملة المخطوطات التي رجع إليها في نشره الكتاب ، وهي أربع النسخ الأولى ، فقد تضمنت هوامش كتابه الذي نشره الفوارق الموجودة بين هذه النسخ بما يمكن معه الاعتماد على بيانه الواضح في تكوين فكرة سليمة عن هذه المخطوطات .

\* \* \*

ولقد حصل معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية على ميكروفيلم Microfilm لكتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ، مأخوذ عن نسخة أخرى ، موجودة بمكتبة فآتح بالآستانة ، عليها وقف السلطان محمود خان ، بخط درويش مصطفي مفتش أوقاف الحرمين ، وهذا الميكروفيلم يعتبر النسخة الوحيدة الموجودة في مصر .

ولما كان كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم هو المرجع الأول للمصادر العربية ، التي تسجل حركة نمو القومية العربية في إفريقية ، ويتضح منه مدى ارتكاز النشاط العربي لهذه القومية في مصر ، فقد حرصت على أنشر هذا

( ظ )

الميكرو فيلم نشر أعلياً ، أعنى فيه بتوضيح ما يحتاج إليه رجال التاريخ والقراء ، من بيانات ومعلومات تظهر معالم الكتاب وتساعد على تبين دقائقه وإيضاح ما غرض من مصطلحاته ؛ وبخاصة وأن البيئة المعاصرة قد تأثرت إلى حد ما بكثير من المؤثرات السياسية والطبوغرافية ، فتغيرت أسماء بعض البلاد ، وزالت أما كن بعضها الآخر ، وأصبح الربط بين ما ضى التاريخ العربى فى مصر وبين حاضره ضرورة من ضرورات توطيد الثقافة التاريخية القومية فى العقل العربى العام .

وإن المستشرقين الذين سبقوا فى نشر الكتاب أوائل هذا القرن لم يعنوا كثيراً — كشأنهم فيما يحققون من مخطوطات — بمعالجة الناحية الجغرافية التى يحتاج إليها دارس الكتاب التاريخى ، فقد كانت جهودهم كلها مقصورة على تدوين الفوارق الكتابية بين النسخ الخطية المختلفة . ولهذا فقد حرصت على أن أقوم بنشر الكتاب فى صورة جديدة ، فأقدمه للقارئ العربى ، فى سهولة ويسر ، حتى يستبين منه حقائق الحياة الأولى للعرب فى مصر ، ويجد فيه المغارس الأصلية للقومية العربية . فنستطيع جميعاً أن نقيم حياتنا فى عصر نهضتنا الحديثة على الأسس الهادفة لبناء القضايا العربية التى تقوم على أصل واحد من المحبة والسلام .

\* \* \*

وإن هذه الصورة التى أقوم بنشرها تضيف إلى جملة مخطوطات كتاب فتوح مصر نسخة قد جهل أمرها المستشرقون ، وهى تعتبر أما للنسخ التى سبقت معرفتها أو دراستها ؛ فقد دونت فى أعلى صحيفة العنوان سماع ودعاء تاريخه سنة ١٥٣١هـ ، وشملت هذه الصحيفة أيضاً سماعاً آخر للشيخ الأنصارى المتوفى سنة ١٥٩٨هـ . ومن خصائص هذه النسخة أنها مكتوبة بخط واحد بقلم النسخ المعتاد ، وقد اتبع ناسخها طريقة الإملاء القديمة التى تقوم على تسجيل الهمزات المتوسطة بعد الألفات ، وحذف ألف المد المتوسطة ، مثل الكلمات ( بقراءة ، وثلاثين ، ومائة



( د )

ومعاوية ) فإنها مكتوبة في الأصل ( بقرائية ، وثلاثين ، ومائة ، ومعوية ) ، وتمتاز هذه النسخة بأن الناسج يعتمد دائماً إلى اتباع النحت اللفظي في كتابة الجمل الدعائية مثل جماتي ( صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنه ) فإنها مكتوبة في الأصل ( صلعم ، ورضه ) .

وقد كتبت عناوين الفصول في الصورة بحبر يخالف الحبر الذي كتب به المتن في لونه ، وتحتوى هوامش الصفحات بعض الإضافات القليلة التي كتبت بأقلام أخرى ، ولعلها أقلام بعض القراء من أولئك الذين ساروا هذه المخطوطة ، وهذه الإضافات تكثر في الجزء الخاص بالقضاء في مصر .

واسم الكتاب كما هو واضح على صحيفة العنوان « كتاب فتوح مصر والمغرب » .

تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحسك القرشي .

رواية أبي القاسم علي بن الحسن بن خاف بن قديد الأزدى عنه .

رواية أبي بكر محمد بن أحمد بن الفرع القهاج عنه .

رواية أبي الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال عنه .

رواية أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني إجازة عنه .

رواية أبي القاسم هبة الله علي بن سعود البواصيري عنه .

سماع لأبي الميمون عبد الوهاب بن عتيق بن هبة الله بن وردان المقرئ ، ولولده أبي القاسم ، هبة الله .

والذي تجب الإشارة إليه أن ابن قديد لم يكن تلميذاً لابن عبد الحسك ، ولم يثبت أنه قد نقل عنه رواية شفوية ، فلم تتعرض كتب التراجم لهذا بشيء فيها ، ولذا فإنه يبدو أن دور ابن قديد في الرواية لا يعدو دور الناسج المخطوط ابن عبد الحسك وزيادته بعض الملحوظات في الهوامش ، ويدل على هذا قول في

## (ش)

الكتاب منسوب إلى عبد الرحمن بن عبد الحكم عن أبي الأسود النضر بن عبد الجبار ، يرجع وقته تاريخياً إلى سنة ٢٣٧هـ عندما كان ابن قديد في الثامنة من عمره ، مما لا يستقيم معه أن يكون ابن قديد راوية في مثل هذا العمر .

والمعقول في رأي أن يكون بعض مريدي ابن عبد الحكم الذين عاشوا في جيله قد حازوا مخطوطة ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ولغرب وأخبارها ، وظلت هذه المخطوطة محفوظة عندهم بعد مأساة أسرة ابن عبد الحكم حتى حصل ابن قديد على نسخة منها بعد وفاة المؤلف . أو أنه ربما كانت النسخة التي حصل عليها ابن قديد من عمل واحد من تلاميذ ابن عبد الحكم ، ثم نقلت هذه النسخة إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن الفرج القحاح ، وهكذا تداول الرواة النقل جيلاً بعد جيل . وقد لقيت المخطوطة عناية الناسخين ، فكان منها عدة مخطوطات شاعت في البلاد العربية والإسلامية ، ثم نقلت ضمن الآثار الثقافية التي عنى الأوربيون بنقلها المكتبات بلادهم .

وأياً ما كان الاختلاف بين النسخ فإنه لا يعدو أن يكون خلافاً شكلياً لا يمس جوهر الكتاب ولا حوادث التاريخ التي ذكرها ابن عبد الحكم في أصولها أو في فروعها ، وما كان تعدد الروايات للخبر الواحد إلا توضيحاً لقوارق لفظية قد تكون النقط ، مثل جريان وحرثان ، أو غيره مثل الذكر أو الركن ، والمطبوع والمنسوج ، وغيرها مما يهتم به أمثال ابن عبد الحكم من المحدثين الرواة . وهذه المحافظة على الرواية في أشكالها تفسر لنا إلى حد بعيد ، كيف أن ابن عبد الحكم لم يحاول تنقيح كتابه من بعض الروايات التي تضمنها الكتاب ، ومثل حديث أبي مريم عن العطف ، وحكاية جنس البربر من النساء ذوات الثدي الواحد ، وغيرها مما لا يدخل في حكم المعقول ؛ ولعل ابن الحكم أراد أن يقدم للمؤرخين من بعده مواد مختلفة من الروايات ، يقومون بنقدها ودراستها ، ونشرها في الأسلوب العلمي الصحيح .

## ( ت )

وإنه ليهمنى استكمالاً لفائدة الباحث فى كتاب «فتوح مصر لإبن عبدالحكم» أن أضع أمام الدارس سجلاً زمنياً لتسلسل الحوادث التاريخية الهامة فى أوقاتها، تستبين فيه أزمنتها، إذ أنها قد تاهت فى ذلك الخضم الزاخر من الروايات التى ساقها ابن عبدالحكم فى مصنفه، وقد اكتفيت بذكر مايقابلها فى التاريخ الميلادى بعد مقارنتها بما جاء فى كتب التواريخ الأخرى التى عرضت لتسجيل الفتح العربى لمصر.

وهاهى ذى :

· (١) ١٢ من ديسمبر سنة ٦٣٦، تاريخ وصول جيش عمرو بن العاص إلى العريش .

(٢) ٢٠ من يناير سنة ٦٤٠، تاريخ فتح القرما .

(٣) مايو سنة ٦٤٠، تاريخ غزو إقليم الفيوم .

(٤) ٦ من يونية سنة ٦٤٠، تاريخ وصول المدد العربى لعمرو بن العاص .

(٥) يوليه سنة ٦٤٠، تاريخ موقعة عين شمس .

(٦) سبتمبر سنة ٦٤٠، تاريخ بدء حصار حصن بابليون .

(٧) أكتوبر سنة ٦٤٠، تاريخ توقيع المعاهدة بين قيس المقوقس وبين

عمرو بن العاص، وهى التى رفضها هرقل .

(٨) ٦ من إبريل سنة ٦٤١، تاريخ تسليم حصن بابليون، وهو اليوم

الذى يؤرخ به الفتح العربى لمصر، وقد ذكر الطبرى فى تاريخه، أن فتح الحصن كان فى شهر ربيع الثانى من سنة ٢٠ للهجرة (٢٠ مارس — ١٧ إبريل سنة ٦٥١ م

(٦) ١٣ من مايو سنة ٦٤١، تاريخ فتح نقيوس .

- (١٠) يونية سنة ٦٤١ ، تاريخ بدء الهجوم على الإسكندرية .  
 (١١) ٨ من نوفمبر سنة ٦٤١ ، تاريخ تسليم مدينة الإسكندرية .  
 (١٢) ١٧ من سبتمبر سنة ٦٤٢ ، تاريخ إجلاء الروم عن الإسكندرية .  
 (١٣) أواخر سنة ٦٤٥ ، تاريخ ثورة الإسكندرية بقيادة منويل .  
 (١٤) صيف سنة ٦٤٦ ، تاريخ الفتح العربي الثاني للإسكندرية .

\*\*\*

ولأنه مما يستأهل الذكر فيما نحن بصدد من التسجيل ، أن كتاب ابن عبد الحكم مع وفائته في تناول أخبار الفتح العربي ، فإنه قد أغفل تماماً ذكر شيء ما عن مكتبة الإسكندرية التي لفظ بعض المؤرخين المتأخرين في كلامهم عنها ، فذكروا أن العرب قد أحرقوا هذه المكتبة العظيمة ، ولأن شيئاً من هذا قد حدث فما كان هناك بدءاً من أن يذكره ابن عبد الحكم ، وهو المؤرخ الذي لم يترك في كتابه صغيرة أو كبيرة حول الفتح العربي إلا أحصاها وذكرها ، وإن كان فيها مساواة إلى الحكم العربي .

وتقوم قصة إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية في أصلها على ما رواه أبو الفرج بن العبري في كتابه « مختصر تاريخ الدول » ، من أن رجلاً من قسوس القبط اسمه « حنا الأبروي » قد أخرج من عمله لما نسب إليه من زيف في عقيدته ، فاقبل بعمر بن العاص ، ولقي عنده حظوة .

فلما أنس الرجل من عمرو قال له يوماً .

— لقد رأيت المدينة كلها ، وختمت على ما فيها من التحف ، ولست أطلب إليك شيئاً مما تنتفع به ، بل شيئاً لا نفع له عندك .

فقال له عمرو :

( غ )

— وماذا تعنى بقولك ؟

فقال : أعني بقولى ما فى خزانة الروم من كتب الحكمة .

فقال له عمرو : إن ذلك أمر ليس لى أن أقطع فيه رأيا دون إذن الخليفة .

ثم أرسل عمرو كتابا إلى عمر بن الخطاب يسأله فى الأمر .

فأجابه عمر قائلا : ... وأما ما ذكر من أمر الكتب ، فإن كان ما جاء بها يوافق ما جاء فى كتاب الله فلا حاجة لنا به ، وإذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها .

فلما جاء الكتاب إلى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية لتوقد بها ؛ فزالوا يوقدون بها ستة أشهر .

وهذه القصة الخيالية التى رواها أبو الفرج ( ١٢٢٦ - ١٢٨٦ م ) تتمثل فيها سخافات مستبعدة ينكرها العقل ، وقد أنكرها فعلا عليه بعض المؤرخين المحققين من الأوروبيين ، فذكروا فى أقوالهم المؤيدة بالأسانيد والحقائق :

( ١ ) أن « حنا الأجرى » الذى تذكره القصة قد مات قبل عزوة العرب بزمان طويل ، وأنه كان من أهل الإسكندرية .

( ٢ ) أن مكتبة الإسكندرية لو كانت لا تزال باقية عندما عقد المقوقس صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية لكان من المؤكد أن تنقل هذه الكتب إلى بلاد الروم ، فقد أبيع ذلك فى شرط الصلح الذى يسمح بنقل المتاع والأموال فى مدة الهدنة بين عقد الصلح وبين دخول العرب الإسكندرية ، وقدرها أحد عشر شهرا .

( ٣ ) لو صح أن هذه المكتبة قد أتلفها العرب حقيقة لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم ، كان قريب العهد من الفتح العربى ، وهو « حنا النقيوسى » .

## (ز)

(٤) أن كتاب القرنين الخامس والسادس الميلاديين لا يذكرون شيئا من وجود هذه المكتبة ، وكذلك كتاب أوائل القرن السابع ، وأن قصة إحراق العرب لمكتبة الإسكندرية لم تظهر إلا بعد نيف وخمسةائة عام من وقت حدوثها المزعوم ، فضلا عن أن أبا الفرج راوى القصة مؤرخ متهم ، فهو إسرائيلي الأصل ولد في أرمنية ، ثم تنصر مسيحيا يعقوبيا ، وهو في كتابه « مختصر تاريخ الدول » يتناول الحوادث التاريخية من زاوية له فيها مآرب خاصة ، فيحمل منها ما يشاء ، ويبرز فيها ما يريد وفق هواه الذى يضل سبيله فيه ، فلا يعلم قوله السابق . من قوله اللاحق ، ولا يكاد يميز الصواب منهما ، كما تدل عليه هذه القصة ، قصة إحراق العرب مكتبة الإسكندرية التى انفرد بروايتها في كتابه « مختصر تاريخ الدول » مع أنه لم يذكرها في كتابه « تاريخ الكنائس » الذى كتبه باللغة السريانية ، وكتاب مختصر تاريخ الدول مأخوذ من كتاب تاريخ الكنائس . فلم يبق هناك أدنى شك في أن هذه الأدلة قاطعة بما ذهب إليه مؤرخو الغرب أمثال ( رينودو . Renaueot ، وجبون . Gibbon ) من عدم تصديق قصة أبى الفرج ابن العبرى التى لاتعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ، ليس لها أساس في التاريخ الصحيح ، والتى ينقصها تماما ما عرف عن العرب من عنايتهم الفائقة بالمكتب القديمة التى وقعت في أيديهم ، لحفظوها وترجموها ، وأقاموا عليها الأكاديميات العلمية .



وبعد ، فإن كتاب «فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحسك من المكتب التى خلّفت في نفسى أثرا كبيرا ، يمتزج فيه الإعجاب والتقدير بالرغبة في أن تتماثل المكتبة التاريخية كتابا مرجعا قيما مثله ، وقد نشرته مُفردا القسم التاريخي منه في هذا الجزء الأول من الكتاب ، وزودته بالخرائط والصور الموضحة ،

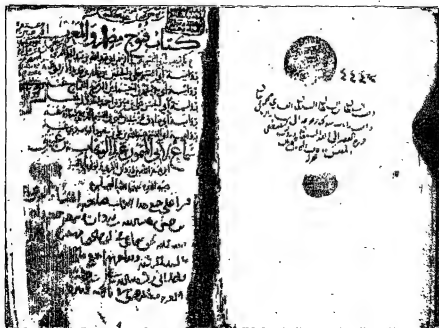
### (ث)

وسيصدر الجزء الثانى منه مضمّنا القسمين الخاصين بالقضاء ، وبالحديثين وأحاديثهم ،  
التي رواها عنهم أهل مصر ، ومذيلا بالفهارس الفنية المختلفة لجملة الكتاب .

وإني أستمع القارى ارتضاءه أنى لم أجد من الهنات المطبعية التي نذت  
عن النظر أثناء مراجعة تجارب الطبع ما يستحق الإبراز في ثبت خاص ، فهي  
قريبة الإدراك ، سهلة الوضوح ؟

المعادي في مايو ١٩٦١

عبد المنعم عامر



صفحة عنوان المخطوط



الصفحتان الأولى والثانية من المخطوط



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا الشيخ الصالح الأديب أمين الدين أبو القاسم سيّد الأهل ، هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي ، المعروف بالبوصيري ، قراءة عليه قال :

أخبرنا الشيخ أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم بن علي بن محمد بن خلف المدني بقراءة الحافظ أبي طاهر ، أحمد بن محمد بن محمد السلفي الأصبهاني وأنا شاهد أسمع بمصر في سنة خمس عشرة وخمسمائة ( هجرية ) قال :

أخبرنا أبو الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال في كتابه سنة خمس وثلاثين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج القتاتح قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي قال ، حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم القرشي المصري قال : حدثنا محمد بن اسماعيل السكعي قال : حدثني أبي عن حرملة بن عمران التميمي عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : خلقت الدنيا على صورة الطير برأسه و صدره وجناحه وذنبه ، فالرأس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشام ومصر ، والجناح الأيمن العراق ، وخلف العراق أمة يقال لها واق<sup>(١)</sup> ، وخلف واق أمة يقال لها واق واق ، وخلف

---

(١) جاء في شرح القاموس أنها بلاد الصين ، وقد ورد ذكرها في كثير من كتب المؤرخين العرب القدماء ، وكتب الرحالة العرب ، وليس لها ذكر في التواريخ العلمية الصحيحة ولعل العرب أطلقوا اللفظ على بلاد مجهولة لهم ، سمعوا أن بها كثيرا من طيور الماء التي تسمى الواقة .

وقد ورد ذكر بلاد الواق وواق في كتاب المسالك والممالك للأصطخري ، ولكنه لم يبين موقعه على خرائطه المصورة التي يضمها كتابه المخطوط بدار الكتب .

ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله ، والجناح الأيسر السند<sup>(١)</sup> وخلف السند الهند ،  
وخلف الهند أمة يقال لها : ناسك<sup>(٢)</sup> ، وخلف ناسك أمة يقال : لها منسك وخلف<sup>(٣)</sup>  
ذلك من الأمم مالا يعلمه إلا الله عز وجل ، والذئب من ذات الحمام<sup>(٤)</sup> إلى وغرب  
الشمس ، وشتر ما في الطير الله تب .

### ذكر

وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبط

خبرنا على بن الحسن بن خلف بن قديد قال حدثنا عبيد الرحمن ، قال حدثنا  
أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة قالا : حدثنا مالك بن أنس عن ابن  
شهاب عن ابن لكعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا افتتحتهم  
مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فإن لهم ذمة ورجا .

قال ابن شهاب ، وكان يقال : إن أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم .

حدثنا عبد الله بن صالح ومحمد بن رُمح قالا : حدثنا الليث بن سعد عن ابن  
شهاب عن ابن لكعب بن مالك<sup>(١)</sup> عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

(١) السند نهر معروف في الهند ، وقد لجأ في معجم البلدان أن السند بلاد بين الهند  
وكرمان وسجستان ، وأنها خمس كور ، وأن قصبة السند مدينة يقال لها المنصورية ، اسبة  
إلى منصور بن جمهور ممل بني أمية ، وكان أسماها قبلا مينا باذ .

(٢) لم أعثر في المراجع التاريخية والجغرافية على توضيح لمعنى هذين اللفظين يحددهما  
وإن كان ذكرهما قد ورد كثيرا في كتب التاريخ القديمة المؤرخين العرب .

(٣) ذات الحمام إحدى الواقي المصرية على البحر الأبيض المتوسط ، ولم يرد لها ذكر  
في المراجع التاريخية أو الجغرافية إلا ما ذكره ابن السكندی عنها في عدة تنوير مصر ، وأنها  
أربعة عشر رباطا ، وهي العريش وفتيس وشطا ودمياط والبرلسن ورشيد والاسكندرية  
وذاث الحمام ، ولعلمها السلام .

(٤) كعب بن مالك أحد الصحابة ، وهو من الثلاثة الذين خلفوا في إحدى غزوات  
الرسول ونزل فيهم قوله تعالى : وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما  
رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ... الآية رقم ١١٨ من سورة  
التوبة .

قال الليث : لابن شهاب ، ما رَجَّحهم ؟ .

قال : إن أم إسماعيل منهم .

أخبرنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وحامد بن يحيى قالا ، حدثنا سفيان ابن عُيينة عن الزهري - أظنه عن ابن لكعب بن مالك - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا عبد الملك بن هشام ، حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحاق قال ، حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ثم السلمي حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .  
قال ابن اسحاق : فقلت لمحمد بن مسلم ، ما الرحم الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم حدثني رشدين بن سعيد ، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا عبد الله بن وهب عن حرملة بن عمران التميمي<sup>(١)</sup> عن عبد الرحمن ابن شماس المهرقي قال : سمعت أبا ذر يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ستفتحون أرضاً يُذكر فيها القيروط<sup>(٢)</sup> ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً .

حدثنا سعيد بن ميسرة عن اسحاق بن القرات عن ابن أبيهعة عن الأسود ابن مالك الحميري عن بجير بن ذاخر المعافري عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصوا بقططها خيراً ، فإن لكم منهم صبراً وذمة .

(١) في نسخة ح التميمي ، وهو حرملة بن يحيى بن عمران ، أبو خنيس التميمي المصري ، صاحب الامام الشافعي ( تقريب التهذيب صحيفة ٩٩ ) .  
(٢) القيروط وزن يختلف حسب البلاد ، وقد كانت قيمته بمكة إذذاك ريم سدس الدينار .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ويحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة أن أباسلم الجبشاني سيفان بن هاني أخبره أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنكم ستكونون أجنادا ، وإن خير أجنادكم أهل العرب منكم ، فاتقوا الله في القبط ، لا تأكلوهم أكل الخضر <sup>(١)</sup> » .

حدثنا أبي ، حدثنا إسماعيل بن عتياش عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم .

حدثنا عبد الملك بن مسleme عن الليث وابن لهيعة ، قال عبد الملك : وأخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب أن أباسلمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تُخرج اليهود من جزيرة العرب ، وقال ، « الله . . . الله في قبط مصر ، فإنكم ستظفرون عليهم ، ويكونون لكم عُدّة وأعواناً في سبيل الله » .

قال : وحدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا ابن وهب عن موسى بن أيوب النخعي عن رجل من الزبدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغى عليه ، ثم أفاق ، فقال « استوصوا بالأدّم الجعد <sup>(٢)</sup> » . ثم أغى عليه الثانية ، ثم أفاق . فقال مثل ذلك . قال : ثم أغى عليه الثالثة ، فقال مثل ذلك .

فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الأدّم الجعد ؟ فأفاق ، فسأله ، فقال : « قبط مصر ، فانهم أخوال وأصهار ، وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم » .

(١) الخضر هو الذي يتبعين ظلام الناس حتى يحضره .

(٢) الأدمية هي السرة ، والأدّم من الناس الأسمر ، والجعد جمع جعد وهو الرجل

ذو الشعر المفلقل .

قَالُوا: كَيْفَ يَكُونُونَ أَعْوَانًا عَلَى دِينِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: « يكفونكم أعمال الدنيا، وتفرغون للعبادة، فالراضى بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم، والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزه منهم ».

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن وهب عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمر بن حُرَيْث<sup>(١)</sup> وغيرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنكم ستقدمون على قوم، جُمُدٌ رؤوسهم، فاستوصوا بهم خيراً، فإنهم قوة لكم وبلاغٌ إلى عدوكم بإذن الله تعالى » - يعني قبط مصر.

حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن ابن هانئ، أنه سمع الحبلي وعمر بن حُرَيْث<sup>(١)</sup> يحدثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنا عبد الملك بن هشام، أخبرنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة، حدثني عُمر مولى غفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الله... الله في أهل الدمة، أهل المدرة السوداء، السُحُم<sup>(٢)</sup> الجُمَاد، فإن لهم نسبا وصهرا ».

قال عمر مولى غفرة: صهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر فيهم، ونسبهم أن أم إسماعيل هاجر من أم العرب، قرية كانت أمام القرمان من مصر.

حدثنا عثمان بن صالح أخبرنا مروان القصاص قال: صاهر إلى القبط من الأنبياء صلوات الله عليهم ثلاثة: إبراهيم خليل الرحمن - عليه السلام - - تسرر هاجر، ويوسف صلى الله عليه وسلم تزوج بنت صاحب عين شمس، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية.

حدثنا هانئ بن المتوكل، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن

(١) في نسخة ه عمر، وهو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن غزوم القرشي المخزومي، صحابي صغير، مات سنة خمس وثمانين.

(٢) السحُم بجم أسحُم، والسحمة سواد كلون الغراب.

قرية هاجر « ياقُ » التي عند أم دُنين<sup>(١)</sup> ، ودفنت هاجر حين توفيت كما حدثنا ابن هشام عن زياد بن عبد الله عن ابن اسحاق في الحِجر .  
قال ابن هشام : تقول العرب هاجرَ وآجرَ ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق الماء وأراق الماء ، ونحوه .

### ذكر

#### بعض فضائل مصر

حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن بكر بن سودة ، وبكر بن عمرو الخولاني ، يرفعان الحديث إلى عبد الله بن عمرو ، قال : قبض مصر أكرم الأعاجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عُصرا ، وأقربهم رَحاً بالعرب عامة وبقر يش خاصة ، ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فليَنظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها وتنور ثمارها .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المتافري عن كعب الأحبار قال : من أراد أن ينظر إلى شَبة الجنة فليَنظر إلى مصر إذا أخرفت<sup>(٢)</sup> ، وقال غير أبي الأسود : إلى أرض مصر إذا أزهرت .

وقال غير ابن لهيعة : وكان منهم السحرة ، فأمنوا جميعا في ساعة واحدة ، ولا تعلم جماعة أسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط .

قالوا : وكانوا كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هُبيرة السبائي وبكر بن عمرو الخولاني ويزيد بن أبي حبيب المالكي ، يزيد بعضهم

(١) أم دنين : قرية كانت بين القاهرة والنبيل ، وقد اختلعت بمآزل أربابنا العاصية .  
ووضعها المنطقة الممتدة من حديقة الأزبكية إلى جامع أولاد عنان الآن ، وقد كانت قرية حصينة وفي مرفئها سفن كثيرة .

(٢) أى في زمن الخزيعة .

على بعض في الحديث ، اثنتى عشر ساحرا رؤساء ، تحت يدي كل ساحر عنهم عشرون عريفا ، تحت يدي كل عريف منهم ألف من السحرة ، فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ، ومائتين واثنين وخمسين إنسانا بالرؤساء والعرفاء <sup>(١)</sup> ؛ فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء ، وأن السحر لا يقوم لأمر الله . فخرّ الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سُجّدا ، فاتبعهم العرفاء ، واتبع العرفاء من بقي ، وقالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهرون ؛ ولم يفتن منهم أحد مع من افتن من بنى اسرائيل في عبادة العجل .

حدثنا هاني بن لقوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن نُبَيْعًا كان يقول : ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط .

حدثنا أبو صالح ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب أنه بلغه أن كعب الأحبار كان يقول : مثل قبط مصر كالنقيصة كلما قُطعت نَبَتَتْ حتى يُجَرَّب الله بهم وبصناعتهم جزائر الروم .

قال : وكانت مصر — كما حدثنا عبد الله بن صالح ، وعثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماس المهرى عن أبي رهم السماعي — فناظر وجسورا بتقدير وتدير ، حتى إن الماء ليجرى تحت منازلها وأقيمتها <sup>(٢)</sup> ، فيحبسونه كيف شاءوا ، ويرسلونه كيف شاءوا .

فذلك قول الله — عز وجل — فيما حكى من قول فرعون (أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ) ، وهذه الأنهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون <sup>(٣)</sup> .

ولم يكن في الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر ، وكانت الجنّات بحافتي

(١) في تحديد العدد مبالغة تحتاج إلى دليل ، وهو ما تنتقز إليه هذه الرواية . وأمثالها في كتب القدامى من مؤرخي العرب ، وإن دل المدو على شيء فإنما يدل على السكثرة .

(٢) في نسخة ه وأبقيتها .

(٣) الآية ٥١ من سورة الزخرف :

الفيل من أوله إلى آخره في الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد، وسبع خُاج<sup>(١)</sup> :  
خليج الاسكندرية ، وخليج سخا<sup>(٢)</sup> ، وخليج دمياط ، وخليج مَنَف ، وخليج  
الفيوم ، وخليج المنهى ، وخليج سرَدُوسَ جَنَاتٍ متصلة لا ينقطع منها شيء  
عن شيء . والزرع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها بما يبلغه الماء .

وكان جميع أرض مصر كلها تُروى من ستة عشر ذراعاً لما قدروا ودّبروا  
من قناطرها وخلقها وجسورها ، فذلك قوله عز وجل ( كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ  
وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ )<sup>(٣)</sup> .

قال : وللقام الكريم المنابر - كان بها ألف منبر<sup>(٤)</sup> .

قال : وأما خليج الفيوم والمعنى فخرها يوسف - عليه السلام - - وسأذكر  
كيف كان ذلك في موضعه ، إن شاء الله ؛ وأما خليج سردوس فإن الذى حفره  
هامان<sup>٥</sup> .

حدثنا عبد الله بن صالح وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يحيى  
ابن ميمون الحضرمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص « أن فرعون استعمل  
هامان على حفر خليج سردوس ، فلما ابتداء حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن  
يُجرى الخليلج تحت قريتهم ويعطونه مالا .

قال : وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق ثم يرده إلى قرية .

(١) الخليج من البحر الشمر الذى يمتد منه في اليابس ، ومن معانيه القوية النهر يقتطم  
من النهر الأعظم إلى موضع ينتقم به فيه .

(٢) سخا بلد من أعمال مركز كفر الشيخ حالياً ، وكانت كورة ، وقصبة اسكورة  
الغربية في عهد الدولة الأيوبية ، وكان بها دار الوالى . وإليها ينسب الامام الشيخ على السخاوى  
المقرئ النجوى القوي ؛ والمناظر المشهور محمد شمس الدين السخاوى صاحب كتاب الضوء  
اللام في أهل القرن التاسع . ( الحفظ التوفيقية صحيفة ١٢ الجزء الحادى عشر ) .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الدخان .

(٤) للنبر مرقاة الخطيب وسمى منبرا لارتفاعه وعالوه ، وانتبر الامير إذا ارتفع فوق  
النبر ، وقد اتخذت المنابر من قديم ، ويستعمل لفظها للدلالة على الخطاط والأماكن ، وفي  
تحديد العدد مبالغة .



من نحو دُبر القبلة<sup>(١)</sup>، ثم يردّه إلى قرية في الغرب، ثم يرده إلى قرية في القبلة<sup>(٢)</sup>،  
ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له في ذلك مائة ألف دينار. فأتى  
بذلك يحملة إلى فرعون، فسأله فرعون عن ذلك، فأخبره بما فعل في حفرة. فقال  
له فرعون: «وَيْحُكَ، إنه ينبغي للسيد أن يعطف على عبادِهِ<sup>(٣)</sup>، ويُفِيضَ  
عليهم، ولا يرغب فيما بأيديهم. رُدَّ على أهل كل قرية ما أخذت منهم».   
فردّه كلّ على أهله.

قال: فلا يُعلم بمصر خليج أكثر عطوفاً منه لما فعل هامان في حفرة.  
وكان هامان — كما حدثنا أسد عن خالد بن عبد الله عن مُحدث حدثه —  
نَبَطِيًّا<sup>(٤)</sup>، وكانت بحيرة الإسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث  
ابن سعد كرمًا، كلّها لامرأة المقوقس، فكانت تأخذ خراجها منهم، الخمر بقرية  
عليهم، فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذُرْعًا، فقالت: لا حاجة لي في الخمر،  
أعطوني دنانير، فقالوا: ليس عندنا، فأرسلت عليهم الماء ففَرَّقَها، فصارت بحيرة،  
يصاد فيها الحيتان، حتى استخرجها بنو العباس، فسدّوا جسورها، وزرعوا فيها.

### ذكر

#### نزول القبط بمصر وسكنائهم بها

حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة عن عياش<sup>(٥)</sup> بن عباس القتيبي عن  
حَدَّثَ بن عبد الله الصنعاني عن عبد الله بن عباس قال: كان لنوح — عليه السلام —  
أربعة من الولد: سام بن نوح، وحام بن نوح، ويافث بن نوح، ويحطون بن

(١) يعني: بالشمال الغربي.

(٢) يعني: الجنوب الشرقي.

(٣) في نسخة ج (عبيده).

(٤) واحد الأنباط وهم سكان سواد العراق، وإنما سموا بذلك لاستنباطهم ما يخرج  
من الأرض؛ وهامان هو وزير فرعون موسى من الأسرة التاسعة عشرة.

(٥) في نسخة ب عباس، والصواب أنه عياش بن عباس القتيبي، بكسر القاف وسكون  
الهاء، المصري، وهو ثقة من المحدثين.

نوح ، وأن نوحا - عليه السلام - رغب إلى الله - عز وجل - وسأله أن يرزقه الإجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة . فوعده ذلك .

فنادى نوح ولده ، وهم نيام عند السحر ، فنادى ساما ؛ فأجابه يسمي ، وصاح سام في ولده ، فلم يجبه أحد منهم إلا ابنه أرخشذ ، فانطلق به معه حتى أتياه ، فوضع نوح يمينه على سام ، وشماله على أرخشذ بن سام . وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام أفضل البركة ، وأن يجعل الملك والنبوّة في ولد أرخشذ .

ثم نادى حاما ، فتلقّت يميننا وشمالا ولم يجبه ، ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله عز وجل أن يجعل ولده أذلاء ، وأن يجعلهم عبيدا لولد سام .

قال : وكان مِصْر بن بَيْصَر بن حام نائما إلى جنب جدّه حام ، فلما سمع دعاء نوح على جدّه وولده قام يسمي إلى نوح ، فقال يا جدي ، قد أجبتك إذ لم يجبهك أبي ولا أحد من ولده ، فأجعل لي دعوة من دعوتك ، ففرح نوح - عليه السلام - ووضع يده على رأسه ، وقال : اللهم إنه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وذريته ، وأسكنه الأرض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ، التي نهرها أفضل أنهار الدنيا ، واجعل فيها أفضل البركات ، وسخر له ولولده الأرض ، وذلاها ، وقوّمهم عليها .

قال : ثم دعا ابنه يافث ، فلم يجبه هو ولا أحد من ولده ، فدعا الله ، عز وجل ، عليهم أن يجعلهم شرارا الخلق .

قال : ثم دعا ابنه يحنون فأجابه ، فدعا الله - عز وجل - أن يجعل له البركة ، فلم يكن له ولد ولا نسل .

فعاش سام مباركا حتى مات ، وعاش ابنه أرخشذ بن سام مباركا حتى مات ، وكان الملك الذي يحبه الله والنبوّة والبركة في ولد أرخشذ بن سام .

وكان أكبر ولد حام كنعان بن حام ، وهو الذي حيل به في الزّجر في القلّك ،

فدعا عليه نوح ، فخرج أسود ، وكان في ولده الجفاء والملل والجبروت ، وهو أبو السودان والحش كلهم .

وابنه الثاني كُوش بن حام ، وهو أبو السند والهند ، وابنه الثالث قوط بن حام . وهو أبو البربر ، وابنه الأصغر الرابع بيصر بن حام ، وهو أبو القبط كلهم .

وحدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا سليمان بن بلال ، وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح النبي - عليه السلام - ثلاثة نفر : سام وحام ويافت . فولد كل واحد من الثلاثة ثلاثة ، فسام أبو العرب وفارس والروم <sup>(١)</sup> ، ويافت أبو الصقالبة والترك وياجوج وماجوج <sup>(٢)</sup> ، وحام أبو السودان والبربر والقبط .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فولد بيصر بن حام أربعة ، مصر بن بيصر ، وهو أكبرهم ، والذي دعا له نوح - صلوات الله عليه - بما دعا له ، وفارق بن بيصر وماس بن بيصر ، وياح بن بيصر .

قال غير عثمان فولد مصر أربعة ، قفط بن مصر ، وأشم بن مصر ، وأثريب بن مصر ، وصاه بن مصر <sup>(٣)</sup> .

وحدثنا عثمان بن صالح ويحيى بن خالد عن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد يزيد أحدهما على صاحبه ، وكان عثمان ربما قال ، حدثني خالد بن نجيع عن ابن

---

(١) ليس الفرس والروم من الجنس السامي .

(٢) يأجوج ومأجوج ، جاء في كتب الجغرافية القديمة وفي كتب الرحالة العرب ، أنهم صنف من الأتراك الشرقيين ، كانت تسكن شرق أذربيجان ، وليس في التاريخ ما يفيد في توضحيهما ، وقد اعتمد المؤرخون على الكتب السماوية في التعريف بأجوج ومأجوج . ( الآية رقم ٩٤ من سورة الكهف ) وانظر صحيفة ٤١ من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لليروني طبعة سنة ١٨٧٨ م بأوروبا .

(٣) ليس لهذه الرواية ما يؤيدها من الأسانيد التاريخية الصحيحة ، والملاحظ في كتب المؤرخين العرب أنهم قد اتخذوا من أسماء البلاد مادة للالساب ، تسائر الاشتقاق الأقوى .

لهيعة وعبدالله بن خالد قالوا : فكان أول من سكن بمصر بعد أن غرق الله قوم نوح  
بيصر بن حام بن نوح ، فسكن منف<sup>(١)</sup> — وهي أول مدينة عمرت بعد النرق —  
هو وولده ، وهم ثلاثون نفسا ، قد بنوا وتزوجوا ، فبذلك سميت مائة ، ومائة ،  
باسان القبط ، ثلاثون .

قال : وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده ، وهو  
الذي ساق أباه وجميع إخوته إلى مصر ، فنزلوا بها ، فبمصر بن بيصر سميت  
مِصرُ مصر ، غاز له ولولده ما بين الشجرتين خلف العريش إلى أسوان طولاً ،  
ومن برقة إلى أيلة عرضاً .

قال : ثم إن بيصر بن حام توفي ، فدفن في موضع أنى هريميس .  
قال غير عثمان : فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : ثم إن بيصر بن حام  
توفي ، واستحلف ابنه مصر ، وحاز كل واحد من إخوة مصر قطعة من الأرض  
لنفسه ، سوى أرض مصر التي حازها لنفسه ولولده ، فلما كثر ولد مصر وأولاد  
أولادهم قطع مصر لكل واحد ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده ، وقسم لهم  
هذا النيل .

قال : فقطع لابنه قنط موضع قنط<sup>(٢)</sup> ، فسكنها ، وبه سميت قنط فقطاً ،

---

(١) منف عاصمة مصر في العهد الفرعوني بعد وحدة الشمال مع الجنوب في عهد مينا ،  
ومكانها جنوب الأهرامات بالجيزة قبالة السطاط ( مصر القديمة ) .

(٢) قنط بلدة مصرية قديمة جنوبي مدينة قومي ، وهي أقرب إلى الجبل منها إلى النيل ،  
وتقع في الجهة الشرقية من النيل على بعد سبعة أميال . وقد سماها اليونان ، كبتوس ، وينسب  
لأبيها الشيخ علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني الذي تولى الوزارة في حلب في أوائل سنة  
٦١٤ هـ ، وكان ذا دراية في الهندسة وجبير العلوم والتواريخ (راجع كتاب المخطوطات التونسية  
ص ١٠٥ الجزء الرابع عشر) .

وما فوقها إلى أسوان ، ويأدومها إلى أشمون<sup>(١)</sup> في الشرق والغرب ، وقطع لأشمن من أشمون فما دونها إلى منف في الشرق والغرب ، فسكن أشمن أشمون ، فسميت به ، وقطع لأتريب ما بين منف إلى صاء ، فسكن أتريب<sup>(٢)</sup> فسميت به ، وقطع لصاء ما بين صاء<sup>(٣)</sup> إلى البحر ، فسكن صاء ، فسميت به ، فسكانت مصر كلها على أربعة أجزاء : جزء من بالصعيد وجزء من بأسفل الأرض .

قال : ثم توفى مصر بن ييصر ، فاستخلف ابنه قفط بن مصر ، ثم توفى قفط ابن مصر ، فاستخلف أخاه أشمن بن مصر ثم توفى أشمن بن مصر ، فاستخلف أخاه أتريب بن مصر ، ثم توفى أتريب بن مصر ، فاستخلف ابنه تدارس بن صاء ، ثم توفى تدارس بن صاء ، فاستخلف ابنه ما ليق بن تدارس ، ثم توفى ما ليق بن تدارس ، فاستخلف ابنه خربتا بن ما ليق ، ثم توفى خربتا بن ما ليق ، فاستخلف ابنه كلأس بن خربتا .

(١) أشمون للمروفة قاعدة مركز أشمون من أعمال محافظة المنوفية ، والمراد الأشموين التي تقع بين قفط ومنف حتى ينشق التقسيم ، وقد جاء في المخطط التوفيقية ص ٧٤ من الجزء الثامن . وكان يقال لها أشمون بالافراد ، وكانت مديرية المنيا تسمى مديرية الأشموين ، ولانزال آثار هذه المدينة القديمة باقية ، وقد بليت قبليها ملوى من أعمال محافظة المنيا بالوجه القبلي .

(٢) أقرب قرية بالقرب من بها حاضرة محافظة القليوبية وتعرف ببل أتريب ، وكانت قديما من المدن العظيمة على الشاطئ الشرقي لليل ، ويقال لها أتريبس في التواريخ اليونانية ، ويرى المؤرخون أن طولها كان اثني عشر ميلا وعرضها كذلك ، وكان لها اثنا عشر بابا ، وكان بها خليج تجرى به مياه النيل . وتتفرع منه نزع صغيرة يحيط منها الماء بالسكان . وذكر ابن ايس أن بساطتها كانت مملوءة بالأشجار المثمرة وبيوتها في غابة الحسن . وكانت فاعية لأقام تعزى إليها قراء ، وهي مائة قرية ونمانية :

(٣) ما هي صا الحجر : وهي بلدة بمركز كفر الزيات من أعمال محافظة البحيرة شرقي فرع رشيد ، وكانت صا من أعظم مدن الوجه البحري . وهي غير صال الحجر ( نيس ) وقد ذكر هيرودوت أنه كان بها قرأ وأوزيريس :

وجاء في قاموس الجغرافية الأكرنجي أن سكروبول الذي أسس مدينة أثينا ببلاد اليونان أسسه من صا الحجر ، وقد دخل بلاد اليونان سنة ١٦٤٣ ق م .

فلكهم نحواً من مائة سنة ، ثم توفى ولا ولد له ، فاستخلف أخاه ماليا بن خربتا ،  
ثم توفى ماليا بن خربتا فاستخلف ابنه طوطيس بن ماليا ، وهو الذى وهب هاجر  
لسارة امرأة إبراهيم خليل الرحمن <sup>(١)</sup> عليه السلام .

### ذكر

#### دخول إبراهيم مصر

وكان سبب دخول إبراهيم - عليه السلام - مصر كما حدثنا أسد بن موسى  
وغيره ، أنه لما أمر بالخروج عن أرض قومه والهجرة إلى الشام خرج ومعه لوط  
وسارة ، حتى أتوا حران <sup>(٢)</sup> ، فنزلها ، فأصاب أهل حران جوع ، فارتحل بسارة ،  
يريد مصر ، فلما دخلها ذكر جماعها للملكها ، ووصف له أمرها ، وكان حُسن سارة  
كما حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن خالد عن خالد بن عبد الله عن السكبي  
عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان حسن سارة حسن حواء .

قال : ثم رجع إلى حديث أسد وغيره قال ، فأمر بها ، فأدخلت عليه ، وسأل  
إبراهيم - عليه السلام - قال له : ما هذه المرأة ؟ ، قال : أختي .  
فهم الملك بها ، فأبى الله يديه ورجليه ؛ فقال لإبراهيم :  
- هذا عملك ، فادع الله لى ، فوالله لا أسوءك فيها .

فدعا الله له ، فأطلق الله يديه ورجليه ، وأعطاهما غنماً وبقراً ، وقال :  
ما ينبغي لهذه أن تخدم نفسها ، فوهب لها هاجر .

---

(١) المعروف أن إبراهيم الخليل دخل مصر في عهد الحسوس ، ويذكر بعض المؤرخين ،  
أن ملك الحسوس أهداه هاجر . وهو ما يشير إليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
إن الله عز وجل سيفتح عليكم بمصر ، فاستوصوا بقبيلها خيراً ، فإن لكم منهم صهرًا وذمة .  
(٢) حران مدينة مشهورة بالإقليم الشمالى على الطريق إلى الموصل ، وقد فتحها العرب  
أيام عمر بن الخطاب على يد عياض بن غنم .

وكان أبو هريرة يقول : فذلك أمكم يا بني ماء السماء — يريد العرب .  
 حدثونا عن عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن أيوب عن محمد بن  
 سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن إبراهيم قدم أرض  
 جبار ، ومعه <sup>(١)</sup> سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها ، إن هذا الجبار إن يعلم  
 أنك امرأتى يغلبنى ، فإن سألك فاخبريه أنك أختى فى الإسلام ، فلما دخل  
 الأرض رآها بعض أهل الجبار ، فأتاه ، فقال ، لقد دخلت أرضك امرأة لا ينبغي  
 أن تسكون إلا لك ؛ فأرسل إليها ، فأتى بها ، وقام إبراهيم للصلاة .  
 فلما دخلت عليه لم يتالك أن بسط يده إليها ، فقبضت يده قبضة شديدة ،  
 فقال لها :

— ادعى الله أن يطلق يدى ، فلا أضرك .  
 ففعلت .

فماد ، فقبضت يده أشد من القبض الأولى .  
 فقال لها مثل ذلك ؛ ففعلت ؛ فماد ؛ فقبضت أشد من القبضتين الأولىتين .  
 فقال : ادعى الله أن يطلق يدى ، فلك الله ألا أضرك .  
 ففعلت ، وأطلقت يده .  
 فدعا الذى جاء بها ، فقال :

— إنك إنما أتيتنى بشيطان ، ولم تأتني بإنسان ، فأخرجها من أرضى .  
 وأعطاهما هاجر .  
 فأقبلت عشى .

فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف ، وقال لها : مهيم <sup>(٢)</sup> .

(١) فى نسخة ج : وكانت معه .

(٢) كذلك فى الأصل ، ولم أجد لهذا اللفظ معناه ، ولعله لالفظ سؤال عما حدث .

قالت : خيرا ، كفّ الله يد الفاجر ، وأتخدم خادما .

قال أبو هريرة : فبتلك أمكم يا بني ماء السماء .

قال ابن وهب : وأخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه ، قال : فقام إليها ، فقامت تتوضأ تصلي ، ثم قالت : اللهم إني كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجي ، فلا تسلط على الكافر ، فقط حتى ركض برجله .

قال الأعرج ، قال أبو سلمة ، قال أبو هريرة ، قالت : اللهم إن بيت يقال هي قتله <sup>(١)</sup> .

حدثنا أسد بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب — رضى الله عنه — أن سارة كانت بنت ملك من الملوك وكانت قد أوتيت حسفا ، فزوجها إبراهيم عليه السلام ، فزوّجها على ملك من الملوك ، فأعجبته ، فقال لإبراهيم .

— من هذه ؟

فقال لهما شاء الله أن يقول .

فلما خاف إبراهيم وخافت سارة أن يدنو منها دعوا الله عليه ، فأبى الله يديه ورجليه ، فقال لإبراهيم .

— قد علمت أن هذا عملك فادع الله لي ، فوالله لا أسوءك فيها .

فدعا له ، فأطلق على يديه ورجليه .

ثم قال للملك :

— إن هذه لامرأة لا ينبغي أن تخدم نفسها .

---

(١) في نسخة زيادة ( . فألقى ، فهم بها أخرى ، فقالت : اللهم اكفأ كيف شئت تسكنه ) .



فوهب لها هاجر ، فخدمتها ما شاء الله .

ثم إنها غضبت عليها ذات يوم ، خلقت لتغيرن منها ثلاثة أشياء .

فقال : تحفضيها<sup>(١)</sup> ، وتثقبين أذنيها .

ثم وهبتها لإبراهيم على ألا يسودها فيها ، فوقع عليها ، فولدت إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام .

قال : وكانت سارة كما حدثنا وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل وعمر بن الأزهر - أو أحدهما - عن ابن إسحاق عن عبد الرحمن عن أبي هريرة حين رأت أنها لا تلد أحببت أن تعرض هاجر على إبراهيم ، فكانت تمنعها الغيرة . وكانت هاجر كما حدثنا وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل وعمر بن الأزهر - أو أحدهما أو كلاهما - عن ابن إسحاق أول من جرّت ذيلها لتخفي أثرها على سارة ؛ وكانت سارة قد حلفت لتقطعنّ منها عضوا .

فبلغ ذلك هاجراً ، فلبست درعاً لها ، وجرّت ذيلها لتخفي أثرها ، وطلبها سارة ، فلم تقدر عليها .

فقال إبراهيم :

- هل لك أن تعقّ عنها ؟

قالت : فكيف بما حلقت ؟

قال : تحفضيها ، فيكون ذلك سنة للنساء ، فتبرهن يمينك .

ففعلت ، فضت السنة بالخفض .

---

(١) الخافضة الخاتنة ، والخفض الختان وهو خناس بالأنثى ، فيقال للجارية خفض وللنلام خنّ ، وفي القصة تمثيل طريف رواه بعض المؤرخين .

## ذكر

### ظفر العمالة بمصر وأمر يوسف

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم توفي طوطيس بن ماليا ، فاستخلف ابنته خروبا ابنة طوطيس ، ولم يسكن له ولد غيرها ، وهي أول امرأة ملكت .

قال : ثم توفيت خروبا ابنة طوطيس ، فاستخلفت ابنتها زالفا ابنة مادوم بن ماليا ، فعمرت دهر أطويلا ، وكثروا ونموا ، وملأوا الأرض مصر كلها ، فطعمت فيهم العمالة ، فنزاهم الوليد بن دؤمغ ، فقاتلهم قتالا شديدا ، ثم رضوا أن يملكوه عليهم ، فملكهم نحواً من مائة سنة ؛ فظنى وتكبر ، وأظهر الفاحشة ، فسلط الله عليه سبيماً ، فاقتصره وأكل لحمه .

قال : والعماليق كما حدثنا عبد الملك بن هشام من ولد عملاق ، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام .

حدثنا أبو الأسود وأسد بن موسى ويحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو الماعري عن ابن حُجيرة قال : استظَلَّ سيمعون رجلاً من قوم موسى في قَيْحٍ رجل من العماليق ؛ قال : فملكهم من بعده ابنه الريان بن الوليد ابن دؤمغ ، وهو صاحب يوسف النبي عليه السلام ؛ فلما رأى الملك الرؤيا التي رآها ، وعيها يوسف عليه السلام أرسل إليه الملك ، فأخرجه من السجن .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : فأتاه الرسول ، فقال : أَلَيْسَ عَنْكَ ثِيَابُ السَّجْنِ ، وَالبَسَ ثِيَاباً مُجْدُداً ، وقم إلى الملك ؛ فدعا له أهل السجن ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة .

فلما أتاه رأى غلاماً حَدَّثَنَا ، فقال :

— أيعلم هذا رؤياي ، ولا يعلمها الشجرة والكهنة . . ؟  
وأقدمه قدّامه ، وقال له : لا تخف .

فقال عثمان وغيره في حديثهما ؛ فلما استنطقه وساء له عظم في عيه ، رجلا  
أسره في قلبه ، فدفع إليه خاتمه ، وولاه ما خلف بابه .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن السكابي عن أبي صالح عن  
ابن عباس قال : وألبسه خنوقا من ذهب وثياب حرير ، وأعطاه دابة مسرجة  
مؤنفة كدابة الملك ، وضرب بالطبل بمصر ، أن يوسف خليفة الملك .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله حدثني أبو سعيد عن عكرمة  
أن قريون قال ليوسف : قد سلطتكم على مصر ، غير أني أريد أن أجعل كرسى  
أطول من كرسىك بأربع أصابع .

قال يوسف : نعم .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : وأجلسه على السرير ، ودخل  
الملك بيته مع نسائه ، ففوتض أمر مصر كلها إليه ، فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك  
يوسف مصر .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثني الليث بن سعد قال ، حدثني مשיخة لنا قال :  
اشتد الجوع على أهل مصر ، فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا ، فاشتروا  
بالفضة ، حتى لم يجدوا فضة ، فاشتروا بأغنامهم ، حتى لم يجدوا غنما :  
فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهبا ولا شاء ولا بقرة في تلك  
الستين ، فأنوه في الثالثة ، فقالوا له : لم يبق لنا إلا أنفسنا وأهلونا وأرضونا ،  
فاشتري يوسف أرضهم كلها لفرعون ، ثم أعطاهم يوسف طعاما بزرعونه<sup>(١)</sup> على أن  
لفرعون الخمس .

(١) في نسخة جيزرعون ٤ .

## ذكر

### استنباط الفيوم

قال : وفي ذلك الزمان استنبطت الفيوم ، وكان سبب ذلك كما حدثنا هشام ابن إسحاق أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون ، وجاوزت سنه مائة سنة قال وزراء الملك له : إن يوسف قد ذهب علمه وتغير عقله ونفدت حكمته . فغضبهم فرعون ، ورد عليهم مقاتلهم ، وأساء اللفظ لهم ، فكفوا ، ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين ، فقال لهم :

— هلموا ما شئتم من أى شيء أختبره به .

وكانت الفيوم يومئذ تدعى الجوبة ، وإنما كانت لئصاله ماء الصعيد وقضوله . فاجتمع رأيهم على أن تكون هى المحفة التى يتمتعون بها يوسف عليه السلام . فقالوا لفرعون :

— سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها ، فتزداد بلداً إلى بلدك ، ونخرجنا إلى خراجك .

فدعا يوسف عليه السلام ، فقال :

— قد تعلم مكان ابنتى فلانة منى ، وقد رأيت إذا بلغت أن أطلب لها بلداً ، وإنى لم أصب لها إلا الجوبة ، وذلك أنه بلد<sup>(١)</sup> بعيد قريب ، لا يؤتى من وجه من الوجوه إلا من غابة وسجاء .

قال غير هشام : فالفيوم وسط مصر كمثل مصر فى وسط البلاد ، لأن مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي إلا من مفازة وسجاء .

(١) فى نسخة أخرى بليد .

قال هشام في حديثه : وقد أقطعها إياها ، فلا تتركن وجهها ولا نظراً إلا بقلته .

فقال يوسف عليه السلام : نعم أيها الملك ، متى أردت ذلك فابعث إلى ، فإني إن شاء الله فاعل .

قال : إن أحبه إلى وأوقفه أعجله .

فأوحى إلى يوسف عليه السلام أن تحفر ثلاثة خلج ، خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجا شرقيا من موضع كذا إلى موضع كذا ، وخليجا غربيا من موضع كذا إلى موضع كذا .

فوضع يوسف عليه السلام العمال ، فحفر خليج التمهى إلى اللاهون<sup>(١)</sup> ، وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون ، وحفر خليج القيوم ، وهو الخليج الشرقي ، وحفر خليجا بقرية يقال لها تنهمت<sup>(٢)</sup> من قرى القيوم ، وهو الخليج الغربي ، فخرج ماؤها من الخليج الشرقي ، فصب في النيل ، وخرج من الخليج الغربي فصب في صحراء تنهمت إلى الغرب ، فلم يبق في الجوبة ماء ، ثم أدخلها الفعلة ، فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء ، وأخرجه منها ، وكان في ذلك ابتداء جرى النيل .

وقد صارت الجوبة أرضا ريفية برية<sup>(٣)</sup> ، وارتفع ماء النيل ، فدخل في رأس المنهى ، فجرى فيه حتى انتهى إلى اللاهون ، فقطعه إلى القيوم ، فدخل خليجا ، فسقاها ، فصارت لجة من النيل .

(١) اللاهون : بلدة قديمة من بلاد القيوم عند قناطر اللاهون من الجهة الشمالية حيث فتحة الجبل إلى بحر يوسف ، وهي أول بلاد القيوم ، وكانت قديماً تسمى باليهوسة .  
(٢) تنهمت : بلدة كانت تقع على بحيرة فارون ، ويذكرها بعض المؤرخين تهامت وتهمت . وجاء في الخطاط التوفيقية : أنها بحيرة ممتدة في جبال من الرمل الأصفر ، وفي الشتاء تسكنها الطيور .

(٣) في نسخة و تربة .

فخرج إليها الملك ووزراؤه، وكان هذا كله في سبعين يوماً، فلما نظر إليها الملك.  
قال لوزرائه أولئك : هذا عمل ألف يوم ، فسميت القيوم <sup>(١)</sup> ، وأقامت تزرع كما  
تزرع غوايط <sup>(٢)</sup> مصر .

قال : وقد سمعت في استخراج القيوم وجهاً غير هذا ؛ حدثنا يحيى بن خالد  
المعدوى عن ابن طبيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن يوسف النبي عليه السلام عملت  
مصر وهو ابن ثلاثين سنة ، فأقام يدبر أمورهما أربعين سنة ؛ فقال أهل مصر :  
قد كبر يوسف ، واختلف رأيه ، فمزلوه ، وقالوا : اختر لنفسك من الموات أرضاً  
نقطعها لنفسك وتصلحها ، ونعلم زرايتك فيها ، فإن رأينا من رأيتك وحسن تدبيرك  
ما نعلم أنك في زيادة من عقلك رددناك إلى ملكك .

فاعترض البرية في نواحي مصر ، فاختر القيوم فأعطوها ، فشق إليها خليج  
المنهى من النيل حتى أدخله القيوم كلها ، وفرغ من حفر ذلك كله في سنة .

وبلغنا أنه إنما عمل ذلك بالوحى ، وقوى على ذلك بكثرة القمّة والأعوان ،  
فنظروا ، فإذا الذى أحياء يوسف من القيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلاً ولا نظيرة .  
فقالوا : ما كان يوسف قط أفضل عقلاً ولا رأياً ولا تدبيراً منه اليوم ، فردوا  
إليه الملك ، فأقام ستين سنة أخرى ، تمام مائة سنة ، حتى مات يوم مات .  
وهو ابن ثلاثين ومائة سنة ، والله أعلم .

قال : ثم رجع إلى حديث هشام بن إسحاق قال : ثم بلغ يوسف عليه السلام  
قول وزراء الملك ، وأنه إنما كان ذلك منهم على المحنة منهم له ، فقال للملك :  
إن عندى من الحكمة والتدبير غير ما رأيت . فقال له الملك : وما ذاك ؟

قال أنزل القيوم من كل كورة من كور مصر أهل كل  
بيت أن يبنوا لأنفسهم قرية ، وكانت قرى القيوم على عدد كور مصر ، فإذا

(١) كذا يروى مؤرخو العرب كالسعودى والسكندى . والصواب أن القيوم كلمة  
قبطية جعلها علماء الأنباط علماء على الإقليم الذى عند قلعة اليونان أرسنوبه . وسموها في  
لغتهم البحر ، لاشتغال الإقليم على البحيرة القبطية ، فسموها القيوم من القبطية ، وهذه  
هيرودوت : إن مدينة القيوم كانت تسمى أيضاً مدينة التماسيح .

(٢) غوايط جمع غوط ، وهي الأرض التمتعة في النصارى .

فرغوا من بناء قُرَاهم صَيَّرَتْ لِكُلِّ قرية من الماء بقدر ما أُصَيِّرُ لها من الأرض ، لا يكون في ذلك زيادة عن أرضها ولا نقصان ، وأصَيِّرُ لِكُلِّ قرية شِرْباً في زمان لا ينالهم الماء إلا فيه ، وأصَيِّرُ مُطَاطُأً للمرتفع ومرتفعاً للمطأطأ في بأوقات من الساعات في الليل والنهار ، وأصير لها قَبَضَات فلا يُقَصِّر بأحدٍ دون حقه ، ولا يُزِدَاد فوق قدره .

فقال له فرعون : هذا من ملكوت السماء .

قال : نعم .

فبدأ يوسف عليه السلام ، فأمر بينان القرى ، وحدَّ له حدوداً ، وكانت أول قرية عمرت بالقيوم قرية يقال لها : شفانة ، وهي القرية التي كانت تبزلها نبت فرعون .

ثم أمر بحفر الخليج وبنيان القناطر ، فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض ووزن الماء ، ومن يومئذ أُحْدِثَت الهندسة ، ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك .

قال : وكان أول من فاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ، وضع له مقياساً بمَنَف ، ثم وضعت العجوز دَلُوكَةَ ابْنَةِ زَبَاءَ <sup>(١)</sup> ، وهي صاحبة حائط العجوز ، مقياساً بأنصنا <sup>(٢)</sup> ، وهو صغير الذرع ، ومقياساً بأخميم <sup>(٣)</sup> ، ووضع عبد العزيز بن

(١) رواية غير صحيحة .

(٢) أنصنا : بلدة بصعيد مصر على شاطئ النيل من البر الشرقي قبالة الأشموين ، ( ملوى ) وكانت تسمى قديماً انتنويه ، ويستفاد من كلام اللؤرخين ، أن قبصر الروم أديران هو الذي أمر ببنائها لتكون مركزاً للأقاليم القبلية عوضاً عن مدينة الأشموين . وقد ذكر الإدريسي أنها كانت مدينة الصحرة ، ومنها جلب فرعون مصر سحرة موسى عليه السلام ، وقال أبو عبد البكري : إن أنصنا كورة عظيمة من كور مصر ، وكانت مارية القبطية من قرية من قرأها يقال لها حفس ؟ وترى مدينة ملوى من فوق تلال أنصنا ، وقد كان اسمها يطلق على رماحها لقباية أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، ولما خربت قيد زمامها باسم الشيخ عبادة في تاريخ سنة ١٢٣٠ هـ ، نزلة من توابعها ، وبذلك اختفى اسم أنصنا من عداد النواحي المصرية ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة في حوض بلدة النصلة ، محرفة عن أنصنا ، رقم ١١ ، بأراضي الشيخ عبادة الواقعة شرق النيل بمركز ملوى ، من أعمال محافظة المنيا .

(٣) إخميم بكسر الهمزة والميم ، بلدة قديم في البر الشرقي للنيل قبالة سوهاج ومن =

مروان مقياسا بجلوان<sup>(١)</sup>، وهو صغير، ووضع أسامة بن يزيد التنوخى في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة، وهو أكبرها.

حدثنا يحيى بن بكير قال: أدركت القيان يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته القسطاط.

## ذكر

دخول أهل يوسف مصر، ووفاء يعقوب ووفته

قال: وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر كما حدثنا هشام بن إسحاق، وهم ثلاثة وتسعون<sup>(٢)</sup> نفعا بين رجل وامرأة، فأنزلهم يوسف عليه السلام ما بين عين شمس إلى القرم<sup>(٣)</sup>، وهي أرض ريفية برية.

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبى عن أبي صالح عن

---

مرا كزها، وكان الرومان واليونان يسمونها بانوبوليس، أى مدينة الإله بان، وكان فيها بربا شهير (أى هيكلا) يعمد من اللبان الفاخرة القديمة الباقية بمصر. وقد ذكر هيرودوت: أن جميع المصريين كانوا يتفرون من العادات اليونانية ما عدا أهل أخميم، وقال: إن أهلها يفوقون غيرهم في الصناعات، لا سيما نسج الأقمشة. وعمل التبايل؟ وهو ما تشتهر به أخميم الآن.

(١) ضاحية جنوبى القاهرة شرق النيل، مشهورة بهوائها ومياهها الكبريتية.

(٢) في نسخة ٥ وسبعون.

(٣) الفرما: مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود المصرية، وكانت في زمن القراعنة حصن مصر من جهة الشرق، لأنها في طريق المنبرين على مصر، واسمها المصرى القديم « بر آمن » أى مدينة الإله آمون، ومنه اسمها المصرى « برمون » والذنبلى « برما » ومن هذا الاسم أتى اللفظ المصرى « فرما » وقد سماها الروم بيلوز، ومنماها الوحلة، لأنها واحة في منطقة من الأوحال بسبب تغذية ماء البحر الأبيض لأراضي تلك المنطقة.

وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اليوم آثارها ببل الفرما على بعد ثلاثة كيلومترات من ساحل البحر الأبيض وعلى بعد ٢٣ كيلومتراً شرق محطة الطينة الواقعة على المسكة الحديد بين بورسعيد والإسماعيلية.

وقد بقت آثار قلعة الفرما مستعملة إلى آخر القرن الثانى عشر الهجرى حيث كانت منفى ولا تزال هذه الآثار باقية إلى اليوم.



ابن عباس قال : دخل مصر يعقوب وولده ، وكانوا سبعين نفسا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف .

وحدثنا أسد ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسروق قال : دخل أهل يوسف ، وهم ثلاثة وتسعون إنسانا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف <sup>(١)</sup> .

وأدخل يوسف — كما حدثنا أسد عن خالد بن عبد الله عن الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس — أباه وخمسة من إخوته على الملاك ، فسلموا عليه ، وأمر أن يقطع لهم من الأرض ، وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهوذا إلى يوسف ، فخرج إليه يوسف ، فلقية ، فالتزمه وبكى .

قال : ثم رجع إلى حديث هشام بن إسحاق قال ، فلما دخل يعقوب على فرعون ، فكلمه — وكان يعقوب عليه السلام شيخا كبيرا ، حليما ، حسن الوجه والاحية ، جبر الصوت — فقال له فرعون :

— كم أتى عليك أيها الشيخ ؟

قال : عشرون ومائة .

وكان يمين <sup>(٢)</sup> ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام في كتبه ، وأخبر أن خراب مصر وهلاك أهلها يكون على أيديهم ، ووضع البربايات <sup>(٣)</sup> وصفات من تخرب مصر على يديه .

فلما رأى يعقوب قام إلى مجلسه ، فكان أول ما سأله عنه أن قال له :

— من تعبد أيها الشيخ ؟

قال له يعقوب :

---

(١) لا ينك العدد على حقائق تاريخية .  
(٢) انظر تاريخ مرجليوث الجزء الأول من ٢٤٦ ، فقد ذكره باسم يمين .  
(٣) في نسخة ما و البربايات .

— أعبد الله ، إله كل شيء .

فقال له :

— كيف تعبد ما لا ترى ؟

قال له يعقوب :

— إنه أعظم وأجل من أن يراه أحد .

قال بيمين :

— ففحن نرى آلهتنا .

قال يعقوب :

— إن آلهتكم من عمل أيدي ابن آدم ، من يموت ويبلى ، وإن إلهي أعظم وأرفع ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد .

فنظر بيمين إلى فرعون ، فقال :

— هذا الذي يكون هلاك بلادنا على يديه .

قال فرعون :

أفي أيامنا أم في أيام غيرنا ؟

قال :

— ليس في أيامك ولا في أيام بنيك أيها الملك .

قال الملك : هل تجد هذا فيما قضى به إلهكم ؟

قال : نعم .

قال . فكيف تقدر أن تقتل من يريد إلهه هلاك قومه على يديه ؟ فلا تعبأ بهذا الكلام .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثني أبو حفص السكلاعي  
عن تَبَيْع عن كعب أن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشرة سنة ، فلما  
حضرته الوفاة قال ليوسف :

— لا تدفني بمصر ، وإذا مت فاحلوني ، فادفوني في مغارة جبل  
حَبْرُون<sup>(١)</sup> :

وحبرون كما حدثنا أسد عن خالد عن السكلي عن أبي صالح مسجد إبراهيم  
عليه السلام اليوم ، وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا .

ثم رجع إلى حديث السكلاعي عن تَبَيْع<sup>(٢)</sup> عن كعب قال : فلما مات  
لَطَّخُوهُ بِرُءٍ وَصِير .

قال غير أسد : وجعلوه في تابوت من ساج .

قال أسد في حديثه : فكانوا يفعلون ذلك به أربعين يوما حتى كلم يوسف  
فرعون ، وأعلمه أن أباه قد مات ، وأنه سأله أن يقبره في أرض كنعان ، فأذن  
له ، وخرج معه أشراف أهل مصر حتى دفنه ، وانصرف .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن من حدثه قال : قُبِرَ يعقوب  
بمصر ، فأقام بها نحو من ثلاث سنين ، ثم حمل إلى بيت المقدس ، أو صاهم بذلك  
عند موته ؛ والله أعلم .

(١) جبل حبرون : حبرون اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم المليل بالبيت المقدس ،  
وقد غلب على اسمها لفظ الخليل .

(٢) هو تبعيم بن عامر الحميري ابن امرأة كعب الأحبار ، ويكنى أبا عبيدة ، مخضرم ،  
وهو عالم بالسكتب القديمة .

## ذكر

### وفاة يوسف

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال : ثم مات الريان بن الوليد ، فأسكنهم من بعده ابنه دارم بن الريان .

قال غير عثمان : وفي زمانه توفي يوسف صلوات الله عليه ، فلما حضرته الوفاة قال : إنكم ستخرجون من أرض مصر إلى أرض آبائكم ، كما حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثني أبو حفص السكلاعي عن تبيع عن كعب ، فأحلبوا عظامي معهم .

فمات ، فجعلوه في تابوت ، ودفنوه .

حدثنا محمد بن أسعد ، حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب قال : دُفِنَ يوسف صلوات الله عليه في أحد جانبي النيل ، فأخصب الجانب الذي كان فيه ، وأجذب الآخر ، فحوله إلى الجانب الآخر ، فأخصب الجانب الذي حوله إليه ، وأجذب الجانب الآخر ؛ فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه ، فجعلوها في صندوق من حديد ، وجعلوا فيه سِلْسِلَةً ، وأقاموا عموداً على شاطئ النيل ، وجعلوا في أصله سِكَّةً من حديد ، وجعلوا السِّلْسِلَةَ في السِّكَّةِ ، وألقوا الصندوق في وسط النيل ، فأخصب الجانبان معا <sup>(١)</sup> .

وحدثنا العباس بن طالب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد عن بونس عن الحسن ، أن يوسف عليه السلام أُلْقِيَ في الجُبِّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، ومكث إلى أن لقي يعقوب عليه السلام وأهله ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ،

(١) مثل هذه الرواية لا تدل على حقائق تاريخية ، ولأننا تصور تخيال الأساطير في نسبة جريان الخير على يد يوسف بعد موته ، بكرانه في حياته .

فات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، ويقال : إنه توفي ، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة .

## ذكر

ملوك مصر بعد زمان يوسف

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : ثم إن دراماً طغى بعد يوسف عليه السلام وتكبر ، وأظهر عبادة الأصنام ، فركب في النيل في سفينة ، فبعث الله عليه ريحاً عاصفاً ، فأغرقته ، ومن كان معه فيما بين طراً إلى موضع حلوان .

فملكهم من بعده كاشم بن معدان ، وكان جباراً عاتياً .

وحدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن أبي حفص الكلعي عن ثبيع عن كعب قال : لما مات يوسف عليه السلام استعبد أهل مصر بني إسرائيل .

ثم رجع إلى حديث عثمان قال : ثم هلك كاشم بن معدان ، فملكهم بعده فرعون موسى .

قال غير عثمان : واسمه طُلُمَا ، قبلى من قبط مصر .

حدثنا سعيد بن عُمَيْر ، حدثنا عبد الله بن أبي فاطمة عن مشائخه قال : كان من قرآن بن بلي<sup>(١)</sup> ، واسمه الوليد بن مصعب ، وكان قصيرا أبرش يظاً في لحيته .

---

(١) في نسخة : ابن أبي ليلى ، وفاران بطن من قضاة وهو فاران بن بلي ، وبعضهم .

يقول : فران بكسر الأول وإليه ينسب معدن فران .

حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنا عن هاني بن المنذر أنه كان من العاليق ، وكان يكتب بأبي مرة .

وحدثنا يزيد بن أبي سلمة عن جرير عن عبد الملك بن ميسرة عن الزرّال ابن سبرة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : كان فرعون أترّماً ، ويقال : بل هو رجل من أترّمْ ، والله أعلم .

فمن زعم أنه من العاليق فقد ذكرنا السبب الذي به ملك العاليق مصر ، ومن زعم أنه من قران بن بليّ فإن سعيد بن عفير قد حدثنا قال : حدثنا عبد الله ابن أبي فاطمة عن مشائخه ، أن ملك مصر توفى ، فتنازع الملك جماعة من أبناء الملك ، ولم يكن الملك عهداً ، ولما عظم الخطب بينهم تداعوا إلى الصالح ، فاصطلحوا على أن يحكم بينهم أول من يطلع من الفج ، فج الجبل ، فاطلع فرعون بين عديليّ نظرّون ، قبل أقبل بهما ليبيعهما ، وهو رجل من قران بن بليّ ، فاستوقفوه ، وقالوا : إنا قد جعلناك حكماً بيننا فيما تشاجرنا فيه من الملك ، وآتوه موافقهم على الرضى ، فلما استوثق منهم قال : إني قد رأيت أن أملاك نفسي عايصكم ، فهو أذهب لضغائنكم وأجمع لأموركم ، والأمر من بعدُ إليكم ، فأترّوه عليهم لنفاسة بعضهم بعضاً ، وأقمده في دار الملك بمنف ، فأرسل إلى صاحب أمر كل واحد منهم ، فوعده ومناه ، أن يملكه على ملك صاحبه ، ووعدهم ليلة يقتل فيها كل رجل منهم صاحبه ، ففعلوا ، ودان له أولئك بالربوبية ، ولم يكن لهم تكبير الملوكة ، والله أعلم .

فملكهم نحو من خمسمائة سنة<sup>(١)</sup> ، وكان من أمره وأمر موسى عليه السلام ما قصّ الله تبارك وتعالى من خبرهم في القرآن .

(١) كذا في الأصل وليس له سند من تاريخ الأسر الحاكمة في مصر القديمة .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال ، فأقام فرعون ملك مصر خمسمائة سنة حتى أغرقه الله تعالى .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحسكم ، حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي ، قال : سمعت أبا الأشترس يقول ، مكث فرعون أربعين سنة ، الشباب يغمدو عليه ويروح .

حدثنا أبي ، حدثنا خلاد بن سليمان قال : سمعت إبراهيم بن مقسم قال : مكث فرعون أربعين سنة لم تُصدع له رأس ، وكان يملك فيما يذكر ما بين مصر إلى إفريقية .

وكان يقعد على كراسي فرعون ، كما حدثنا أسد عن خالد السكاكي عن أبي صالح عن أبي صالح عن ابن عباس ، مائتان ، عليهم الديباج وأساور الذهب ، وقد كان استعمل هامان على الناس ، فقال ياهامان ( إِنِّي لِي صَرَحًا ، لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ )<sup>(١)</sup> يعني أن من كل سماء إلى سماء سبب .

وشغل الله فرعون بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام ، ولم يبين له هامان الصريح .

### ذكر

#### صحل عظام يوسف إلى الشام

قال : وفي زمانه حملت عظام يوسف عليه السلام من مصر إلى الشام ، وكان سبب حمله فيما حدثنا محمد بن أسعد التلعلي عن أبي الأحوص عن سماك بن حرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل وهو قافل من الشام ، ومعه زيد بن حارثة ، فربيت شمر فريد ، وقد أمي ، فذنا من البيت ، فقال : السلام عليكم . فرد رب البيت .

(١) الآية : ٣٦ من سورة غافر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضيف .

قال : انزل .

فبات في قرى .

فلما أصبح وأراد الرحيل ، قال الشيخ .

— أضيفوا من بقية قراكم .

فأصابوا .

ثم أرحل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتح الله عليه جاء الشيخ على راحلته حتى أتاه باب المسجد ، ثم دخل ، فجعل يتصفح وجوه الرجال . فقالوا له :

— هذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— ما حاجتك ؟

قال :

— والله ما أدرى إلا أنه نزل بي رجل ، فأكرمت قراه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— وإنك لفلان .

قال : نعم .

قال : كيف أم فلان ؟

قال : بخير .

قال : فكيف حالكم ؟

قال : بخير .



وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين ارتحل من عنده : « إذا سمعت بنيّ قد ظهر بهامة فائته ، فإنك تصيب منه خيرا » .  
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمنّ ماشئت ، فإنك لن تمني اليوم شيئا إلا أعطيتك » .

قال : فإنّي أسألك ضأنا ثمانين .  
قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا عبد الرحمن بن عوف ، قم ، فأوفّها إياه .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، فقال : ما كان أحوج هذا الشيخ إلى أن يكون مثل عجوز موسى .

قال : قلنا يا رسول الله ، وما عجوز موسى ؟  
قال : بنت يوسف <sup>(١)</sup> ، عرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر ؛ فلما أسرى موسى ببني إسرائيل غشيتهم ضبابا ، حالت بينهم وبين الطريق أن يُبصروه ، وقيل لموسى ، لن تعبر إلا ومعك عظام يوسف .

قال : ومن يدرى أين موضعها ؟  
قالوا : ابنته عجوز كبيرة ذاهبة البصر ، تركناها في الديار .  
قال : فرجع موسى ، فلما سمعت حسة قالت :

— موسى ؟

قال : موسى .

قالت : ما ردّك ؟

---

(١) في نسخة س زيادة : اسمها سارح بفتح الراء ابنة آشر بن يعقوب ، إسرائيل الله ابن إبراهيم الخليل ، فهي ابنة أخى يوسف عليه السلام ، وقد دخلت مصر مع يعقوب ، ويقال : لما عاشت بعد موسى عليه السلام ، وأتاف عمرها ثلاثمائة وخمسين سنة .

قال : أسرّت أن أحمل عظام يوسف .

قالت : ما كنتم لتعبروا لولا أنا معكم .

قال : دُلّيني على عظام يوسف .

قالت : لا أقبل إلا أن تعطيني ما سألتك .

قال : فَلَكَ ما سألت .

قالت : خذ بيدي .

فأخذ بيدها ، فانتهت به إلى عمود على شاطئ النيل ، في أصله سكة من حديد مُوتدة فيها سلسلة ، فقالت .

— إنا كنا قد دفنناه من ذلك الجانب ، فأخصب ذلك الجانب ، وأجذب ذا الجانب ، فحوّله إلى هذا الجانب ، فأخصب هذا الجانب ، وأجذب ذاك<sup>(١)</sup> ، فلما رأينا ذلك جمعنا عظامه ، فجعلناها في صندوق من حديد ، وألقيناه في وسط النيل ، فأخصب الجانبان جميعاً .

قال : فحمل الصندوق على رقبته . وأخذ بيدها ، فألقها بالعسكر ، وقال لها : — سلى ما شئت .

قالت : فإني أسأل أن أكون أنا وأنت في درجة واحدة في الجنة ، ويرد على بصري وشبابي ، حتى أكون شابة كما كنت .

— قال : فَلَكَ ذلك .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان يوسف عليه السلام قد عهد عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر ، فتجهّز القوم وأخرجوا ، فتجسّروا ، فقال لهم موسى : إنا نحيركم

---

(١) ل نسخة ه ذلك الجانب الآخر .

هذا من أجل عظام يوسف ، فمن يدلني عليها ؟  
فقلت عجوز ، يقال لها سارح ابنة آشور بن يعقوب ، أنا رأيت عني - تعني  
يوسف - حين دفن ، فما تجعل لي إن دلتك عليه ؟  
قال : حُكُّك .

قال : فدلته عليها ، فأخذ عظام يوسف ، ثم قال : احتككي  
قالت : أكون معك حيث كنت في الجنة .  
حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرني ابن لهيعة عن من حدثه قال . قُبر يوسف  
عليه السلام بمصر ، فأقام بها نحو من ثلاثمائة سنة ، ثم حمل إلى بيت المقدس .  
ذكر

#### خروج بني إسرائيل من مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال . ثم غرق الله فرعون وجنوده  
في اليم حين اتبع بني إسرائيل ، وغرق معه من أشراف أهل مصر وأكابرهم  
ووجوههم أكثر من ألفي ألف<sup>(١)</sup> .

قال . وكان سبب اتباع فرعون بني إسرائيل كما حدثنا أسد بن موسى عن  
عن خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، أن الله تبارك  
وتعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ، أن أمر بعبادى .

قال : وكان بنو إسرائيل استعازوا من قوم فرعون خَلْيَاءَ وَثِيَابًا ، وقالوا . إن  
لنا عيدا مخرج إليهم ، فخرج بهم موسى ليلا ، وهم ستمائة ألف وثلاثه آلاف  
ونيف<sup>(٢)</sup> ، ليس فيهم ابن ستين ولا ابن عشرين سنة ، فذلك قول فرعون ( إن<sup>٣</sup>  
هؤلاء لشِرْدَمَةٌ قَلِيلُونَ ، وَإِنَّهُمْ لَنَا لِفَائِظُونَ<sup>(٤)</sup> ) :

- 
- (١) كذا في الأصل ، ولا يدل العدد على التحديد فيما أرى بقدر ما يدل على الكثرة .  
(٢) ليس في المراجع التاريخية الحديثة ما يؤيد هذا التحديد في العدد .  
(٣) الآية ٥٥ من سورة الشعراء ، وفي الأصل وإنا لهم لفائظون .

حدثنا أسد ، حدثنا السعدي عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال . خرجوا من مصر ، وهم ستمائة ألف وسبعون ألف ، فقال فرعون . إن هؤلاء لشرذمة قليلون .

قال . ثم رجع إلى حديث أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : وخرج فرعون ومعه خمسمائة ألف سوى المجنبتين والقلب .

قال خالد : وحدثنا أبو سعيد عن عكرمة قال : لم يخرج فرعون من زاد على الأربعين ولا دون العشرين . فذلك قول الله عز وجل : ( فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ <sup>(١)</sup> ) ، يعني استخف قومه في طلب موسى .

قال . وكان بنو إسرائيل كما حدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه ، أن بني إسرائيل كانوا الأربع من آل فرعون .

حدثنا أسد ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال ، خرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل ، فلما أصبح فرعون أمر بشاة ، فأثني بها ، فأمر بها تذبح ، ثم قال . لا يُفرغ من سلعها حتى يجتمع عندي خمسمائة ألف . من القبط ، فاجتمعوا إليه ، فقال لم فرعون : ( إن هؤلاء لشرذمة قليلون ) . وكان أصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفاً .

قال : فذلك موسى وأصحابه طريقاً يابساً في البحر ، فلما خرج آخر أصحاب موسى ، وتكامل آخر أصحاب فرعون اضطارم عليهم البحر ، فارثي سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون ، ففسد على ساحل البحر حتى ينظروا إليه .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا خالد بن عبد الله عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما انتهى موسى إلى البحر أقبل يوشع بن نون على فرسه ،

(١) الآية ٦٠ من سورة الشعراء .

فَشَى عَلَى الْمَاءِ ، وَأَخْتَمَ غَيْرَهُ خَيْوَلَهُمْ ، فَرَسَبُوا فِي الْمَاءِ ، وَخَرَجَ فِرْعَوْنُ فِي طَلِبِهِمْ حِينَ أَصْبَحَ وَبَعْدَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . ( فَأَنْبَتُوهُمْ حُشْبَرًا ، فَلَمَّا تَرَأَى الْأَكْثَمَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ <sup>(١)</sup> ) .

فَدَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَغَشِيَتْهُمْ ضِيَابَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقِيلَ لَهُ : ( اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ) فَفَعَلَ ، فَانْفَلَقَ ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) يَعْنِي الْجَبَلِ ، فَانْفَلَقَ فِيهِ اثْنَا عَشَرَ طَرِيقًا ، فَقَالُوا . إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُتَوَحَّلَ فِيهِ الْغَلِيلُ ، فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ، فَهَبْتَ عَلَيْهِمُ الصَّبَا ، فَجَفَّ .

فَقَالُوا : إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَقَ مِنَّا وَلَا نُشْعِرَ .

فَقَامَ بَعْضُهُمْ فَتَقَبَّ الْمَاءِ ، فَجَعَلَ بَيْنَهُمْ كُورًا <sup>(٢)</sup> حَتَّى يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، ثُمَّ دَخَلُوا حَتَّى جَاوَزُوا الْبَحْرَ ، وَأَقْبَلَ فِرْعَوْنُ حَتَّى اتَّعَى إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي عَبَرَ مِنْهُ مُوسَى ، وَطَرَّقَهُ عَلَى حَالِهَا .

فَقَالَ لَهُ أَدْلَاؤُهُ : إِنْ مُوسَى قَدْ سَحَرَ الْبَحْرَ حَتَّى صَارَ كَمَا تَرَى ، وَهُوَ قَوْلُهُ ( وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا <sup>(٣)</sup> ) يَعْنِي كَمَا هُوَ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ رَهْوًا ، قَالَ : سَمْتًا .

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْعَةَ عَنْ أَبِي صَيْخَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ : طَرِيقًا مُفْتَوَحًا .

حَدَّثَنَا أَبُو سَهْلٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ ابْنِ أَبِي تَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : مُفْتَوَحًا .

وَحَدَّثَنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قُتَادَةَ عَنْ الْحُسَيْنِ قَالَ بِصَهْلًا دَنِيًّا .

(١) الْآيَةُ ١٦٠ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(٢) جَمْعُ كُوَّةٍ وَهِيَ الْهَلَاكَةُ .

(٣) فِي لِسَانِهِ زِيَادَةٌ : إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ ، الْآيَةُ ٢٤ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

قال : وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنه هو السهل .

ثم رجع إلى حديث أسد عن خالد بن عبد الله السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس ... فخذ هاهنا حتى نلحقهم ، وهو مسيرة ثلاثة أيام في البر ، وكان فرعون يومئذ على حصان ، وأقبل جبريل عليه السلام على فرس أنثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة ، ففرقوا في الناس ، وتقدم جبريل عليه السلام ، فسار بين يدي فرعون ، وتبعه فرعون ، وصاحت الملائكة في الناس ، الحقوا الملك ؛ حتى إذا دخل آخرهم ولم يخرج أولهم التقى البحر عليهم ، ففرقوا .

فسمع بنو إسرائيل وجبة البحر حين التقى ، فقالوا : ما هذا ؟

قال موسى : غرق فرعون وأصحابه .

فرجعوا ينظرون ، فالتاهم البحر على الساحل .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا الحسن بن بلال عن حماد بن سلمة عن علي ابن زيد عن يوسف بن مهران<sup>(١)</sup> عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أغرق الله آل فرعون قال فرعون ، آمنتُ بالذي آمنتُ به به إسرائيل ، قال جبريل ، يا محمد ، لو رأيته وأنا آخذ من حال<sup>(٢)</sup> البحر فأدُسُّه في فم فرعون لخافة أن تدركه الرحمة .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا أبو علي عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن مجاهد قال : كان جبريل بين بني إسرائيل وبين آل فرعون ، فجعل يقول لبني إسرائيل ، ليأخذكم آخركم بأولكم ؛ ويستقبل آل فرعون فيقول ، رؤيتمكم ليأخذكم آخركم ؛ فقالت بنو إسرائيل : ما رأينا سائفاً أحسن سيقاً من هذا ؛ وقال آل فرعون : ما رأينا وازعاً أحسن زعة من هذا .

(١) في نسخة د مهران ، وهو يوسف بن مهران البصري ولم يرو عنه إلا ابن جديعان .

(٢) الحال هو الطين .

فلما انتهى موسى وبنو إسرائيل إلى البحر قال مؤمنوا آل فرعون :  
يا نبي الله ، أين أمرت ؟ هذا البحر أمامك ، وقد غشيناه آل فرعون .  
فقال ، أمرت بالبحر .

فأقم مؤمن من آل فرعون فرسه ، فردّه التيار ، فقال : يا نبي الله ،  
أين أمرت ؟  
فقال : بالبحر .

قال : فأقم أيضا فرسه ، فردّه التيار .  
فجعل موسى عليه السلام لا يدرى كيف يصنع ، وكان الله عز وجل قد  
أوحى إلى البحر أن أطع موسى ، وآية ذلك إذا ضربك بمصاه .

قال : ثم رجع إلى حديث أسد عن خالد عن الكلبي عن أبي صالح عن  
ابن عباس قال : وخرج فرعون ، ومعه مئمة خمسمائة ألف سوى المجنبتين  
والقلب ؛ ويقال : إن موسى عليه السلاح قتل عوجاً<sup>(١)</sup> بمصر .

حدثنا عمرو بن خالد ، حدثنا زهير بن معاوية ، حدثنا أبو إسحاق ،  
قال زهير : أراه عن نَوْفٍ<sup>(٢)</sup> .

قال : كان طول سرير<sup>(٣)</sup> عوج الذي قتله موسى ثمانمائة ذراع ، وعرضه  
أربعمائة ، وكانت عصا موسى عليه السلام عشرة أذرع ، ووثبته حين وثب

---

(١) كذا في الأصل ، وخبر موسى مع عوج لا سند له في التاريخ ، ومثل هذه الرواية  
تختلف عن أفاصيل تموزها الأدلة .

(٢) في نسخة د زيادة فوق السمار - يعني البسكائي - وفي تقريب التهذيب هو نَوْف  
ابن فضالة البكالي ابن امرأة كعب ، وهو شاي مستور ، وكذب ابن عباس ما رواه عن  
أهل الكتاب ، وقد مات بعد التسعين .

(٣) لم تكشف الآثار الفرعونية من شيء مثل هذا السرير ، والخبر في روايته يمثل  
لأساطير المتخيلة في عقول الأجيال ، بعضها عن بعض .

إليه عشرة أذرع ، وطول موسى كذا وكذا ، فضربه ، فأصاب كعبه ، فخرَّ على نيل مصر ، فحسره للناس عاما ، يمرّون على صابيه وأضلاعه .

### ذكر

الملكة دلوكة<sup>(١)</sup>

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال ، فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ، ولم يبق بها إلا العبيد والاجراء والنساء ؛ فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا ، وأجمعن رأيهن أن يولين امرأة منهن ، يقال لها دلوكة ابنة زبّاء ، وكان لها عقل ومعرفة وتجارب ، وكانت في شرف منهن وموضع ، وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين سنة ، فمسلكوها .

خافت أن يتناولها ملوك الأرض ، فجمعت نساء الأشراف ، فقالت لهن : إن بلادنا لم يكن فيها مطعم لأحد ، ولا يمد عينه إليها ، وقد هلك أكابرنا وأشرافنا ، وتذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم ، وقد رأيت أن أبني حصنا أحديق به جميع بلادنا ، فأضع عليه المحارس من كل ناحية ، فإنه لا نأمن أن يطعم فينا الناس .

فبنت جداراً أحاطت به على جميع أرض مصر كلها ، المزارع والمدائن والقرى ، وجعلت دونه خليجاً فيه الماء ، وأقامت القناطر وانتزع ، وجعلت فيه محارس ومسالح ، على كل ثلاثة أميال محرس ومسليحة ، وفيما بين ذلك محارس صفار على كل فيل ، وجعلت في كل محرس رجالاً ، وأجرت عليهم الأرزاق ، وأمرتهم أن يمحرسوا بالأجراس ، فإذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم إلى بعض بالأجراس ،

---

(١) قصة هذه الملكة لا وجود لها في كتب التاريخ الحديثة ، وقد شاعت عند المؤرخين القدامى ، الذين لم تتوفر لديهم الكشوف الحديثة .



فأتاهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فنظروا فى ذلك ، فنبعت بذلك مصر من أرواحها .

قال غير عثمان : وفرغت من بنائى فى ستة أشهر ، وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز<sup>(١)</sup> بمصر ، وقد بقيت بالصعيد منه بقايا .

ذكر

عمل البرابى<sup>(٢)</sup>

قال عثمان بن صالح فى حديثه : وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها ندورة ، وكانت السحرة تعظمها وتقدها فى علمهم وسحرم ، فبعثت إليها دلوكة ابنة زباء ، إنقاذ احتجنا إلى سحرك ، وفزعنا إليك ، ولا نأمن أن يقطع فينا الملك ، فاعلى لنا شيئاً تغلب به من حولنا ؛ فقد كان فرعون يحتاج إليك<sup>(٣)</sup> ، فكيف وقد ذهب أكابرنا ، وبقي أقلنا ؟

فعملت زبأمن حجارة فى وسط مدينة منف ، وجعلت له أربعة أبواب ،

(١) له الجدار الذى بناه الملك مينا حول عاصمة ملوك ( منف ) بعد توحيد الإقليم ليأمن غارة أعدائه .

(٢) البرابى جرم برابا ، وهو الهيكال والبدع ، وكان بناء عقابا من الحجارة على أشكال مختلفة ، فيه مواضع الصحن والسحق والحل والمقد والتطير مما يدل على أن البرابى قد عملت لصناعة السكيباء ، وفى هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرك ما هى . ومن أشهر هذه البرابى برابا أخيم ، وهو من المعابد لما كان فيه من الصور ، وبرابا دندرة ، وكان فيه تماثيل ومائة كوة ، تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ، ثم من الثانية حتى تنتهى إلى آخرها ثم تسكر راجعة إلى موضع بدئها .

وكان ذو النون الأغمى يقرأ البرابى ، ويرى فيها حكما عظيمة .

( المخطوط القرىزة - القسم الأول من الجزء الأول طبعة لبنان ) .

وقال السعوى إن السكاهنة دلوكة قد اتخذت بمصر البرابى ، وجعلت فيها صور من برد من كل ناحية ، وذكر البيرونى أن هذه البرابى قد استجسكت على أشكال الفلك لأعمال الرصد .

( ٣ ) فى نسخة ه - إلى سحرك .

كل باب منها إلى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق ، وصورت فيه صور الخيل والبغال والخيول والسفن والرجال .

وقالت لهم : عملت لكم عملا يهلك به كل من أراكم من جهة تؤتون منها ، برا وبحرا ، وهذا ما يقتلكم عن الحصن ، ويقطع عليكم مئنته ، فن أتاكم منه أى جهة ، فإنهم إن كانوا فى البحر ، على خيل أو بغال وإبل ، أوفى سفن ، أور رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التى يأتون منها ، فافعلتم بالصور من شىء أصابهم ذلك فى أنفسهم على ما تفعلون بهم .

فلما بلغ الملك حولم أن أمرهم قد صار إلى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا إليهم ؛ فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا ، فطفقوا لا يهيجون تلك الصور شىء ، ولا يفعلون بها شيئا إلا أصاب ذلك الجيش الذى أقبل إليهم مثله ، إن كانت خيلا فافعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رءسها أو سوقها أو فقه أعينها أو بقر بطونها أثر مثل ذلك بالخيل التى أرادتهم ، وإن كانت سفنا أور رجالة فكمثل ذلك .

وكانوا أعلم بالسحر ، وأقوام عليه ؛ وانتشر ذلك ، فتناذروا الناس .

## ذكر

ملك مصر بعد العجوز دلوكة :

وكان نساء أهل مصر حين عرق من عرق منهم مع فرعون من أشرافهم ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبرن عن الرجال ، فطفقت المرأة تمتق عبدها وتنزوجه ، وتنزوج الأخرى أجبرها ، وشرطن على الرجال ألا يفعلوا شيئا إلا بإذنهن ، فأجابوهن إلى ذلك ؛ فكان أمر النساء على الرجال .

قال عثمان : تحدثنى ابن لميعة عن يزيد بن أبى حبيب أن القبط على ذلك

إلى اليوم اتباعاً لمن مضى منهم ، لا يبيع أحدهم ولا يشتري إلا قال ، استأمر امرأتي .

فلسكتهم بلوكة ابنة زَبَاء<sup>(١)</sup> عشرين سنة ، تدبر أمرهم بمصر ، حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم وأشرافهم يقال له ، دَرَّ كُون بن بلوطس ، فلسكوه عليهم ، فلم تزل مصر ممتلئة بتدبير تلك المعجوز نحو من أربعائة سنة .

قال : ثم مات دركون بن بلوطس<sup>(٢)</sup> ، فاستخلف ابنه بُودس بن دركون ، ثم توفي بودس بن دركون ، فاستخلف أخاه لُقاس بن تدارس ، فلم يمكث إلا ثلاث سنين حتى مات ؛ ولم يترك ولدا ، فاستخلف أخاه مَرِيئَا بن مَرِيئُوس .

قال : ثم توفي مريئا بن مريئوس فاستخلف استمارس بن مريئا ، فطفي وتكبر ، وسفك الدم وأظهر الفاحشة ، فأعظموا ذلك وأجمعوا على خلعهم ، فخلعوه وقتلوه ، وبايعوا رجلا من أشرافهم ، يقال له بلوطس بن مناكيل ، فملكهم أربعين سنة ؛ ثم توفي بلوطس بن مناكيل ؛ ، فاستخلف ابنه مالوس بن بلوطس ، ثم توفي مالوس بن بلوطس ، فاستخلف أخاه مناكيل بن بلوطس بن مناكيل فلسكتهم زمانا ، ثم توفي ، فاستخلف ابنه بُولة بن مناكيل ، فلسكتهم مائة سنة وعشرين ، وهو الأعرج الذي سبي ملك بيت المقدس ، وقدم به إلى مصر .

وكان بُولة قد تمسكن في البلاد وبلغ ميلغا لم يبلغه أحد ممن كان قبله بعد فرعون وطني ، فقتله الله تعالى ، صرعته دابته ، فدقت عنقه ، فمات .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله<sup>(٣)</sup> ، حدثنا الكلاعي عن تميم عن كعب قال : لما مات سليمان بن داود عليه السلام ملك بعده مَرَّحِب عم

(١) ليس في كتيب التاريخ المعتمدة ما يشير لهذه الأسماء .

(٢) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد اللزني ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان مولده سنة عشرين ومائة . وفي النسخ د ، هـ ، أنه عبد الله بن خالد ، أنظر صحيفة ٢٦٣ من كتاب تقريب التهذيب .

سليمان ، فسار إليه ملك مصر ، فقاتله ، وأصاب الأثرسة الذهب التي عملها سليمان عليه السلام ، فذهب بها .

وأخبرني شيخ من أهل مصر من أهل العلم أن الخلوغ الذي خلعه أهل مصر إنما هو بؤلة ، وذلك أنه دعا الوزراء ، ومن كانت الملوك قبله تجري عليهم الأرزاق والجواز ، فسكاته استكثر ذلك . فقال لهم : إني أريد أن أسألكم عن أشياء ، فإن أخبروني بها زدت في أرزاقكم ورفعت من أقداركم ، وإن أنتم لم تخبروني بها ضربت أعناقكم .

فقالوا له : سألنا عما شئت .

فقال لهم : أخبروني ما يفعل الله تعالى كل يوم ؟ وكم عدد نجوم السماء ؟ وكما مقدار ما تستحق الشمس في كل يوم من ابن آدم ؟

فاستأجلوه في ذلك شهرا ، فكاوا يخرجون في كل يوم إلى خارج مدينة منف ، فيقفون في ظل قرموس<sup>(١)</sup> يتباحثون<sup>(٢)</sup> ما هم فيه ، ثم يرجعون وصاحب القرموس ينظر إليهم .

فأنام ذات يوم ، فسألهم عن أمرهم ، فأخبروه ، فقال لهم :

— عندي علم ما تريدون إلا أن لي قرموسا لا يستطيع أن أعطاه ، فليقع درجل منكم مكانا يعمل فيه ، وأعطوني دابة كدوايتكم ، وألبسوني ثيابا كثيابكم . ففعلوا .

وكان في المدينة ابن لبعض ملوكهم قد ساءت حالته ، فأناه القرموسى ، فسأله القيام بملك أبيه ، وطلبه .

فقال له : ليس يخرج هذا — يريد الملك — من مدينة منف .

فقال : أنا أخرجه لك .

(١) قرموس : الأتون الذي يعمل فيه الفخار ، وقد جاء في لسان العرب ، القرموس حفرة يحفرها الرجل يكتن فيها من البرد .  
(٢) في نسخة يتباثون .

وجمع له مالا .  
ثم أقبل القرموسى حتى دخل على بولة ، فأخبره أن عنده علم  
ما سأل عنه .

فقال له : أخبرنى كم عدد نجوم السماء ؟  
فأخرج القرموسى جراباً من زمل كان معه ، فنشره بين يديه ، وقال له :  
— مثل عدد هذا .

قال : وما يدريك ؟

قال : مرٌّ من بعده .

قال : فكم مقدار ما تستحق الشمس كل يوم عن ابن آدم ؟

قال : قيرطاً ، لأن العامل يعمل يومه إلى الليل ، فيأخذ ذلك قى أجرته .

قال : فما يفعل الله عز وجل كل يوم ؟

قال له : أريك ذلك غداً .

فخرج من عنده حتى أوقفه على أحد وزرائه الذى أقعده القرموسى مكانه ،  
فقال له : يفعل الله عز وجل كل يوم ، أن يُدِلَّ قوماً ويُوزِّ قوماً ، ويميت قوماً ،  
ومن ذلك أن هذا وزير من وزراءك قاعد يعمل على قرموس ، وأنا صاحب قرموس  
على دابة من دواب الملوك ، وعلى لباس من لباسهم ، أو كما قال له .

وأن فلان بن فلان قد أغلق عليك مدينة منف .

فرجع مُبادراً ، فإذا مدينة منف قد أغلقت ، ووثبوا مع الغلام على بولة ،  
فخلعوه ، فوسَّس ، فكان يقعد على باب مدينة منف يوسوس ويهذى ،  
فذلك قول القبط إذا كلم أحدهم بما لا يريد قال : شجناك من بولة ، يريد بذلك  
الملك لوسوسته ، والله أعلم .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال ، ثم استخلف مريئوس بن

بولة ، فملكهم زمانا ، ثم توفي ، واستخلف ابنه قرقورة بن مريئوس ،  
فملكهم ستين سنة ، واستخلف أخاه لقاس بن مريئوس .

وكان كلاهما من ذلك البريا الذي فيه الصور شيء لم يقدر أحد  
على إصلاحه إلا تلك العجوز وولدها وولد ولدها ، وكانوا أهل بيت لا يعرف  
ذلك غيرهم .

فانقطع أهل ذلك البيت ، وانهدم من البريا موضع في زمان لقاس بن مريئوس ،  
فلم يقدر أحد على إصلاحه ومعرفة علمه ، وبقي على حاله ، وانقطع ما كانوا يقهررون  
به الناس ، وبقوا كغيرهم ، إلا أن الجمع كثير والمال عندهم .

### ذكر

#### دخول بخت نصر مصر

قال : ثم توفي لقاس ، واستخلف ابنه قوريس بن لقاس ، فملكهم دهرًا ،  
فلما قدم بخت نصر بيت المقدس كما حدثنا وثيمة بن موسى وغيره ، وظهر على  
بنى إسرائيل ، وسباهم ، وخرج بهم إلى أرض بابل<sup>(١)</sup> أقام إرميا بإيلياء<sup>(٢)</sup> ،  
وهي خراب ، ينوح عليها ، ويبكي .

فاجتمع إلى إرميا بقايا من بنى إسرائيل كانوا متفرقين حين بلغهم مقامه  
بإيلياء ، فقال لهم إرميا :

— أقيموا بنا في أرضنا لتستغفر الله ، وتنبؤ إليهم ، لعلهم يتوب علينا .

فقالوا : إنا نخاف أن يسمع بنا بخت نصر ، فيبعث إلينا ، ونكون شر ذمة  
قليون ، ولسكننا نذهب إلى ملك مصر ، فنستجير به ، وندخل في ذمته .

---

(١) بابل مدينة قديمة مكانها الكوفة ، وكان ينزل بها السككديون في الزمن الأول ،  
وابتدأوا بها للدائن حتى اتصلت مساكنهم بدجلة والفرات . وكانت إحدى المجانب ،  
(٢) بإيلياء مدينة بيت المقدس .

فقال لهم إرميا : ذمة الله عز وجل أوفى الذِّمَمِ لَكُمْ ، وَلَا يَسْعَمُ أَمَانُ  
أَحَدٍ مِنَ الْأَرْضِ إِنْ أَخَافَكُمْ .

فانطلق أولئك النفر من بني إسرائيل إلى قومس بن لقاس ، واعتصموا  
به لما يعلمون من منفعته ، وشكروا إليه شأهم .

فقال : أنتم في ذمَّتِي .

فأرسل إليه بخت نصر ، إِنْ لِي رِقَبَتِكَ عبيداً أَبْقُوا مِنِّي ، فابعث بهم إليّ .

فكتب إليه قومس : ما هم بعييدك ، هم أهل النبوة والكتاب وأبناء  
الأحرار ، اعتديت عليهم وظلمتهم .

فخلف بخت نصر ، لئن لم يردّهم ليفزّون بلادهم .

وَأَلْحَا جِيحَا .

وأوحى الله إلى إرميا ، إِنْ مَظْهَرَ بَخْتَ نَصْرٍ عَلَى هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي أَخَذُوهُ  
حِرْزاً<sup>(١)</sup> : وَأَنَّهُمْ لَوْ أَطَاعُوا أَمْرَكَ ، ثُمَّ أَطَبَقْتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَجَعَلْتُ  
لَهُمْ مِنْ يَتِّمِهَا مَخْرَجاً ، وَإِنِّي أَقْسَمُ بِعِزَّتِي لَأَعْلَمَنَّكُمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ قِيَصٌ وَلَا مَلْجَأٌ  
إِلَّا طَاعَتِي وَاتِّبَاعُ أَمْرِي .

فلما سمع بذلك إرميا رحيمهم وبادر إليهم ، فقال :

— إِنْ لَمْ تَطِيعُونِي أَسْرَكْتُ بَخْتَ نَصْرٍ وَقَتْلَكُمْ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ مَوْضِعَ  
سَرِيرِهِ الَّذِي يَضَعُهُ بَعْدَمَا يَظْفَرُ بِمَصْرٍ ، وَيَمْلِكُهَا ، ثُمَّ عَمِدَ فَذَفَنَ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ  
فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضَعُ فِيهِ بَخْتَ نَصْرٍ سَرِيرَهُ ، وَقَالَ : يَقَعُ كُلُّ قَائِمَةٍ مِنْ سَرِيرِهِ  
عَلَى حِجَرٍ مِنْهَا .

فَلَجَّوْا فِي رَأْيِهِمْ .

---

(١) فِي نَسْخَةِ دُحُوزَا .

فسار بخت نصر إلى قومس بن لقاس<sup>(١)</sup> ملك مصر ، فقال له سنة ، ثم ظفر بخت نصر فقتل قومس قوس ، وسبي جميع أهل مصر<sup>(٢)</sup> ، وقتل من قتل . فلما أراد قتل من أسر منهم ، ووضع له سريره في الموضع الذي وصف إرميا ، ووقعت كل قائمة من سريره على حجر من تلك الحجارة التي دفن .

فلما أتى بالأسارى أتى معهم إرميا فقال له بخت نصر :

-- ألا أراك مع أعدائى بعد أن أمنتك وأكرمتك ؟

فقال له إرميا : إنما جئتهم محذرا ، وأخبرتهم خبرك ، وقد وضعت لهم علامة تحت سريرك ، وأريتهم موضعه .

قال بخت نصر : وما مصداق ذلك ؟

قال إرميا : ارفع سريرك ، فإن تحت كل قائمة منه حجرا دفنته .

فلما رفع سريره وجد مصداق ذلك ، فقال لإرميا .

— لو أعلم أن فيهم خيرا لو هبهم لك .

فقتلهم ، وأخرب مدائن مصر ، وقراها ، وسبي جميع أهلها ، ولم يترك بها أحدا ، حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ، ليس فيها ساكن ، يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به .

فأقام إرميا بمصر ، واتخذ بها جنيته وزرعا يعيش به ، فأوحى إليه ، إن لك عن الزرع والمقام بمصر شغلا ، فكيف تسمك أرض وأنت تعلم سخطى على قومك ، فالحق ببابلأيا حتى يبلغ كقائى أجله ؛ فخرج منها إرميا حتى أتى بيت المقدس .

ثم إن بخت نصر رد أهل مصر إليها بعد أربعين سنة ، فعمروها ، فلم تزل مصر مقهورة من يومئذ .

(١) ليس بين ملوك مصر ملك بهذا الاسم .

(٢) رواية غير مقولة .



وحدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم، وأبو الأسود قالاً : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، أنه قدم من الشام إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال له عبد الله بن عمر :

— ما أقدمك إلى بلادنا ؟

قال : أنت

قال : لماذا ؟

قال : كنتَ تحدثنا أن مصر أسرع الأرضين خراباً، ثم أراك قد اتخذت فيها الرباع، وبُنيت فيها القصور، وأطمأنت فيها .

فقال : إن مصر قد آوتت خرابها، حطَّمتها بخت مصر، فلم يدع فيها إلا السباع والضباع، وقد مضى خرابها، فهي اليوم أطيب الأرضين تراباً، وأبعده خراباً، ولن تزال فيها بركة مادام في شيء من الأرضين بركة.

وحدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد عن أبي قبيل نحوه، قال : فزعم بعض مشايخ أهل مصر، أن الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها، أنهم كانوا يُقرِّون القرى في أيدي أهلها، كل قرية بَكْرَاءٍ معلوم، لا ينقص عليهم : إلا في كل أربع سنين من أجل الظمأ وتقل اليسار، فإذا مضت أربع سنين نُقص ذلك، وعدِّلَ تمديلاً جديداً، فيُرفق بين استحقاق الرفق، ويزاد على من يحتمل الزيادة، ولا يحتمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم، فإذا جُبري الخراج وجمع كان للكل من ذلك الرُّبْعُ خالصاً لنفسه، يصنع به ما يريد، والرَّبع الثاني لجندة ومن يقوى به على حرب وجباية خراجهِ ودفع عدوِّه، والرَّبع الثالث في مصلحة الأرض وما يحتاج إليه من جسورها وحفر خُلجها وبناء قناطرها، والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والرَّبع الرابع يخرج منه رُبْعٌ ما يصيب كل قرية من خراجها، فيُدْفَن ذلك فيها لتأبئة نزل، أو جأحة بأهل القرية،

فكانوا على ذلك ، وهذا الربع الذي يدفن في كل قرية من خراجها هي كنوز  
فرعون التي تحدث الناس بها ، أنبأ سيظهر ، فيطلبها الذين يتبعون السكتوز .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل  
قال : خرج وردان من عند مشاة بن مخلد ، وهو أمير على مصر ، فرأى  
على عبد الله بن عمرو مستعجلاً ، فناداه أين تريد <sup>(١)</sup> يا أبا عبيد ؟

قال : أرسلني الأمير مسلمة ، إن آتني منف ، فأحفر له عن كنز فرعون .

قال : فأرجع إليه ، وأقره متى السلام ، وقل له ، إن كنز فرعون ليس  
لك ولا لأصحابك ، إنما هو للحبشة ، إنهم يأتون في سفنهم يريدون القسطنطين ،  
فيسيرون حتى ينزلوا منف ، فيظهر لهم كنز فرعون ، فيأخذون منه ما يشاءون ،  
فيقولون ، ما نبتني غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون ويخرج المسلمون في  
في آثارهم ، فيذركونهم ، فيقتتلون ، فتمزج الحبش ، فيقتلهم المسلمون ،  
ويأسرونهم ، حتى إن الحبشي ليبيع بالكساء <sup>(٢)</sup> .

## ذكر

### ظهور الروم وفارس على مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره . قال ، ثم ظهرت الروم  
وفارس على سائر الملوك الذين في وسط الأرض ، فقاتلت الروم أهل مصر  
ثلاث سنين ، يحاصرهم ، وصاروا في القتال في البر والبحر .

فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم على أن يدفعوا إليهم شيئاً مسمى  
في كل عام ، على أن يتمتعوا ويكونوا في ذمتهم .

(١) في نسخة هـ ابن يزيد .

(٢) رواية تفتقر لدليل وليس لها سند من التاريخ الصحيح .

ثم ظهرت فارس على الروم ، فلما غلبوهم على الشام رغبوا في مصر ، وطمعوا فيها ، فامتنع أهل مصر ، وأعاتهم الروم ، وقامت ديارهم ، وألحقت عليهم فارس ، فلما خشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس على أن يكون ماصالحوا به الروم بين الروم وفارس ؛ فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها ، فكان ذلك الصلح على أهل مصر .

وأقامت مصر بين الروم وفارس نصفين سبع سنين ، ثم استجاشت الروم وتظاهرت على فارس ، وألحقت بالقتال والتدّد حتى ظهرها عليهم ، وخربروا مصانعهم أجمع ، وديارهم التي بالشام ومصر ، وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل وفاته ، وبعد ظهور الإسلام ، فصارت الشام كلها وصالح أهل مصر كله خالصاً للروم ، وليس لفارس في شيء من الشام ومصر شيء <sup>(١)</sup> .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد <sup>(٢)</sup> عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب قال : كان المشركون يجادلون المسلمين بمكة ، فيقولون : الروم أهل الكتاب ، وقد غلبتهم الدجوس ، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذي معكم ، الذي أنزل على نبيكم ، فستغلبكم كما غلبت فارس الروم ، فأرسل الله تبارك وتعالى ( ألم ، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِي بَضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصِرُ مَنْ يُشَآءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) <sup>(٣)</sup> .

قال ابن شهاب ، وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه قال ، لما أنزلت هاتان الآيتان ناحب <sup>(٤)</sup> أبو بكر بعض المشركين قبل أن

(١) رواية غير دقيقة ، أنظر كتاب مختصر تاريخ الدولة لابن العبري المطبوع سنة

١٦٦٣ ، وراجع كتاب ، فتح العرب لمصر ، للدكتور بتر .

(٢) في نسخة هـ زيادة انظر ابن .

(٣) الآية الأولى من سورة الروم .

(٤) ناحب : حاكم أو قاضي .

يَحْرَمُ الْقِيَارُ عَلَى شَيْءٍ إِنْ لَمْ تَنْلُبِ الرُّومَ فَارِسَ فِي سَبْعِ سَنِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لِمَ قُلْتُمْ ؟ فَكُلُّ مَا دُونَ الْعَشْرِ يَضَعُ .

فَكَانَ ظُهُورُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ فِي سَبْعِ سَنِينَ ، ثُمَّ أَظْهَرَ اللَّهُ الرُّومَ عَلَى فَارِسَ زَمَانَ التَّحْدِيثِيَّةِ ، فَفَرَحَ الْمُسْلِمُونَ بِنَصْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ .

قَالَ غَيْرُ عُمَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ : وَكَانَتْ الْفَرَسُ قَدْ أَسَسَتْ بِنَاءَ الْحِصْنِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابَايُونَ<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ الْحِصْنُ الَّذِي بِفَسْطَاطِ مِصْرَ الْيَوْمِ ، فَلَمَّا انْكَشَفَتْ جُمُوعُ فَارِسَ عَنِ الرُّومِ ، وَأَخْرَجَتْهُمْ الرُّومُ مِنَ الشَّامِ أَتَمَّتِ الرُّومُ بِنَاءَ ذَلِكَ الْحِصْنِ ، وَأَقَامَتْ بِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ مِصْرَ فِي مَلِكِ الرُّومِ حَتَّى فَتَحَهَا اللَّهُ تَمَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلَيْدٍ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو لَهِيْعَةَ قَالَ ، يُقَالُ فَارِسَ وَالرُّومُ قُرَيْشُ الْعَجَمِ .

## ذِكْرُ

### انْكَشَافُ فَارِسَ عَنِ الرُّومِ

قَالَ : وَكَانَ سَبَبُ انْكَشَافِ فَارِسَ عَنِ الرُّومِ كَمَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ عَنْ الْحَقْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ يُحْيَى الصَّدِّقِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ<sup>(٢)</sup> أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسْأَلُ الْهُزْمُزَانَ عَظِيمَ الْأَهْوَازِ<sup>(٣)</sup> عَنِ السَّبَبِ الَّذِي كَانَ سَبَبَ انْكَشَافِ فَارِسَ عَنْهُمْ .

(١) فِي الْأَصْلِ : بَابُ الْيُونِ .

(٢) فِي نَسْخَةِ هَذَا حَلِيفٌ صَحِيحٌ ، وَرَوَاهُ الْقَعْلِيُّ فِي الزُّهْرِيَّاتِ ، وَيُسَمُّوهُ الْقُدُورِيَّ فِي تَارِيخِهِ .

(٣) الْأَهْوَازُ سَبْعُ كُورٍ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَفَارِسَ ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا اسْمٌ ، وَابْنُ الْأَهْوَازِ وَاحِدٌ مِنْ لَفْظِهِ .

فقال له الهرمزان: كان كسرى<sup>(١)</sup> بعث شهر براز<sup>(٢)</sup> ، وبعث معه جنود فارس قتل الشام ومصر ، وخرَّب عامة حصون الروم ، وطال زمانه بالشام ومصر وتلك الأرض ، فطلق كسرى يستبطئه ، ويكتب إليه ، إنك لو أردت أن تفتح مدينة الروم فتحتها ، ولكذك قد رضيت بمكانك وأردت طول الاستيطان .

وكتب إلى عظيم من عظماء فارس مع شهر براز ، يأمره أن يقتل شهر براز ، ويتولى أمر الجنود ، فكتب إليه ذلك العظيم يذكر ، أن شهر براز جاهد ناصح ، وأنه أبلى بالحرب منه .

قال : فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقتلته ، فكتب إليه أيضاً راجعه ، ويقول ، إنه ليس لك عبد مثل شهر براز ، وإنك لو تعلم ما يدارى من مكايده الروم لمذرته .

فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقتلته وليتولى أمر الجنود ، فكتب إليه أيضاً راجعه ، فغضب كسرى ، وكتب إلى شهر براز يعزم عليه ليقتل ذلك العظيم ، فأرسل شهر براز إلى ذلك العظيم من فارس ، فأقرأه كتاب كسرى ، فقال له : راجع في .

قال : علمت أن كسرى لا يراجع ، وقد علمت حسن صحابتي إياك ولستكن جاءني مبالا أستطيع تركه .

فقال له ذلك الرجل : ولا آتي أهلي ، فأمر فيهم بأمرى ، وأعهد إليهم عهدي؟ قال : بلى ، وذلك الذي أملك لك .

فانطلق حتى أتى أهله ، فأخذ صحائف كسرى الثلاث التي كتب إليه ،

(١) تضيف نسخة ١ ، ب ابروز ابن أنوتروان ( راجع الطبري ص ٢٩٢ ) تحقيق تولدك ، طبعة أوربة

(٢) لفظ شهر براز ليس اسماً ، بل هو لقب ، واسم هذا القائد ، خوريام ، ورد في كتب مؤرخي القس باسم ، كراز .

فجلبها في كَيْتِه ، ثم جاء حتى دخل على شهر براز ، فدفع إليه الصحيفة الأولى .  
فقرأها شهر براز .

فقال له : أنت خير مني .

ثم دفع إليه الصحيفة الثانية ، فقرأها ، ونزل عن مجلسه . وقال له :  
— اجلس عليه .

فأبى أن يفعل .

فدفع إليه الصحيفة الثالثة ، فقرأها ، ولم يفرغ شهر براز من قراءتها حتى قال :  
أقسم بالله لأـوَدَّ أن كسرى ، وأُـجَمَعَ المسكر بكسرى .

وكان هرقل ، فذكر له أن كسرى قد أفسد فارس ، وجهر يُعوثا ، وابتليت  
بطول ماسكه ، وسأله أن يلقاه بمسكان نصف ، مُحْكَمِ الأمر فيه ، ويتعاهدان فيه ،  
ثم يكشف عنه جنود فارس ، ويخلى بينه وبين المسير إلى كسرى :

فلما جاء هرقل كتاب شهر براز دُعاه طام من عظماء الروم ، فقال لهم :

— اجلسوا ، أنا اليوم أحزم الناس ، أو أجزع الناس ، قد أتاني مالا تحسبونه <sup>(١)</sup>  
وسأعرضه عليكم ، فأشيروا على فيه .

ثم قرأ عليهم كتاب شهر براز ، فاختلّفوا عليه في الرأي ، فقال بعضهم :  
هذا مكر من قِبَل كسرى ، وقال بعضهم : أراد هذا العبد أن يلقاك ، وخاف من  
كسرى فيستغيث ، ثم لا يبالي مالقى ..

قال هرقل : إن هذا الرأي ليس حيث ذهبتم إليه ، إنه ما طابت نفس كسرى أن  
يُشتم هذا الشتم الذي أجد في كتاب شهر براز ، وما كان شهر براز ليكتبه إلى بهذا .

---

(١) في نسخة « — تحسبونه وسأعرض — » .

وهو ظاهر على عامة ملوكي إلا من أمر حدث بينه وبين كسرى ، وإنى والله  
لألقيته .

فكتب إليه هرقل ، قد بلغنى كتابك ، وفهمت الذى ذكرت ، وإنى لانيك ،  
فوعدك بموضع كذا وكذا ، فأخرج معك بأربعة آلاف من أصحابك ، فإنى خارج  
بمنهم ، فإذا بلغت موضع كذا وكذا فضع بمن معك خمسمائة ، فإنى سأضع بمكان  
كذا وكذا مثلهم ، ثم ضع بمكان كذا وكذا مثلهم حتى نلتقى أنا وأنت فى  
خمسائة وخمسمائة .

وبعث هرقل الرسل من عنده إلى شهر براز ، إن تم له يرسل إليه . وإن أبى  
ذلك عجلوا إليه فى كتاب ، فرأى رأيهم . ففعل ذلك .

وسار هرقل فى أربعة آلاف التى خرج فيها ، لا يضع منها أحدا حتى التفتيا  
بالموضع ، ومع هرقل أربعة آلاف ومع شهر براز خمسمائة .

فلما رأهم شهر براز أرسل إلى هرقل ، أغدرت ؟

فأرسل إليه ، لم أغدر ، ولكنى خفت الغدر من قبلك .

وأمر هرقل بقبضة من ديباج ، فضربت له بين الصفتين ، فنزل هرقل ، فدخلها ،  
ودخل بترجمان معه .

وأقبل شهر براز حتى دخل عليه ، فانتبجى <sup>(١)</sup> بينهما الترجمان حتى أحكما  
أمرها ، واستوثق أحدهما من صاحبه بالعمود والمواثيق حتى فرغا من أمرهما .

فخرج هرقل وأشار إلى شهر براز بأن يقتل الترجمان لى يخفى له السر ،  
فقتله شهر براز ، ثم انكشف شهر براز ، فحش الجيوش ؛ وسار هرقل إلى  
كسرى حتى أغار عليه ومن بقى معه ، فكان ذلك أول هلكة كسرى ،

---

(١) تارَّ بطنها .

ووفى هرقل لشهر براز بما أعطاه من ترك أرض فارس ، وانكشف حين أفسد أرض فارس على كسرى ، فغلبت فارس كسرى ، ولحق شهرابز بفارس والجندود<sup>(١)</sup> .

ذكر

بناء الاسكندرية

قال : فوجه هرقل ملك الروم كإحدى شيخ من أهل مصر الملقب<sup>(٢)</sup> أميرا على مصر ، وجعل إليه حربها وجباية خراجها ، فترك الإسكندرية ، وكان الذي بنى الاسكندرية وأسس بناءها ذو القرنين الرومى ، وأسمه الاسكندر ، وبه سميت الاسكندرية ، وهو أول من عمل الوحش ، وكان أبوه أبو القياصرة .

حدثنا عبد الملك بن هشام قال : اسمه الاسكندر . حدثنا وثيمة بن موسى عن سعيد بن بشير عن قتادة قال : الاسكندر هو ذو القرنين .

حدثنا عبد الملك بن هشام عن زياد عبد الله عن محمد بن أبى حنن ، حدثني بن يسوق الإخاديت عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ، أنه رجل من أهل مصر ، اسمه مرزبان مرزبة اليوناني ، من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام . قال : وحدثني شيخ من أهل مصر قال : كان من أهل لوبية ، كورة من كورة مصر الغربية ؛ قال ابن لميعة : وأهلها روم ، ويقال ، بل هو رجل من حمير ، قال تبع [ ابن حسان بن أسعد الجبيري ] .

قد كان ذو القرنين جدى مسلما ملكا تدبى له الملوك وتخشى بلغ المغارب والمشارق يتدبى أسباب علم من حكيمة مرشد

(١) في نسخة هـ : والجند بأرض فارس .

(٢) اللوقس لقب الوالى ، وهو لفظ مشتق من اسم قطعة صغيرة من العملة البرونزية ، كانت متداولة أيام الإمبراطور جستنيان ، وقد جاء في كتاب سير البطركة بالاسكندرية لساورس الأشموني أن اسم الوالى هو « قيرس » .  
انظر كتاب فتح العرب لمصر تأليف الدكتور بقر ، للمحقق الثالث .



خُرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأَطٍ حَرَمَدٍ<sup>(١)</sup>  
وبروى قد كان ذر القرنين قبلي مسلما.

وحدثني عثمان بن صالح ، حدثني عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد  
ابن أنعم عن سعد بن مسعود التَّجِيبِي عن شيخين من قومه قالوا : كنا بالاسكندرية  
فاستطلنا يومنا ، فقلنا لو انطلقنا إلى عقبه بن عامر نتحدث عنده ، فانطلقنا إليه ،  
فوجدناه جالسا في داره فأخبرناه أننا استطلنا يومنا ، فقال وأنا مثل ذلك . ، إنما  
خرجت حين استطلته

ثم أقبل علينا فقال ، كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته ،  
فلما أنا رجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب ، فقالوا : استأذن  
لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانصرفت إليه ، فأخبرته بمكانهم ،  
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالي ولهم ، يسألوني عما لا أدرى ، إنما أنا عبد  
لا علم لي ، إلا ما علمني ربي .

ثم قال : ابغى وضوءا ، فتوضأ ، ثم قام إلى مسجد بيته ، فركع ركعتين ،  
فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ، ثم انصرف ، فقال : أذخلكم ،  
ومن وجدت بالباب من أصحابي فادخله .  
قال : فأدخلتهم .

فلما دفعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : إن شئتم أخبرتكم عما  
أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا ، وإن أجبتكم تكلمتم وأخبرتكم .  
قالوا : بل أخبرنا قبل أن تتكلم .

قال : جئتم تسألوني عن ذى القرنين ، وسأخبركم كما تجدونه مكتوبا  
عندكم ، إن أول أمره أنه غلام من الروم ، أعطى ملكا ، فصار حتى أتى ساحل

(١) الحلب هو الطين الصلب اللزب ، والثأط الحرمد هو الذهب الأسود المصمت ، وفي  
نسخة هـ : في غرضي حك .

البحر من أرض مصر، فابتنى عنده مدينة، يقال لها الاسكندرية<sup>(١)</sup> : فلما فرغ من بنائه. أنه ملك، ففرج به حتى استقله، فرفعه، فقال: انظر ما تحتك، فقال: أرى مدينتي وأرى مدينتي معها، ثم عرج به، فقال: انظر، فقال: قد اختلطت مدينتي مع المدن. فلا أعرفها، ثم زاد، فقال: انظر، فقال: أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها. قال له الملك: إنما تلك الأوض كلها، والذي ترى يحيط بها هو البحر، وإنما أراد ريك أن يريك الأرض، وقد جعل لك سلطانا فيها، وسوف تعلم الجاهل، وتثبت العالم.

فصار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدين، وهما جبلان لئنان يُرلقى عنهما كل شيء، فبنى السد، ثم جاز ياجوج وماجوج، فوجد قوما وجوههم وجوه السكلاب يقاتلون ياجوج وماجوج، ثم قطعهم فوجد أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه السكلاب، ووجد أمة من الترائيق<sup>(٢)</sup> يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض.

فقالوا: نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت، وإنا نجد هكذا في كتابنا<sup>(٣)</sup> وحدثنا عبد الملك بن هشام، حدثنا زياد عن عبد الله البكائي عن ابن اسحاق، حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان السكلاعي: وكان رجلا قد أدرك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين، فقال: ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب.

قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول:

- 
- (١) راجع كتاب « دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالة » تأليف الدكتور إبراهيم نصحي، طبع مكتبة الأنجلو بالاهرة سنة ١٩٥٩.
- (٢) واحدة الترائيق، وهو الشاب الأبيض الجبل، والترائيق حديث منسوب إلى الرسول، وقد حكم عليه معظم أئمة الحديث بأنه حديث موضوع.
- (٣) نسبة هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مردودة، فسنده الحديث مقطوع وفيه تجهيل بالمصدر الذي روى عنه سعد بن مسعود التميمي.

ياذا القرنين ، فقال عمر : اللهم غفرأ ، أما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسموا بالملائكة ؟

حدثنا وثيمة بن موسى عن من أخبره عن سعد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن قال : كان ذو القرنين ملكا ، وكان رجلا صالحا ؛ قال : وإنما سمي ذو القرنين كما حدثنا وشيمة .  
حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي حنيفة عن أبي الطفيل أن عليا رضي الله عنه سئل عن ذي القرنين . فقال :

لم يكن ملكا ولا نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، أحب الله فأحبه الله ، ونصح الله فنصحه الله ، بعثه الله عز وجل إلى قومه فضر به على قرنه فأت ، فأحياء الله ، ثم بعثه إلى قومه ، فضر به على قرنه فأت ، فسمي ذا القرنين <sup>(١)</sup> .  
ويقال . إنما سمي ذا القرنين لأنه جاوز قرن الشمس من المغرب والمشرق ؛  
ويقال إنما سمي ذا القرنين ، لأنه كان له غديرتان من رأسه من شعر يطأ فيهما ،  
فما ذكر إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران من خادم بن حنين عن  
يونس بن عبيد عن الحسن .

حدثنا عبد العزيز بن منصور اليخضمي عن عاصم بن حكيم عن أبي سريع الطائي عن عبيد بن تميم قال : كان له قرنان صغيران تواريهما العامة .  
حدثنا أحمد بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن ابن شهاب قال : إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها .

قال : وذكر بعض مشائخ أهل مصر عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن من حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : كان أول شأن الاسكندرية

(١) رواية فيها تصوير خيالي ، ليس له من الحقائق سند .

أن فرعون اتخذها مصانع ومجالس ، وكان أول من عمرها وبني فيها ، فلم تزل على بنائه ومصانعه ، ثم تداولها الملوك ، ملوك مصر ، بعده ، فبنت دلوكة ابنة زبابة منارة الاسكندرية . ومنارة بوقير بعد فرعون ، فلما ظهر سليمان بن دواد عليه السلام على الأرض ، بها مجلسا ، وبني فيها مسجدا .

ثم إن ذا القرنين ملكها ، فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراغة وغيرهم إلا بناء سليمان بن داود عليه السلام لم يهدمه ، ولم يغيره ، وأصلح ما كان رثا منه ، وأقر المنارة على حالها ، ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ، ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ، ليس من ملك إلا يكون له بناء يضعه بالاسكندرية ، يعرف به وينسب إليه .

قال : ويقال إن الذي بنى منارة الاسكندرية قَلْبَطَرَة [ كَلْبَو بَاثَرَة ] الملكة ، وهي التي ساقَت خَليجها حتى أدخلته الاسكندرية ، ولم يكن يباعها للماء ، كان يدخل من قرية ، يقال لها كَسَا<sup>(١)</sup> قبالة السِكْرِيُون<sup>(٢)</sup> ، فخرته حتى أدخلته الاسكندرية ، وهي التي بلطت قاعته .

قال ابن هليعة : وبلغني أنه وجد حجر بالاسكندرية مكتوب فيه ، أنا شداد بن عاد ، وأنا الذي نصب العماد ، وحيد الأحياد ، وسد بذراعه الواد بَنِيْتُهُنَّ إذ لا شيب ولا موت ، وأن الحجارة في اللين مثل الطين .  
قال ابن هليعة : والأحياد كالغار<sup>(٣)</sup> .

ويقال إن الذي بنى الاسكندرية شداد بن عاد ، والله أعلم .

(١) لها « كسين » وهو حصن « كرسونيوسى » .

(٢) مدينة قديمة ، واسمها القبطى « كيريوم » وتقع في منتصف المسافة بين الاسكندرية ودمهور .

(٣) في نسخة كالتاقد ، وفي نسخة ب زياده في الهامش : قال أبو علي القالى في كتاب الأمالي ، وأنشد ابن الأعرابي وغيره ، تسألني عن البنين كم لي فقلت : لو عمرت عمر الرجل أو عمر نوح زمن العطل ، وسألت أبا بكر بن حريذ عن زمن العطل فقال : تزعم العرب أنه زمان كانت فيه الحجارة رطبة .

حدثنا إدريس بن يحيى الخولاني ، حدثنا عبد الله بن عياش القناني <sup>(١)</sup> عن أبيه عن تميم قال : خمسة مساجد بالإسكندرية ، مسجد موسى النبي عليه السلام عند الدارة أقربها إلى الكنيسة ، ومسجد سليمان عليه السلام ، ومسجد ذي القرنين أو الخضر عليهما السلام الذي عند البيخات بالقيسارية <sup>(٢)</sup> ، ومسجد الخضر أو ذي القرنين عند باب المدينة حين تخرج من الباب ، ولكل واحد منهما مسجد ، ولكن لا ندري أين هو ؛ ومسجد عمرو بن العاص الكبير .

حدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح عن قيسى بن الجراح عن تميم ، أن في الإسكندرية مساجد خمسة مقدسة ، منها المسجد القيسارية التي تتبع فيها الوارث ، ومسجد البيخات ، ومسجد عمرو بن العاص . وكانت الإسكندرية كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ثلاث مدن ، بعضها إلى جنب بعض ، منه ، وهي موضع المنارة وما وإلاها ، والإسكندرية . وهي موضع قصبة الإسكندرية اليوم ، وقبيلة . وكان على كل واحدة منهم سور ، وسور من خلف ذلك على الثلاث للسن <sup>(٣)</sup> يحيط بهن جميعاً . حدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا عبد الله بن طريف الهمداني قال : كان

على الإسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق .

حدثنا أسد بن موسى عن خالد بن عبد الله ، حدثني ابن السدي عن أبيه

قال : كان أنف الإسكندر ثلاثة أذرع <sup>(٤)</sup> .

قال خالد وأبو حمزة : أن ذا القرنين لما بنى الإسكندرية رتبها بالرخام الأبيض ، جدرانها وأرضها ، وكان لباسهم فيها السواد والحجرة ، فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوص بياض الرخام ، ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض

(١) في نسخة د : الشيباني ، وهو اقتباني من الثقات ، أبو حفص المصري صدوق يغلط ، وقد أخرج له مسلم في الشواهد ، ومات سنة سبعين ( تقرب التهذيب ص ٢٨١ ) .

(٢) القيسارية : السوق ، والبيخات شجر البخ .

(٣) في الأصل مدن

(٤) حديث خرافة .

الرخام ، وإذا كان القمر أدخل الرجل الذى يخيط بالليل فى ضوء القمر فى بياض الرخام الخيط فى حجر الإبرة .

قال : وإن الاسكندرية فى ذكر بعض المشايخ ، لقد بنيت الاسكندرية ثلاثمائة سنة ، وسكنت ثلاثمائة سنة ، وخربت ثلاثمائة سنة ، ولقد مكثت سنة سبعين سنة ما يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها وبلاطها ، ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرج فيها<sup>(١)</sup> .

وأخبرنا ابن أبى مريم عن العتاف بن خالد قال : كانت الإسكندرية بياضاً ، تضىء بالليل والنهار ، وكانوا إذا غربت الشمس لم يخرج أحد منهم من بيته ، ومن خرج اختطف ، وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر ، فكان يخرج من البحر شئ فيأخذ من غنمه ، فكان له الراعى فى موضع حتى خرج ، فإذا جارية ، فتشبت بشعرها . ومانعته نفسها ، فقوى عليها ، فذهب بها إلى منزله ، فأنست بهم ، فرأتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس ، فسألهم ، فقالوا : من خرج منا اختطف ، فهأت لهم الطلسيات . فكانت أول من وضع الطلسيات بمصر فى الإسكندرية<sup>(٢)</sup> .

حدثنا أسد بن موسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن هشام بن سعد المدينى قال : وجد حجر<sup>(٣)</sup> بالإسكندرية مكتوب فيه ، ثم ذكر مثل حديث ابن لهيعة سواء ، وزاد فيه . . وكنزت فى البحر كنزاً على اثني عشر ذراعاً لن يخرج أحد حتى يخرج أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الله البغدادي عن دواد بن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : كان الرخام قد سخر لهم حتى يسكون من بسكرة إلى نصف النهار بمنزلة المعجين ، فإذا انتصف النهار اشتد .

(١) كلام فيه خزائنة الأساطير ( أنظار المقدمة ) .

(٢) فى نسخة : وجدوا حجراً

قال : وفي زمن شداد بن عاد بنيت الأهرام ، كما ذكر عن بعض المحدثين ، ولم أجد عند أهل المعرفة من أهل مصر في الأهرام خبراً يثبت ، وفي ذلك يقول الشاعر :

حَسَرْتُ عَقُولَ أُولَى النَّهْيِ الْأَهْرَامُ      وَاسْتَصْفَرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَحْلَامُ  
مُسَّسٌ مُبْتَفًى الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ      قَصُرْتُ لِقَالِ ذُرِّيَّتِ سِهَامُ  
لَمْ أَذَرَ حِينَ كَيْفَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا      وَاسْتَوْحَمْتُ لَعَجِبِهَا الْأَوْهَامُ  
أَقْبُورُ أَمْثَالِكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ      طَلَسْتُ رَمْلِي كَرَنَ أَمْ أَعْلَامُ

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن نوفٍ نحوه .

ولم يذكر السرير ، فلما أن أغرق الله فرعون وجنوده ، كما حدثنا هاني بن المتوكل عن ابن أبي عمير عن يزيد بن أبي حبيب عن تميم ، استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى في الرجوع إلى أهلهم وما لهم بمصر ، فأذن لهم ودعا لهم ، فترهبوا في رؤوس الجبال ، وكانوا أول من ترهب ، وكان يقال لهم الشيعة ، وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز وجل ، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( أَلَمْ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ <sup>(١)</sup> ) قال : غلبتهم فارس ، ثم غلبت الروم فارس ، في أدنى الأرض ، يقول في طرف الأرض الشام ، وقد اختلف في البضع ما بين الثلاث إلى سبع .

حدثنا أسد حدثنا عبد الله بن خالد عن السكلي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : بضع سنين ، ما بين خمس إلى سبع . حدثنا أسد حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبي الحويرث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : البضع سنين ما بين خمس إلى سبع .

ويقال البضع ما لم يبلغ العدد ما بين الواحد إلى أربع ، ويقال إلى سبع وتسع وعشر ، ويقال البضع ما بين العشرة إلى العشرين ، وكذلك كل عَقْدٍ إلى المائة ، فإذا زاد على المائة انقطع البضع ، وصار نَيْفًا .

ذكر

### كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس

حدثنا<sup>(١)</sup> عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا هشام بن أسحاق وغيره قال : لما كانت سنة مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحبشية<sup>(٢)</sup> بعث إلى الملوك .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني عبد الرحمن بن عبيد القارئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر . فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم قال : أما بعد ، فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك المعجم فلا تختلفوا على كما اختلف بنوا إسرائيل على عيسى بن مريم ، وذلك أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى عيسى ، أن أبعث إلى ملوك الأرض ، فبعث الخواريين ، فأما القريب مكانا فرضي ، وأما البعيد مكانا فسكره ، وقال ، لأحسن كلام من تبعثنى إليه ؛ فقال عيسى ، اللهم أمرت الخواريين بالذي أمرتنى فاختلقوا عليّ ؛ فأوحى الله إليه ، إني سأكفيك ، فأصبح كل إنسان منهم يتكلم بلسان الذي وُجِّهَ إليهم .

(١) في نسخة ح زيادة . حدثنا أبو عمر عبد بن يوسف بن يعقوب بن حمص بن يوسف السكندى قال حدثنا .

(٢) الحبشية قرية صغيرة على الطريق بين مكة والدينه ، وقد سميت ببيت هناك عند مسجد الشجرة التي يابح رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها .



فقال المهاجرون : يا رسول الله ، والله لا نختلف عليك أبداً في شيء ، فمرونا  
وابعثنا ؛ فبعث حاطب بن أبى بلتعبة إلى القوقس صاحب الإسكندرية<sup>(١)</sup> ،  
وشجاع بن وهب الأسدي إلى كسرى ، وبعد دحية بن خليفة إلى قيصر ، وبعث  
عمرو بن العاص<sup>(٢)</sup> إلى [ ابني ] الجلفندي أميرى عُمان ، ثم ذكر الحديث .

ثم رجع إلى حديث هشام بن اسحاق وغيره قال : ففضى حاطب بكتاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى الإسكندرية وجد القوقس في  
مجلس مشرف على البحر ، فركب البحر . فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول  
الله ﷺ بين أصبعيه ، فلما رآه أمر بالكتاب ، فقبض ، وأمر به ، فأوصل إليه ،  
فلما قرأ الكتاب قال : ما منعه إن كان بنياً أن يدعو علىّ فيسقط علىّ ؟  
فقال له حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن  
يفعل به ، ويُفعل ؟

فوجم ساعة ، ثم استعاضها ، فأعادها عليه حاطب ، فسكت .  
فقال له حاطب : إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله به ،  
ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك ، وإن لك ديناً لن تدّعه إلا لما هو خير  
منه ، وهو الإسلام السكافي الله به فقد ما سواه ، وما بشارة موسى بعيسى  
إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة  
إلى الإنجيل ، ولسنا ننزهك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به ، ثم قرأ الكتاب :  
بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى القوقس عظيم القبط ،  
سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعرك بدعاية الإسلام ، فاسلم تسلم ،

(١) يطلق المؤرخون اسم القوقس على حاكم مصر في ذلك العصر إطلاقاً خاطئاً ،  
والمقصود بالقوقس هو قيس بطريق الإسكندرية المسمى الذي جره له هرقل ولاية الدين  
وجباية الخراج بأرض مصر .

(٢) جاء في كتاب الطبري أن لمسلم عمرو بن العاص كان في السنة الثامنة من الهجرة ،  
وأن بعث عمرو إلى جيفر وعباد ابني ثعلبة فكانت في هذه السنة .

واسلم يؤتك الله أجرک مرتین ، یا أهل الکتاب ، تعالوا إلى کلمة سواء بیننا و بینکم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شیئا ، ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون .

فلما قرأه أخذہ ، فجعله فی حُقّ من عاج ، وختم علیه .

حدثنا عبد الله بن سعید اللّذحجی عن ربيعة بن عثمان عن أبان بن صالح قال : أرسل القوقس إلى حاطب ليلة وليس عنده أحد إلا ترجان له ، فقال :

— ألا تخبرنی عن أمور أسألك عنها ؟ فإنی أعلم أن صاحبک قد تحيّرك حين بعثک .

قال : لا تسألنی عن شيء إلا صدقتک .

قال : إلى ما يدعوك محمد ؟

قال : إلى أن تعبد الله . لا تشرك به شیئا ، وتخلع ما سواه ، ويأمر بالصلاة .

قال : فكم تصلّون ؟

قال : خمس صلوات فی اليوم والليلة ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت ، والوفاء بالعهد ، وينهى عن أكل اللیثة والدم .

قال : من أتباعه ؟

قال : الفتيان من قومه وغيرهم .

قال : فهل یقاتل قومه ؟

قال : نعم .

قال : صفه لی .

فوصفته بصفة من صفاته لم آت علیها ، قال :

— قد بقيت أشباه لم أرك ذكرتها ، فی عینیه حمرة قل ما تفارقه ، و بین

كففيه خاتم النبوة ، يركب الحمار ويلبس الشملة ويجترى بالتمرات واليكسر  
لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم .  
قلت : هذه صفته .

قال : قد كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن أن يخرج الشام ،  
وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد  
وبؤس ، والقبط لا تطاوعى في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم أحد بحاورى إياك ، وسيظهر  
على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما همنا ، وأنا  
لا أذكر للقبط من هذا حرفا ، فارجع إلى صاحبك .

ثم رجع إلى حديث هشام بن أسحاق قال : ثم دعا كاتبنا يكتب  
بالعربية فكتب :

لحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك ،  
وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وقد كنت أظن  
أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك . وبعثت إليك بحاريتين ، لما مكان  
في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يونس عن يزيد  
عن أبي شهاب بن عبد الرحمن بن عبد القارىء قال : لما معنى حاطب بكتاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن  
نُزله ، ثم سرحه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له مع حاطب  
كسوة وبغلة يسرجها وجاريتين ، أحداهما أم إبراهيم ، وهب الأخرى لجنهم  
ابن قيس العبدري ، فهي أم زكريا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص  
على مصر .

ويقال<sup>(١)</sup> : بل وهبها إلى حسان بن ثابت ، فعى أم عبد الرحمن ابن حسان ، ويقال : بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الأنصاري ، ويقال : لدحية بن خليفة السكبي .

حدثنا النضر بن سلمة الشامي عن حاتم بن إسماعيل عن أسامة بن زيد اللثبي عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه سيرين قالت : حضرت موت إبراهيم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما صحت أنا وأختي ما ينهانا ، فلما مات نهانا عن الصياح .

حدثنا عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبد الله البطائي عن محمد بن أسحق عن يعقوب بن عتبة أن صفوان بن المعطل ضرب حسان بن ثابت بالسيوف قال ابن أسحاق : خذني محمد بن إبراهيم التميمي أن ثابت بن قيس بن شماس وثب على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بجمل ، فأتيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسان بالسيوف ، والله ما أراه إلا قد قتله .

قال : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا .

قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل . فأطلقته ، ثم أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال :

— آذاني يا رسول الله ، وهجاني ، فاحتماني الغضب ، فضر به .

(١) في نسخة ه زيادة ، ويقال بل حسان بن ثابت حين ضربه صفوان بن معطل . والقصة معروفة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن يا حسن في الذي  
قد أصابك .

قال : هي لك .

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضاً عنها يَبْرَحاً وهي قصر بني حُدَيْلَةَ  
اليوم ، كانت مالا لأبي طلحة ، تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فأعطاهما حسان في ضربته ، وأعطاه سيرين أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن  
ابن حسان .

حدثنا هانيء بن المتوكل حدثنا ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، أن  
المقوقس لما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه إلى صدره ، وقال :  
هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعمته وصفته في كتاب الله ، وإنا لنجد صفته ،  
أنه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولا نسكاح ، وأنه يقبل الهدية ولا يقبل  
الصدقة ، وأن جلساءه المساكين ، وأن خاتم النبوة بين كتفيه .

ثم دعا رجلاً عاقلاً ، ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجل من مارية وأختها ،  
وهما من أهل حَفَنٍ من كورة أنصنا<sup>(١)</sup> ، فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وأهدى له بقلة شهباء وحراراً أشهب وثياباً من قباطى<sup>(٢)</sup> مصر ، وعسلاً من عسل  
بُشَا ، وبعث إليه بمال صدقة .

وأمر رسوله أن ينظر مَنْ جلسائه ، وينظر إلى ظهره ، هل يرى شامة كبيرة<sup>(٣)</sup>

ذات شعر ؟

---

(١) أنصنا : مدينة قديمة من بلاد الصعيد شرق النيل ، والها ينسب قوم من أهل  
العلم ، ومكانها اليوم الأطلال الواقعة في حوض مدينة النحلة (الحرفة من أنصنا) رقم ١١  
بأراضي ناحية الشيخ عبادة الواقعة شرق النيل بمركز ملوى من أعمال محافظة أسيوط .  
وحفَن قرية من قراها .

(٢) القباطى : نسيج من السكتان به زخارف استهوت به مصر القديمة ، وهو النسيج  
الذي يطلق عليه الأوروبيون اسم Tapestry .  
(٣) في نسخة حوزادة بين كتفيه .

ف فعل ذلك الرسول .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الأختين والدائتين والمسل.  
والثياب ، وأعلمه أن ذلك كله هدية ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية .  
وكان لا يردها من أحد من الناس .

قال : فلما نظر إلى مارية وأختها أعجبتهما ، وكره أن يجمع بينهما ، وكانت  
إحداهما تشبه الأخرى ، فقال : اللهم اختر لنبيك ، فاختار الله مارية .

وذلك أنه قال لها : قولاً ، نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .  
فبدرت مارية ، فتشهدت ، وآمنت قبل أختها ، ومكثت أختها ساعة ،  
ثم تشهدت وآمنت ، فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمحمد بن مسleme.  
الأنصاري ، وقال بعضهم ، بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي .

قال : لخدمنا هانيء بن المتوكل ، حدثنا عبد الله بن لميعة عن يزيد بن  
أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة المهري ، أحسبه عن عبد الله بن عمرو بن  
العاص قال :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم إبراهيم أم ولده القبطية ، فوجد  
عندها نسيباً كان لها ، قدم معها من مصر ، وكان كثيراً ما يدخل عليها ، فوقع في  
نفسه شيء ، فرجع ، فلقية عمر بن الخطاب ، فعرف ذلك في وجهه ، فسأله ،  
فأخبره ، فأخذ عمر السيف ، ثم دخل على مارية ، وقربها عندها ، فأهوى  
إليه بالسيف .

فلما رأى ذلك كشف عن نفسه ، وكان محبوباً ، ليس بين رجلية شيء ،  
فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله قد برأها وقربها ، وأن  
في بطنها غلاماً مني ، وأنه أشبه الخلق بي ، وأمرني أن أسميه إبراهيم ، وكنتاني  
بأبي إبراهيم .

وحدثني دُحَّيْمٌ عن عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب عن ابن لُحَيْمَةَ عن يزيد بن أبي حبيب عن الزهري عن أنس قال : لما ولدت أمُّ إبراهيم إبراهيم كأنه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه جبريل ، فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

ويقال إن المقوقس بعث معها بخصيٍّ ، فكان يأوى إليها .

حدثنا أحمد بن سعيد القهري ، حدثنا مروان بن يحيى الخاطبي ، حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن أَدْعَجَ قال ، حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ قال ، بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الاسكندرية ، فخطبته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرني في منزل ، وأقامت عنده ليلتي ، ثم بعث إلي ، وقد جمع بطارقه فقال :

— إني سأكلك بكلام ، وأحب أن تفهمه عني .

قال : قلت ، هَلُمَّ .

قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو بنِيّ ؟

قال : قلت ، بلى ، هو رسول الله

قال : فما له حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده

إلى غيرها ؟

قال : فقلت له ، فميسى بن مريم تشهد أنه رسول الله ، فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصابوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهاسكهم الله حتى رفعه الله إليه في السماء الدنيا ؟

فقال : أنت حكيم جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبنت بها معك إلى محمد ، وأرسلُ معك مُبَذَّرَةً<sup>(١)</sup> يُبَذَّرُ قَوْلُكَ إلى مأمُنتك .

(١) البَذَرَةُ : الخفارة ، لفظ فارسي مررب .

قال : فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار ، منهم أم إبراهيم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة العبدري ، وواحدة وهبها لحسان بن ثابت ، وأرسل إليه بثياب مع طُرف من طرفهم ، فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم ، فكان من أحب الناس إليه حتى مات ، فوجد به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شذِيب عن أبي تضرّة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على ابنه وكبر عليه أربعاً .

قال : ورش على قبره كما حدثنا ابن بكير ، وحدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا قريش بن حيان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سفيان ، فبينما كان بالمدينة ، وكان ظنُّ إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه إبراهيم فشبهه ، ثم دخلنا عليه ، وهو في الموت ، فذرفت عيناؤه .

فقال له ابن عوف ، وأنت يا رسول الله ؟

قال : إنها راحة ، واتبعها بالأخرى ، تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما لا يُرضى ربنا .

وحدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء ابنة يزيد أنها حدثته ،

قالت : لما توفي إبراهيم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من علم الله حقه .

قال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يُسخط الرب ، ولولا أنه وعد



صادق وموعد جامع ، وأن الآخر ممنا يتبع الأول لوجدنا عليك [يا] إبراهيم أشد مما وجدنا ، وإنا بك لحزونون .

حدثنا علي بن معبد ، حدثنا عيسى بن يونس عن محمد بن أبي ليلى عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فأنطلق به إلى النخل الذي فيه ابنه إبراهيم ، فوجده يجود بنفسه ، فأخذه ، فوضعه في حجره ، ثم بكى .

فقال له عبد الرحمن : تبكى ، أو لم تكن نهيت عن البكاء ؟ .

قال : لا ، ولكنني نهيت عن صوتين أحقن فاجر بن ، صوت عند مصيبة ، تخش وجوه وشق جيوب ورنه شيطان ، وصوت عند نفسة لهو ومزمار شيطان ؛ وهذه رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم ، ولولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأنها سبيل مأتية لحزننا عليك حزنا هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لحزونون ، يحزن القاب وتدمع العين ، ولا نقول ما يسخط الرب .

حدثنا النضر بن سلمة ، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي ، حدثنا هاشم ابن إسماعيل ، حدثنا أسامة بن زيد عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت عن أمه سير بن أخت مارية قالت :

— رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجة في القبر — يعني قبر إبراهيم — فأمر بها ، فسدت ، فقليل يارسل الله .

فقال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكن تُقر بعين الحى ، وإن العبد إذا عمل عملا أحب الله أن يثقله .

حدثنا دحيم ، حدثنا مروان بن معاوية عن إسرائيل عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال : كسفت الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام رسول الله ، فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ،

لا يكسنان لموت أخذ ولا لحياته ، فإذا رأيتوهما فعمليك بالدعاء حتى ينكشفا .  
قال : ولما ولدت أم إبراهيم ، كاحدثنا القمعي عن حسين بن عبد الله بن عبيد  
الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما ولدت مارية قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : أعققها ولدوها .

وكان سن إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات كما حدثنا علي  
ابن سعيد عن عيسى بن يونس عن الأعمش عن رجل قد سمّاه عن البراء بن  
عازب ستة عشر شهراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له حظاً<sup>(١)</sup> في  
الجنة يتم رضاعه .

وحدثنا يزيد بن أبي سلمة عن عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج بن  
أرطاة عن أبي بكر بن عمرو عن يزيد بن البراء عن أبيه قال : لما توفي إبراهيم قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له مريضاً في الجنة يتم بقية رضاعه .

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب قال : وكانت البغلة والحمار أحب  
دوايته إليه ، وسمى البغلة ذُلْدُل ، وسمى الحمار يَمْعُور ، وأعجبه العسل ، فدعا في  
عسل يَبْنُها بالبركة ، وبقيت تلك الثياب حتى كُفِنَ في بعضها صلى الله  
عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الجبار حدثنا موسى بن داود عن سلام عن عبد الملك بن  
عبد الرحمن عن الحسن الثوري<sup>(٢)</sup> عن أشعث بن طلق عن مرة بن المطالب  
- أو الطيب - عن عبد الله بن عمر عن الثقة عن ابن مسعود قال : قلنا يا رسول الله  
فيم نكفّنك ؟ قال : في ثيابي هذه ، أو في ، أو في ثياب مصر .

(١) الظاهر : المرضع الماطقة على ولدها .

(٢) في نسخة س العربي ، والصحيح ما ذكرنا راجع صحيفة ١١٠ من كتاب  
تقريب التهذيب .

قال محمد بن عبد الجبار في حديثه : أوفى ثياب مصر ، أوفى حلة قال أحدهما ،  
أوفى يُمْنَةً .

قال ابن أبي مريم ، قال ابن لهيعة ، وكان اسم أخت مارية قَيْصَرًا ، ويقال  
بل كان اسمها سيرين .

وحدثنا عبد الملك بن مسعدة حدثنا لهيعة عن الأعرج قال : بعث المقوقس ،  
صاحب الإسكندرية بمارية واختها حَتَّةَ ، فأسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في صدقته في بني قُرَيْظَةَ .

وحدثنا هانيء بن التوكل ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن  
هيبيرة أن الحسن بن علي كُتِبَ معاوية بن أبي سفيان في أن يضع الجزية عن جميع  
قرية أم إبراهيم لجرمتها ، ففعل ، ووضع الخراج عنهم ، فلم يكن على أحد منهم  
خراج ، وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها . فانقطعوا إلا بيتا واحدا قد  
بقي منهم أناس .

حدثنا عبد الملك بن عباس عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو بقي إبراهيم ما تركت قبطيا إلا وضعت  
عنه الجزية .

وكانت وفاة مارية في الحرم سنة خمس عشرة ، ودفنت بالقيع ، وصلى  
عليها عمر بن الخطاب ، وكان الرسول بها من قبل المقوقس كما حدثنا عبد الملك  
بن مسعدة ابن جبر .

- ثم إن أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا  
عبد الملك بن مسعدة عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح الأحمسي  
بعث حاطبا إلى المقوقس بمصر ، فمر على ناحية قرى الشرقية ، فهادهم وأعطوه ،  
فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه ، فانتفض ذلك العهد .

قال عبد الملك . ومي أول هدنة كانت بمصر

قال - ابن هشام اسم أبي بلتعة عمرو ، وحاطب بن عتيق ، وفي ذلك يقول  
حسان بن ثابت كما حدثنا وثيمة بن موسى .

قَوْلُ رُسُلِ النَّبِيِّ بَصَاحَ إِلَى الدَّاءِ سِ ، شُجَاعِ وَدِرْحَمَةَ بْنِ خَلِيقَةَ  
وَلَقْنَسِرُو وَحَاطِبِ وَسَلِيلِطِرِ وَلَقْمَرُو ، وَذَلِكَ رَأْسُ الصَّحِيفَةِ  
فِي أَيْمَاتٍ ذَكَرَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللُّوْكَ .

ذكر

سبب دخول عمرو بن العاص مصر

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال ، لما كانت سنة ثمان  
عشرة<sup>(١)</sup> ، وقدم عمرو الجبائية<sup>(٢)</sup> خلافة عمرو بن العاص ، فاستأذنه في المسير إلى  
مصر ، وكان عمرو قد دخل مصر في الجاهلية ، وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها ،  
وكان سبب دخول عمرو إليها كما حدثنا يحيى بن خالد العدوي عن ابن لهيعة  
ويحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد أنه بلغه أن عمر أقدم إلى بيت المقدس لتجارة  
في نمر من قريش ، فإذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم  
للمصلاة في بيت المقدس ، فخرج في بعض جبالها يسبح ، وكان عمرو يرعى إبله  
وإبل أصحابه ، وكانت رغبة الإبل نوباً بينهم .

فينا عمرو يرعى إبله إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم  
شديد الحر ، فوقف على عمرو ، فاستقاه ، فسقاه عمرو من قرربة له ، فشرب

(١) توافق سنة ٦٣٠ م وكان العرب لا يزالون على حصار مدينة قيسرية .

(٢) الجبائية : قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، وفيها  
خطب عمر بن الخطاب خطبة مشهورة .

حتى روى ، ونام الشمس مكانه ، وكانت إلى جنب الشمس حيث نام حفرة ،  
فخرجت منها حية عظيمة ، فبصر بها عمرو ووقع لها بسهم ، فقتلها .  
فلما استيقظ الشمس نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها ، فقال لعمرو :  
ما هذه ؟

فأخبره عمرو أنه رماها ، فقتلها .

فأقبل إلى عمرو ، فقبل رأسه ، وقال : قد أحيانى الله بك مرتين ، مرة من  
شدة العطش ، ومرة من هذه الحية ، فأقدمك هذه البلاد ؟  
قال : قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل في تجارتنا .  
فقال له الشمس : ولم تترك ترجو أن تصيب في تجارتك ؟  
قال : رجأت أن أصيب ما اشتري به بعيرا ، فإني لا أملك إلا بعيرين ،  
فأملئ أن أصيب بعيرا آخر ، فتكون ثلاثة أبرة .  
فقال له الشمس : أرايت دية أحدكم بينكم كم هي ؟  
قال : مائة من الإبل .  
قال الشمس : لسنا أصحاب إبل ، إنما نحن أصحاب دنانير .  
قال . يكون ألف دينار .

فقال له الشمس : إني رجل غريب في هذه البلاد ، وإنما قدمت أصلي في  
كنيسة بيت المقدس ، وأسيح في هذه الجبال شهرا ، جعلت ذلك ندرا على  
نفسى ، وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادي ، فهل لك أن تنبئني  
إلى بلادي ؟ . ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين ، لأن الله تعالى أحيانى  
بك مرتين .

فقال له عمر : أين بلادك ؟

قال : مصر ، في مدينة يقال لها الإسكندرية .  
فقال له عمرو : لا أعرفها ، ولم أدخلها قط .  
فقال له الشماس : لو دخلتها لعلت أنك لم تدخل قط مثلها .  
فقال له عمرو : تنفي لي بما تقول ، وعليك بذلك العهد والميثاق ؟  
فقال له الشماس : نعم لك الله ، على العهد والميثاق أن أفي لك وأن أردك  
إلى أصحابك .

فقال : ولم يكون مكثي في ذلك ؟  
قال : شهرا ، تنطلق معي ذاهبا عشرا ، وتقيم عندنا عشرا ، وترجع في  
عشر ، ولك على أن أحفظك ذاهبا ، وأن أبعث معك من يحفظك راجعا .  
فقال له عمرو : انظري حتى أشاور أصحابي في ذلك .  
فانطلق عمرو إلى أصحابه ، فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس ، وقال لهم :  
تقيمون على حتى أرجع إليكم ، ولكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك ، على  
أن يصحبني رجل منكم آتس به .  
فقالوا : نعم .  
وبعثوا معه رجلا منهم .

فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الإسكندرية ،  
فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه ، وقال :  
ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأموال .  
ونظر إلى الإسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من  
الأموال فازداد عجباً .

ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيداً فيها عظيماً ، لتجتمع فيه ملوكهم

وأشرفهم ، ولم أكره من ذهب متكأ يترامى بها ملوكهم ، وهم يتلقونها بأكرامهم ؛ وفيما أخبروا عن تلك الأكرة على ما وصفها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة في كفه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم .

فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله ، وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه ، وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة ، وهم يتلقونها بأكرامهم ، فرمى بها رجل منهم ، فأقبلت تهوى حتى وقعت في كف عمرو ، فعجبوا من ذلك ، وقالوا : ما كذبنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة ، أترى هذا الإعرابي يملكنا ؟ هذا ما لا يكون أبداً .

وأن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية ، وأعلمهم أن عمراً أحياء مرتين ، وأنه قد ضمن له ألفي دينار ، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ، ففعلوا ، ودفعوها إلى عمر<sup>(١)</sup> .

فانطلق عمرو وصاحبه ، وبعث معهما الشماس دليلاً ورسولاً ، وزودهما وأكرهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما ، فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ونخرجها ، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد وأكثرها مالا .

فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار ، وأمسك لنفسه ألفاً .

قال عمرو : فكان أول مال اعتقده وتأثلته :

---

(١) رواية غير صحيحة تاريخياً ، ولا تتخذ سنداً من الأسانيد الصحيحة ، وقد رواها عن ابن عبد الحكم كثير من مؤرخي العرب .





إلى مصر ، وحرّضه عليها ، وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين <sup>(١)</sup> ، وعونا ، لهم ؛ وهي أكثر الأرض أموالا ، وأعجزها من القتال والحرب .

فتخوّف عمرو بن الخطاب على المسلمين ، وكره ذلك ، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمرو بن الخطاب ويخبره بها ، ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر ، فقدم له على أربعة آلاف رجل ، كلهم من عك ؛ ويقال : بل ثلاثة آلاف وخمسمائة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمسمائة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب مثله ، إلا أنه قال : ثلثهم غافق .

قال : ثم رجع إلى حديث غسان قال : فقال له عمر : سر وأنا مستغفر الله في سيرك ، وسيأتيك كتابي سرّياً إن شاء الله ، فإن أدركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف ؛ وإن أتيت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فأمنض لوجهك واستغن بالله واستغفره .

فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس ، واستخار عمر الله ، فساكنه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك ؛ فكتب إلى عمرو بن العاص ، أن ينصرف بمن معه من المسلمين .

فأدرك السكتاب عمراً وهو برّقع <sup>(٢)</sup> ، فتخوّف عمرو بن العاص إن هو أخذ

---

(١) يروى الطبري أن أريطون حاكم الروم على بيت المقدس ، وكان قد هرب من المدينة قبل تسليم الطريق صفرونيوس مدينة القدس للعرب ، قد لاذ بمصر ، وأنه كان يجمع فيها جنود الدولة الرومانية ، فرأى عمرو بن العاص ، أن على العرب ألا يضيئوا الوقت ، بل يجب عليهم أن يوقدوا به قبل أن يستفعل أمره .

(٢) رفع بلد بالقرب من الريش في الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

الكتاب وفتحته أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر ، فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه ، وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش<sup>(١)</sup> ، فسأل عنها ، فقيل ، إنها من مصر .

فدعا بالكتاب ، فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه .

ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟

قالوا : بلى .

قال : فإن أمير المؤمنين عهد إلى وأمرني ، إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ، ولم يالحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر ، فسيروا وامضوا على بركة الله .

ويقال : بل كان عمرو بفلسطين ، فتقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر ، وهو دون العريش ، فحبس الكتاب ، فلم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه فإذا فيه : ( من عمر بن الخطاب إلى العاص ابن العاص ، أما بعد ، فإنك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير ، ولعمري لو كانوا مُكَلَّلَ أُمُك ما سرت بهم ، فإن لم تسكن بلغت مصر فارجم ) .

فقال عمرو : الحمد لله ، أية أرض هذه ؟

قالوا : من مصر .

فتقدم كما هو .

حدثنا ذلك عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب .

---

(١) العريش : بلد قديم في الطرف الشمالي لشبه جزيرة سيناء تطل على البحر الأبيض المتوسط .

ويقال : بل كان عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من أجناد المسلمين ، وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجالية ، فكتب سرا ، فاستأذن إلى مصر ، وأمر أصحابه فتنهقوا كالقوم الذين يريدون أن يتنصعوا من منزل إلى منزل قريب . ثم سار بهم ليلا ، فلما فقدوا أمراء الأجناد استنكروا الذي فعل ، ورأوا أنه قد غرر ؛ فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : إلى العاص ابن العاص ، أما بعد فإنك قد غرت بمن معك ، فإن أدرك كتابي ولم تدخل مصر فارجع ، وإن أدرك وقد دخلت فامض ، واعلم أنني مُبَدِّك .

فما حدثنا عبد الملك بن مسلمة ويحيى بن خالد عن الليث بن سعد قال : ويقال ، إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام ، أن أئذب الناس إلى المسير معك إلى مصر ، فن خف معك فير به .

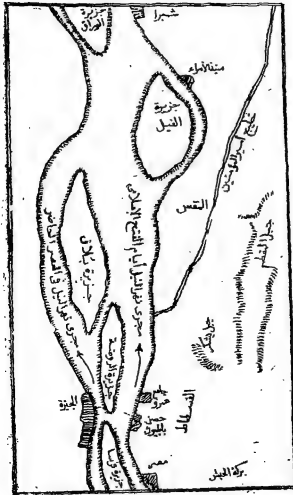
وبعث به مع شريك بن عبيدة ، فذهبهم عمرو ، فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو .

ثم إن عثمان بن عفان دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر : كتبت إلى عمر ابن العاص ، يسير إلى مصر من الشام .

فقال عثمان . يا أمير المؤمنين ، إن عمرا لمَجْرَأٌ ، وفيه إقدام ، وحب للإمامة ، وأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة ، فيعرض المسلمين للهلكة . رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا .

فقدم عمر بن الخطاب على كتابه إلى عمرو إشفاقا لما قال عثمان ، فكتب إليه ، إن أدركك كتابي قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك ، وإن كنت دخلت فامض لوجهك .

وكانت صفة عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عفير عن الليث بن سعد ، قصيرا ، عظيم الهامة ، نأى الجبهة ، واسع الفم ، عظيم اللحية ، عريض ما بين المنكبين ، عظيم الكتفين والقدمين .



خريطة لقطاع مصر عند الفتح العربي

قال الليث : يملأ هذا المسجد .

قال : فلما بلغ المقوقس قدوم عدو بن العاص إلى مصر توجه إلى القسطنطينية .  
فكان يجهز على عدو الجيوش ، وكان على القصر (١) رجل من الروم .

(١) هو قصر الشمع : مكانه الآن الدبر المحرق بمصر القديمة ، وقد بنى هذا القصر  
بعد خراب مصر على يد مجتهد مصر ، وقد استأنف المؤرخون في الوقت الذي فيه وثيق أنشاء  
من الملوك ، وكان الشمع يوقد على هذا القصر في رأس كل شهر ، ليعلم الناس أن الشمس  
قد انقضت من برج إلى برج .

وكانت الكنيسة المحيطة بمصر القديمة تسم على باب هذا القصر ، ويرى بعض المؤرخين أن  
قصر الشمع هو حصن نابليون .

يقال له الأعرج<sup>(١)</sup> واليا عليه . وكان تحت يدي المفوقس .  
 وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الحلال نفرت منه راشدة وقبائل من لخم<sup>(٢)</sup> ،  
 فتوجه عمرو حتى إذا كان بالعريش أدركه النجر<sup>(٣)</sup> . فحدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا  
 ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : فضحى عمرو عن أصحابه يؤمئذ بكبش .  
 وكان رجل ممن كان خرج مع عمرو بن العاص حين خرج من الشام إلى  
 مصر ، كما حدثنا هاني بن المتوكل عن أبي شريح عبد الرحمن بن شريح عن  
 عبد الكريم بن الحارث أصيب بجمل له . فأتى إلى عمرو يستحمله ، فقال له عمر :  
 تحمل مع صاحبك حتى نبليخ أوائل العامر ، فلما بلغوا العريش جاءه فأمر له بمملين .  
 ثم قال له : لن تزالوا بخير ما رحتكم أمتكم ، فإذا لم يرحوكم هلكنم وهلكوا .  
 قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال : فتقدم عمرو بن العاص ،  
 فكان أول موضع قوتل فيه القرماء<sup>(٤)</sup> ، قاتله الروم قتالا شديدا نحواً من شهر ، ثم  
 فتح الله على يديه .  
 وكان عبد الله بن سعد كما حدثنا سعيد بن عفير على ميمنة عمرو بن العاص  
 منذ توجه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه .

(١) هو القائد جورج الروماني .

(٢) كان أكثر جند جيش عمرو من قبيلة عك ، ويذكر السكندى ان ثلث الناس  
 كانوا من غانق ، وروى ابن دقاق أنه قد كان مع جيش العرب جماعة من أسلم من الروم ،  
 وقد ساهم في كتابه .

(٣) كان هذا في العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٨ هـ ، وهو اليوم الثاني عشر من  
 شهر ديسمبر سنة ٦٣٩ م .

(٤) القرماء اسم عربي لمدينة بلوز ، وكان القبط يسمونها برمون ، وكانت على مرتفع من  
 الأرض وعلى نحو ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأ متصل بها بمخليج يجري من البحر .  
 وكان فرع من النيل يسمى البلوزي يهوى إلى البحر بقرىها ، وكانت مدينة قوية الحصون ،  
 بها كثير من آثار المصريين القدماء ، كما كان بها كنائس وأديرة ، وكانت مفتاح مصر  
 حين المشرق ، فهي تشرّف على الطريق الصحراوي ، وتعلك ناحية البحر ، ويجري إليها فرع  
 النيل الذي يؤدي إلى مصر السفلى ، وقد ذك القرس أسوارها وحصونها وخرابوا كنائسها  
 عند فتحهم لمصر قبل التزو العربي .

وقال غير ابن عفير من مشايخ أهل مصر ، وكان بالاسكندرية أشقف للقيط  
يقال له ، أبو بنيامين<sup>(١)</sup> ، فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط  
يعلمهم أنه لا تكون الروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقئ عمرو .  
فيقال إن القبط الذين كانوا بالقرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا .  
قال عثمان في حديثه ، ثم توجه عمرو لايدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل  
القواصر<sup>(٢)</sup> .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبد الرحمن بن  
سريج أنه سمع شراحيل بن يزيد يحدث من أبي الحسين أنه سمع رجلا من نتم  
يحدث كريب بن أبرهة قال : كنت أرى غما لأهلى بالقواصر ، فنزل عمرو  
ومن معه ، فدوت إلى أقرب منازلهم ، فإذا بنفر من القبط ، كنت قريبا منهم ،  
فقال بعضهم لبعض : ألا تعجبون من هؤلاء القوم ؟ يُقذرون على جموع الروم ،  
وإنما هم في قلة من الناس .

فأجابه رجل آخر منهم ، فقال : إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد  
إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم .  
قال : فقمتم إليه ، فأخذت بتلاييه . فقلت : أنت تقول هذا ؟ انطلق معي  
إلى عمرو بن العاص حتى يسمع الذي قلت .

(١) أبو بنيامين ، وهو كبير أساقفة القبط بالاسكندرية ، وقد خاف المطاران ، ودستوس  
وقضى أول سى ولايته مستظلا بحكم الفرس ، وقد كانت ولايته طويلة مليئة بالموادث .  
ويروى حنا التبتوس . أن بنيامين قد هرب من الاسكندرية تخلصا من ظلم الروم ولم يعد إلا  
بعد أن كتب له عمرو بن العاص أمانا أقر فيه بعودته .  
(٢) القواصر بلدة قديمة من أعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين ،  
وقد جاء في معجم البلدان أنها موضع بيت الفرما والفسطاط ( أنظر الخريطة ) ، ويروى  
المؤرخون أن مياه بحيرة المنزلة كانت قد طفت على ما حولها بعد استيلاء عمرو بن العاص على  
الفرما ، وأصبح الطريق الساحلى الذى اعتادت الجيوش النازية عبوره غير مأبون ، ومسالكه  
صعبة على جيش عمرو ، وقد كان كله من الفرسان ، فزعم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب  
حتى وصل إلى وادى العطبيلات بالقرب من التل الكبير .

فطلب إلى أصحابه وغيرهم حتى خلصوه ، فرددت الغنم إلى منزلى ، ثم جئت حتى دخلت في القوم .

قال عثمان في حديثه : فَيَقْدُم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بِلَيْبَيْس<sup>(١)</sup> ، فقاتلوه بها نحو من شهر ، حتى فتحها الله عليه . ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دَنْيْن . فقاتلوه بها قتالاً شديداً . وأبطأ عليه الفتح ؛ فكتب إلى عمر يستعذه ، فأمدّه بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف ، فقاتلهم<sup>(٢)</sup> .

ثم رجع إلى حديث ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن شراحيل ابن يزيد عن أبي الحسين أنه سمع رجلاً من نَحْلَم قال : فجاء رجل إلى عمرو بن العاص ، فقال : أَدْبُ معي خيلاً حتى آتى من ورائهم عند القتال .

فأخرج معه خمسمائة فارس . فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح .

(١) بلبيس ، فائدة مركز بلبيس من أعمال محافظة الشرقية ، وكانت بلبيس عاصمة إقليم إلى آخر عهد المنكر الجركسى ، وفي سنة ١٨٣٢ م ، نقلت المصالح الأميرية منها إلى الزقازيق ، وكانت بلبيس تسمى قديماً فلبيس أو فلابيس .  
وقد كانت طلائع الروم قد خرجت ترقب قدوم العرب من الصحراء ، فحدث بينهم وبين الجيش العربى قتال ، يقال إن الروم خسروا فيه ألف ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير .  
ويذكر الراقصى في تاريخه أن أرماتوسة بنت الفوقيس كانت في طريقها إلى قيصرية لتزف إلى قسطنطين بن هرقل ، فلما علمت أن قيصرية قد حاصرها العرب عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والمال ، وما إن وصلت إلى بلبيس حتى جاءتها جيوش العرب وحاصرتها ، وقبل أن عمراً أكرمها وأعادها إلى أبيها بما كان معها من الجواهر .

(٢) استولى عمرو على فرقة أم دنين ، وكانت إلى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر المقرئى أن أم دنين كانت ميناء مصر في وقت الفتح العربى ، ويذكر بعض المؤرخين من الغرب أنه لما تأخر اللدج على عمرو بن العاص وبجى عن فتح حصن بابليون أخذ من مسلعة أم دنين سفناً وعبر النيل بجندة في وجه آخر هو غزو لمقابر القوم ، وهو المدوة القصوى ، وتعتمد هذه الرواية على ما جاء في ديوان حنا النقيوى ، ولكن مؤرخى العرب يخالفون هنا الرأى ، ويذكرون أن فتح القيوم كان بعد سقوط حصن بابليون .

وكانت الروم قد خندقوا خندقاً ، وجعلوا له أبواباً . وبتوا في أفنيها حَسَك الحديد<sup>(١)</sup> . فالتقى القوم حين صبحوا . وخرج اللخمى بن معه من ورائهم . فأنهروا حتى دخلوا الحصن .

قال غير ابن وهب : بعث خمسمائة عليهم خارجة بن حُذافة ، قال : فلما كان وجهه الصبح نهض القوم ، فصلوا الصُّبْح ثم ركبوا خيلهم .

وغدا عمرو بن العاص على القتال ، فقاتلهم من وجههم ، وحملت الخليل التي كان وجه من ورائهم<sup>(٢)</sup> ؛ وأُفِجَت عليهم ، فأنهزموا ، وكانوا قد خندقوا حول الحصن وجعلوا للخندق أبواباً .

قال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح : فسار عمرو بن معه حتى نزل على الحصن . فحاصرهم حتى سألوهم أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ، وبتقحواله الحصن ، ففعل ذلك ، ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه ديناراً وجُيْه ورُئُسا ، عمامة وخفّين . وسألوهم أن يأذن لهم أن يبيتوا له ولأصحابه صنيعاً ، ففعل .

---

(١) حَك الحديد هو أدوات الحرب وآلات العسكر .

(٢) يشير ابن عبد الحَك بهذه الرواية إلى ما حصل بين الجيش العربي وقوات الروم عندما ما أحس قائدهم تيودور من نفسه القوة أن يتجاوزوا العرب وأن يسعوا إليهم بمشورتهم نحو هليوبولس ، عين شمس ، وكانت على مسافة ستة أميال من عسكر العرب ، وعلم عمرو بما يريد الروم ، فأرسل تحت جنح الليل كتيبتين ، إحداهما إلى أم دين ، والأخرى إلى موضع من بنية الجبل بالقرب من القلعة الحامية ، وخرج عمرو بأكثر الجَم من العرب للاقاء الروم وقد طلب من جند الكتيبتين أن يكمنوا فإذا صنعت لهم الفرصة هبطوا على جانب جيش الروم ومؤخرته ، وخرج الروم من بين اليساريين والأدبرة التي كانت في الشمال المشرق من الحصن ، ولم يكن لهم علم بمكيدة عمرو ، وحدث اللقاء بين الجيشين في مكان وسط بين معسكريهما ولله مكان العباسية الآن — ولا حتى القتال أقبلت الكتيبة العربية من جهة الجبل تحتاح مؤخرة الروم ، فاتجه الروم منهزمين نحو أم دين ، فلقبهم الكتيبة الآخر بها ، ففر الروم يطلبون النجاة ولكن سيوف المسلمين حصدتهم ، فلم ينج منهم غير ثلاثمائة جندي ، نزلوا إلى السفن وعادوا إلى الحصن .



فحدثني أبي عبد الله بن عبد الحليم أن عمرو بن العاص أمر أصحابه .  
فهم يأولوا وليسوا البرود ، ثم أقبلوا .

قال ابن وهب في حديثه : فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو ، كم أنفقتم ؟  
قالوا : عشرين ألف دينار .

قال عمرو : لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم ، أدوا إلينا عشرين ألف دينار .  
فجاءه نفر من القبط فاستأذنوه . إلى قراهم وأهلهم ، فقال لهم عمرو : كيف  
رأيتم أمرنا ؟

قالوا : لم نر إلا حسنا .

فقال الرجل الذي قال في المرة الأولى ما قال لهم : إنكم لن تزالوا تظهرون  
على كل من تقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا .

فغضب عمرو ، وأمر به ، فطلب إليه أصحابه ، وأخبروه أنه لا يدري ما يقول ،  
حتى خلصوه .

فلما بلغ عمر أ. قتل عمر بن الخطاب أرسل في طلب ذلك القبطي ، فوجده  
قد هلك ، فمجب عمرو من قوله .

قال غير ابن وهب قال : عمرو بن العاص : فلما طعن عمر بن الخطاب قلت :  
هو ما قال القبطي ؟ فلما حدثت أنه إنما قتله أبو لؤلؤة ، رجل نصراني قلت :  
لم يمين هذا ، إنما عني من قتله المسلمون ؛ فلما قتل عثمان عرفت أن ما قال  
الرجل حق .

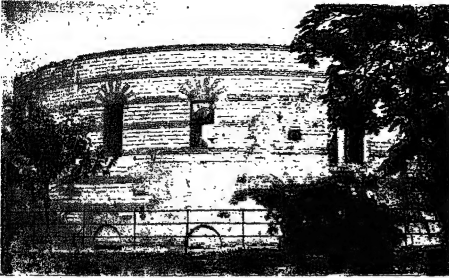
قال أبي في حديثه ، فلما فرغوا من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام .

فصنّع له ، وأمرهم أن يحضروا لذلك ، فصنع لهم الثريد والعُراق<sup>(١)</sup> ، وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشتغال الصّماء<sup>(٢)</sup> والقعود على الرُكَب .

فلما حضرت الروم وضعوا كراسيّ الديباج ، فجلسوا وجاست العرب إلى جوانبهم ، فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد ، وينهش من ذلك اللحم ، فية طائر على مَنْ جنبه من الروم ، فبشعت الروم بذلك ، وقالوا : أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل ؟ فقيل لهم : أولئك أصحاب المشورة ، وهؤلاء أصحاب الحرب .

وقد سمعت في فتح القصر وجهاً غير هذا ..

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر وعياش



حصن بابليون من الخارج

- 
- (١) الثريد ما يهشم من الخبز وبيّن ، والعُراق : جم تمرّق ، وهو القدرة من اللحم ؛ وقيل إن العرق هو العظم بلحمه ، فإذا أكل لحمه عُقراق ، وقيل كلامها لسكليهما .  
(٢) اشتغال الصّماء أن يتجنّس الرجل بثوبه ولا يرفق منه جانباً ، وإعاً قيل لها الصّماء لأنه إذا اشتغل بها سد على يديه ورجليه المنافذ ، فيكون التوب كالصخرة الصّماء .

ابن عباس وغيرهما ، يزيد بعضهم على بعض ، أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر  
الذى يقال بابليون حيناً ، وقَاتَلَهُمْ قِتَالاً شَدِيداً ، يَصْبِحُهُمْ وَيَمَسُّهُمْ .  
فلما أَبْطَأَ الْفَتْحُ عَلَيْهِ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَسْتَمِدُّهُ وَيُعَلِّمُهُ ذَلِكَ ،  
فَأَمَدَهُ عُمَرُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، عَلَى كُلِّ أَلْفٍ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ  
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ :



حصن بابليون من الداخل

إِنِّي قَدْ أَمَدَدْتُكَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ رَجُلٍ ، عَلَى كُلِّ أَلْفٍ مِنْهُمْ رَجُلٌ مَقَامُ  
الْأَلْفِ ، الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ، وَالْقِدَادُ بْنُ عَمْرِو ، وَغُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، وَمُسْلِمَةُ بْنُ  
مُحَمَّدٍ — وَقَالَ آخَرُونَ بِلِ خَارِجَةِ بْنِ حُذَافَةَ الرَّابِعِ ، لَا يَعْدُونَ مَسْلَمَةَ — وَقَالَ  
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : إِنْ مَعَكَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَا يَغْلِبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ .  
قال عثمان ، قال ابن وهب ، فحدثني الليث بن سعد قال : بلغني عن كسرى

أنه كان له رجال إذا بعث أحدهم في جيش وضع من عدة الجيش الذي كان معه ألفاً مكانه لإجراء ذلك الرجل في الحرب ، وإذا احتاج إلى أحدهم ، فكان في جيش ، فحبسه لحاجته إليه زادم ألف رجل .

قال الليث : فأزلت الذي صنع عمر بن الخطاب في بعثته بالزبير والمقداد ومن بعث معهم نحو ما كان يصنع كسرى .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : كان عمر بن الخطاب قد أشفق على عمرو ، فأرسل الزبير في إثره في اثني عشر ألفاً ، فشهد معه الفتح .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب بعث الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً .

وقال غير عثمان : فكانوا قد خندقوا حول حصنهم ، وجعلوا للخندق أبواباً ، وجعلوا حسل الحديد مؤتدة بأفنية الأبواب ، وكان عمرو قد قدم الشام في عدة قليلة ، فكان يفرق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم .

فلما انتهى إلى الخندق نادوه ، أن قد رأينا ما صنعت ، وإنما معك من أصحابك كذا وكذا ، فلم يخطئوا رجل واحد ، فأقام عمرو على ذلك أياماً يغدو في السحر ، فيصن أصحابه على أفواه الخندق ، عليهم السلاح ؛ فينأهون على ذلك إذا جاءه خبر الزبير بن العوام .

ثم قدم الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً ، فلقاه عمرو ، ثم أقبلا يسيران ، ثم لم يلبث الزبير أن ركب ، ثم طاف بالخندق ، ثم فرق الرجال حول الخندق .

ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن لهيعة قال ، فلما قدم للدرد على عمرو بن العاص ألح على القصر ، ووضع عليه المنجنيق ، وقال عمرو يومئذ :

يَوْمٌ لَهُمَذَانٌ وَيَوْمٌ لِلصَّادِقِ وَالْمُتَجَنِّبِ فِي بَيْتٍ تَخْتَلِفُ  
وَعَمْرُو يُرْقِلُ إِذْ قَالَ الشَّيْخُ الْخَرِيفُ<sup>(١)</sup>

وكان عمرو إنما يقف تحت راية بلى فيما يزعمون .

وقد كان عمرو بن العاص كما أخبرني شيخ من أهل مصر قد دخل إلى صاحب  
الحصن ، فتناظرا في شيء مما هم فيه ، فقال عمرو : أَخْرُجْ أَسْتَشِيرُ أَصْحَابِي .  
وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب إذا مرَّ به عمرو أن يُلقَى  
عليه صخرة ، ففعله .

فمرَّ عمرو ، وهو يريد الخروج ، برجل من العرب ، فقال له : قد دخلت  
فانظر كيف تخرج .

فرجع عمرو إلى صاحب الحصن ، فقال له : إني أريد أن آتيك بفقر من  
أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعتُ .

فقال العليلج<sup>(٢)</sup> في نفسه : قتل جماعة أحب إليّ من قتل واحد .

وأرسل إلى الذي كان أمره بما أمره من قتل عمرو ، ألا تَرْضَ له رجاء .  
أن يأتيه بأصحابه ، فيقتلهم ، وخرج عمرو .  
هذا أو معناه .

حدثنا عيسى بن حماد قال : لما حصر المسلمون الحصن كان عبادة بن الصامت  
في ناحية يصلي وفرسه عنده ، فرآه قوم من الروم ، فخرجوا إليه ، وعليه حليّة وزرّة .  
فلما دنوا منه سلم من صلاته ، ووثب على فرسه ، ثم حل عليهم ، فلما رأوه  
غير مكذّبين عنهم ولوا راجعين ، وتبعهم ، فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليسفلوه  
بذلك عن طلبهم ، ولا يلتفت إليهم حتى دخلوا الحصن ؛ ورُمى عبادة من فوق .

(١) الإرقال : الإسراع في السير .

(٢) العليلج : الرجل الشديد النليظ ، أو هو الرجل من كفار الجعم .

الحصن بالحجارة فرجع ، ولم يعرض لشيء مما كانوا طرحوا من متاعهم حتى رجع إلى موضعه الذي كان به ، فاستقبل الصلاة ؛ وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه .  
حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا المفضل بن فضالة أخبرنا عياش بن عباس القتيبي عن شبيب بن بختان عن شيبان بن أمية ، عن رؤيف بن ثابت قال : كان أحدنا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ نضو<sup>(١)</sup> أخيه على أن يعطيه النصف مما يغنم ، وله النصف ، حتى إن أحدنا ليطير له النضل<sup>(٢)</sup> والريش<sup>(٣)</sup> والآخر القذح<sup>(٤)</sup> ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من استنجى برجيع دابته أو يعظم فإن محمداً منه برى .  
قال عياش بن عباس ، وأخبرني شبيب بن بختان عن أبي سالم الجديشاني ، أنه سمع عبد الله بن عمرو وهو مرابط حصن بابلون يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث .

قال عثمان في حديثه ، فلما أبطل الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير : إني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين ، فوضع سُلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحنّام ، ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيئوه جميعاً .

قال غير عثمان : فاشعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف ، ونحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر .  
قال : ثم رجع إلى حديث عثمان قال : فلما أفتحم الزبير ، وتبعه من تبعه ، وكثر وكثرت معه ، وأجابهم المسلمون من خارج لم يشك أهل الحصن أن العرب

(١) النضو : الدابة التي هزاتها الأسفار .

(٢) فصل السيف حديدته ما لم يكن له مقبض ، فإن كان له مقبض فهو السيف ، وقبل إنه اتصل هو السهم العريض يكون قريباً من فتر .

(٣) ريش السهم ريشاً ركّس عليه الريش ليساعد في دفعه .

(٤) القذح هو السهم الذي يرى به من القوس .

قد أفتحوا جميعا ، فهربوا ، فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ، ففتحوه ،  
وأفتحهم المسلمون الحصن .

فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه ، فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصاح ،  
ودعاه إليه على أن يقرض للعرب على القبط دينارين عن كل رجل منهم ، فأجابته  
عمرو إلى ذلك .

حدثنا سعيد بن عفير قال : وصعد مع ابن الزبير الحصن محمد بن مسلمة ،  
ومالك بن أبي سائلة السلمي ، ورجال من بني حرام ؛ وأن شرحبيل بن حنيفة  
المُرَادِيّ نصب سُلْماً آخر من ناحية الزمارة اليوم ، فصعد عليه ، فكان بين  
الزبير وبين شرحبيل شيء على باب أو مدخل ، فكان شرحبيل نال من الزبير  
بعض ما كره ؛ فبلغ ذلك عمرو بن العاص ، فقال له : استعِدْ منه إن شئت .

فقال الزبير : أَمِنْ نَفَقَةٍ<sup>(١)</sup> من بَغَفِ اليمَن استعِيد يا ابن النابغة ؟

وكانت صفة الزبير بن العوام ، كما حدثنا هشام بن اسحاق فيما يزعمون ، أبيض ،  
حسن القامة ، ليس بالطويل ، قليل شعر اللحية ، أَهْلَبُ<sup>(٢)</sup> ، كثير شعر الجسد .  
وكان مكنهم كما حدثنا عثمان بن صالح عن عبد الله بن وهب عن الليث على  
باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر ؛ وقد سمعت في فتح القصر وجهاً مخالفاً  
للحديثين جميعاً ، والله أعلم .

حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا خالد بن نجيع عن يحيى بن أيوب وخالد  
ابن حميد قالا : حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين ، بعضهم يزيد على  
بعض ، أن المسلمين لما حاصروا بابلين ، وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط  
وَرُؤُوسُهُمْ وعليهم المقوقس<sup>(٣)</sup> ، فقاتلهم بها شهراً .

(١) النفق : دود يسقط من أنوف الفم والإبل ، والعرب تقول لكل ذليل وخفير  
ما هو إلا نفقة .

(٢) الأهلَبُ : كثير شعر الرأس والجسد .

(٣) في هامش نسخة ١ : يقال إن المقوقس اسمه جريج بن مينا بن قرق ، وهو  
عامل هنزل على مصر ، وكان مقامه بالإسكندرية .

فلما رأى القوم الجند منهم على فتحه ، والحرس ، ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم ، ففتحوا المقوقس وجماة من أكابر القبط ، وخرجوا من باب القصر القبطي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة<sup>(١)</sup> موضع الصناعة اليوم ، وأمرؤا بقطع الجسر ، وذلك في جرى النيل .<sup>(٢)</sup> وزعم بعض مشايخ أهل مصر أن الأعرج<sup>(٣)</sup> كان تخلف في الحصن بعد المقوقس ، فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف ، وكانت سفنهم ماصفة بالحصن ، ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن محمد قال : فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص ، أنتم قوم قد ولجتم في بلادنا وألحجتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ، وإنما أنتم عصابة يسيرة وقد أظلمتكم الروم ، وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم اسارى في أيدينا ، فابعثوا إلينا رجالا منكم تسمع من كلامهم ، فله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تخرجون ونحب ، ويتقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تفشكم جموع الروم فلا يبقينا الكلام ولا تقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفا لطلبكم ورجائكم ، فابعث إلينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شيء .

(١) هي جزيرة الروضة .

(٢) لقد أدى صبر العرب وشدة بأسهم في القتال إلى خور في هزيمة من بالحصن واختلاف في ريمهم ، فجمع المقوقس ( قيرس ) من وثق بهم من الخرس ، ودعا معهم الأسقف اللاكاني ، واستشارهم سرا في الأمر ، وبسط لهم رايه ، وكان ذلك في أوائل شهر أكتوبر سنة ٦٤ ، أن يبعثوا العرب عن البلاد يقال يبدلونه لهم ، واستقر رأي المجتبعين على أن يذهب قيرس وأصحابه تحت ستار الليل إلى جزيرة الروضة ، وتم الأمر في كتمان ، ففتحوا باب البلد بدي القضي إلى النيل ، واستقل الخارجون السفن من هناك ، ونزلوا في الموضع الذي أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة .

(٣) في هامش نسخة ١ : الأعرج يقال له المنذور القبطي ، كان يدير مصر من قبل المقوقس ، وهو بجورج قائد حرس الحصن ، وقد بقي في الحصن حتى يقضى على ما يشاء من خروج قيرس .



فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم منذ يومين وليلتين حتى  
خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنهم يقتلون الرسل ، ويحبسونهم ،  
ويستحلون ذلك في دينهم ؟

وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين .

فرد عليهم عمرو مع رسله ، أنه ليس بيني وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال ،  
إما أن دخلتم في الإسلام فسكنتم إخواننا ، وكان لكم ما لنا ، وإن أبيتُمْ فأعطيتُم  
الجزية عن يد وأتقم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا  
وهو خير الحاكمين .

فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال لهم : كيف رأيتموهم ؟

قالوا : رأينا قوما للموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه  
من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ،  
وأكلهم على رُكبتهم وأجيرهم كواحد منهم ، ما يُعرف رفيقهم من وضعهم .  
ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ،  
يفضلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون في صلاتهم .

فقال عند ذلك للمقوقس : والذي يُخلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال  
لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نقتنم صلحتهم اليوم وهم  
محصورون بهذا النيل لم ينجيونا بعد اليوم إذا أمكذهم الأرض وقبوا على الخروج  
من موضعهم .

فرد إليهم المقوقس رسله ، وأن ابعثوا إلينا رسلا منكم ، نعلمهم وننتدعهم نحن  
وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم .

فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر ، أحدهم عيادة بن الضمب .

حدثنا سعيد بن عُفَيْر قال : أدرك الإسلام من العرب عشرة نفر ، طول كل رجل منهم عشرة أشبار ، عبادة بن الصامت أحدهم .

ثم رجع إلى حديث عَيْن قال : وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، والألّا يجيبهم إلى شيء يدعو إليه إلا إختدى هذه الثلاث خصال ، فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى في ذلك ، وأمرني ألا أقبل شيئا سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة بن الصامت أسود .

فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده ، فقال :

نَحْنُ عنى هذا الأسود ، وقدموا غيره يكلمنى .

فقالوا جميعا : إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلمًا ، وهو سيدنا وخيرنا والمؤتمّم علينا ، وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه . وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا بالآ نخالف رأيه وقوله .

قال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ؟ وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم .

قالوا : كلا ، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعا ، وأفضلنا ساقا وعقلا ورأيا ، وليس يُنكَر السواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدم يا أسود ، وكلمنى برفق ، فأبى أهاب سوادك ، وإن اشتد كلامك على ازددت لذلك هيبة .

فتقدم إليه عبادة ، فقال :

« قد سمعت مقاتلك ، وإن فيمن خلقت من أصحابي ألف رجل أسود ، كلهم أشد سوادا منى وأفزع منظرا ، ولورأيهم لكانت أهيب لهم منك لى ،

وأنا قد ولّيت وأدبر شبابي ، وإني مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعا ، وكذلك أصحابي ؛ وذلك أنا إنما رغبنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدونا ممن حارب الله رغبة دنيا ولا طلبا للاستئثار منها ، إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا ، وما يبالي أحدنا ، أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلبسها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله ، واقتصر على هذا الذي بيده ، ويبلغه ما كان في الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ، ورياءها ليس برياء ، إنما النعيم والرياء في الآخرة ، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يسك جوعته ويستتر عورته ، وتكون همته وشغله في رضا ربه وجهاد عدوه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره ، وإن قوله لأهيب عندي من منظره ، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله ظراب الأرض ، ما أظن ملئكم إلا سيقلب على الأرض كلها .

ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت ، فقال : أيها الرجل الصالح ، قد سمعت مقاتلك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت ، وما ظهرتم علي من ظهوركم عليه إلا لحبهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده ، قوم معروفون بالجدّة والشدة ، ما يبالي أحدكم من لقي ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لن تقبوا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقتلتكم ، وقد أقمت بين أظهرنا أشهرا ، وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقتلتكم ، وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرغ السكل رجل

منكم دينارين ، ولأميركم مائة دينار وتخليفتكم ألف دينار ، ففقه بضونها .  
وتتصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوام لكم به .

فقال عبادة بن الصامت : يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك ، أما ما  
تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم ، وإنا لا نقوى عليهم ، فلعمري  
ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه ؛ إن كان ما قلتم حقاً ،  
فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا  
عند ربنا إذا قدمنا عليه ، إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته .  
وما من شيء أقر لأعيننا ، ولا أحب إلينا من ذلك ، وإنا منكم حينئذ لعل  
إحدى الحسنيين ، إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفروا بكم أو غنيمة  
لآخره إن ظفرت بكم ، وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد متاً ، والله  
عز وجل قال لنا في كتابه « كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ،  
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » وما يتأ إلا ويدعور به صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة ،  
والأ يردم . إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد متاً هم فيها  
خلقه ، وقد استودع كل واحد منا به أهله وولده ، وإنما همنا ما أماننا .

وأما قولك أننا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ، لو  
كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه ، فانظر الذي تريد .  
فبيته لنا ، فليس بيننا وبينكم حَصَلة تقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا حَصَلة من  
ثلاث ، فاختَر أيها شئت ، ولا تُطِيع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ،  
وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا ،  
إما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله .  
وإلا نكسبته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه ، فإن .

فعل كان له مالنا، وعليه ما علينا، وكان أخانا في دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نسهل إذاكم ولا الترضى لكم، فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأتم صاغرون، نعمنا لكم على شيء نرضى به نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بقيتم وبقيتم، وقاتل عنكم من ناولاكم، وعرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم إذا كنتم في ذمتنا، وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاربة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم، هذا ديننا الذي ندين الله به، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا لأنفسكم.

فقال له المقوقس: هذا مالا يكون أبدا، ما تريدون إلا أن نتخذوا نكون لكم عبيدا ما كانت الدنيا.

فقال له عبادة بن الصامت: هو ذلك فاخر ما شئت.

فقال له المقوقس: أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال؟

فرفع عبادة يديه فقال: لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض، ورب كل شيء، ما لكم عندنا خصلة غيرها، فاختراروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك لأصحابه فقال: قد فرغ القوم، فأترون؟

فقالوا: أو يرضى أحد بهذا الذل، أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم، فهذا مالا يكون أبدا، أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره، لا نعرفه، وأما ما أرادوا أن يسبوننا ويحملونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا.

فقال المقوقس لعبادة: قد أبى القوم، فأتري؟ فراجع صاحبك على أن يعطينيكم في مروتكم هذه ما تمنيتهم وتصرفون.

فقلع عبادته وأصحابه .

فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله : أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من .  
هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم طاقة ، وأن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبتمهم  
إلى ما هو الأعظم كارهين .

فقالوا : وأى خصلة نجيبهم إليها ؟

قال : إذا أخبركم ، أما دخولكم في غير دينكم فلا آركم به ، وأما قتالهم ،  
فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصيروا صبرهم . ولابد من الثالثة .

قالوا : أفنكون لم عبيداً أبداً ؟

قال : نعم ، تكونون عبيداً مسيطرين في بلادكم ، آمنين على أنفسكم وأموالكم .  
وذرايركم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعوا وتمرقوا  
في البلاد مستعبدين أبداً ، أنتم وأهالكم وذرايركم .  
قالوا : فآلموت أهون علينا .

وأمروا بقطع الجسر من القسطنطينية وبالجيزة وبالقصر من جمع القبط  
والروم جمع كثير ، فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر حتى  
غلفروا بهم وأمكن الله منهم ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر من أسر ،  
وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة ، وصار المسلمون قد أحرق بهم الماء من كل  
وجه ، لا يقدرّون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدن والقرى ،  
والمقوقس يقول لأصحابه ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ؟ ما تنتظرون ؟  
فوالله لتجيبتمهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتجيبتمهم إلى ما هو أعظم منه كرهاً ،  
فأطيعوني من قبل أن تندموا .

فلما رأوا منهم ما رأوا ، وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجيزة ، ورضوا  
بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه ، وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص :

إني لم أزل حريصا على إيجابتك إلى خضلة من تلك الخصال التي أرسلت إلى بها ، فأني ذلك على من خضرتي من الروم والقيط ؛ فلم يكن لي أن أفتات عليهم في أموالهم ، وقد عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ، ورجعوا إلى قولي ، فأعطني أمانا اجتمع أنا وأنت في نفر من أصحابي وأنت في نفر من أصحابك ، فإن استقام الأمر بيننا ثم ذلك لنا جميعا ، وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه .

فاستشار عمرو أصحابه في ذلك ، فقالوا : لا نجيبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا ، وتصور الأرض كلها لنا قيثا وغنية ، كما صار لنا القصر وما فيه .

فقال عمرو : قد علمتم ما عهد إلى أمير المؤمنين في عهده ، فإن أجابوا إلى خضلة من الخصال الثلاث التي عهد إلى فيها أجبتهم إليها ، وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم .

فاجتمعوا على عهد بينهم ، واصطلحوا على أن يُقرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس ، شريفهم ووضيعهم ، من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ القاني ، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شيء . وعلى أن المسلمين عليهم الزل لجماعتهم حيث نزلوا ، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مقرضة عليهم ، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم في شيء منها .

فشرط هذا كله على القبط خاصة ، وحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران ، رفع ذلك عرفاؤهم بالأيان المؤكدة ، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر ، أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس ، فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط من راهق الحسك إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي ، فأحصوا بذلك على دينارين ، فبلغت عدتهم ثمانية ألف ألف .

قال : وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس صالح عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين على كل رجل منهم .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : وشرط المقوقس للروم أن ينجروا ، فن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى المقوقس الخيار في أن الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل <sup>(١)</sup> ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ؛ وإلا كانوا جميعا على ما كانوا عليه .

وكتبوا به كتابا .

وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتابا يعلمه على وجه الأمر كله ، فكتب إليه ملك الروم يفتح رأيه ويمجّزه ويرد عليه فعله ، ويقول في كتابه :

« إنا أتاك من العرب اثنا عشر ألفا ومصر من بها من كثرة عدد القبط مالا يحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب ، واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم بالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف ، معهم العدة والقتل ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت ، فمجزت عن

---

(١) أخذ قيس على نفسه أن يبعث بشروط الصالح إلى هرقل ، واتفق الروم والعرب على أن تبقى الجيوش حيث هي إلى أن يأتي رد هرقل .



تقاتلهم ، ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء ،  
ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم ؟ فإنهم فيسكن  
على قدر كبرتك وقوتك وعلى قدر قتلهم وضعفهم كأكلة ، فناهضهم القتال ،  
ولا يكون لك رأى غير ذلك .

وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم .

فقال القوقس لما أتاه كتاب ملك الروم : والله إسم على قتلهم وضعفهم أقوى  
وأشد مناعلى كبرتنا وقوتنا ، إن الرجل الواحد منهم ليمدل مائة رجل منا ،  
وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو مستقفل  
يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده ، ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا ؛  
ويقولون إسم إن قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قدر نبلة  
العيش من الطعام واللباس ، ونحن قوم نكره الموت ومحب الحياة وللتها ، فكيف  
نستقيم نحن وهؤلاء ؟ وكيف صبرنا معهم ؟ واعلموا معشر الروم ، والله إنى لأخرج  
مما دخلت فيه ولا بمصالحات العرب عليه ، وإنى لأعلم أنكم سترجعون غدا إلى رأى  
وقولى ، وتتمنون أن لو كنتم أطعموني ، وذلك أنى قد عانيت ورأيت وعرفت  
ما لم يمان الملك ، ولم يره ، ولم يعرفه ؛ ونحك ، أما يرضى أحدكم أن يكون أمنا  
في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة ؟ .

ثم أقبل القوقس إلى عمرو بن العاص فقال له : إن الملك قد كره ما فعلت  
وعجزنى ، وكتب إلى وإلى جماعة الروم ألا يرضى بمصالحتك ، وأمرهم بقتالك  
حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقبتك  
عليه ، وإنما سلطاني على نفسى ومن أطاعنى ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ،  
ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متم لك على نفسى ، والقبط متمون لك الصلاح  
الذى صالحتهم عليه ، وعاهدتهم ؛ وأما الروم فأنا منهم برىء ، وأنا أطلب إليك  
أن تعطينى ثلاث خصال .

قال له عمرو : ما هن ؟

قال : لا تنقض بالقبط ، وأدخلني معهم ، وأزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت .  
كلتي وكلهم على ما عاهدتك عليه ، فهم متّون لك على ما تحب ؛ وأما الثانية إن .  
سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجملهم فينا وعبيداً ، فإنهم  
أهل ذلك ، لأنني نصحتهم ، فاستغشوني ، ونظرت لهم ، فاستغشوني ؛ وأما الثالثة .  
أطلب إليك أن أناميت أن تأمرهم بدفنوني في أبي يُحَنَس بالأسكندرية .

فأنعم له عمرو بن العاص بذلك ، وأجابه إلى ما طلب على أن يضمثوا  
له الجسرَين جميعاً ، وبقية ما له الإنزال والضيافة والأسواق والجسور ما بين  
الفسطاط إلى الإسكندرية ، ففعلوا .

وقال غير عثمان : وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء في الحديث .

ويقال : إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو مُحاصر  
الإسكندرية .

حدثنا يحيى بن خالد العدوي عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص لما  
فتح الإسكندرية حاصراً أهلها ثلاثة أشهر ، وألح عليهم ، وخافوه ، وسأله  
المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك .

قال : لخدمنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب  
أن المقوقس الرومي الذي كان ملصكاً على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير  
من الروم من أراد المسير ، ويقر من أراد الإقامة من الروم على أمر قدسماه ، فيبلغ ذلك  
هرقل ملك الروم ، فتسخطه أشد التسخط ، وأنكره أشد الإنكار ، وبعث الجيوش ،  
فأغلغوا الإسكندرية وأذنوا عمرو بن العاص بالحرب ، فخرج إليه المقوقس فقال : أسألك  
ثلاثة ، قال ، ما هن ؟ قال لا تبذل للروم ما بذلت لي ، فإني قد نصحت لهم ، فاستغشوا

نصحي . ولا نقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم ، وأن تأمرني إذا مت .  
فادفني في أي يُحْتَسَن<sup>(١)</sup> .

فقال عمرو : هذه أهونهن علينا .

ثم رجع إلى حديث عثمان ، قال ، خرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق ، وأقاموا لهم الجسور والأسواق ، وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم ، وبمعت بذلك الروم ، فاستعدت ، واستجاشت ، وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم ، فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح .

فخرج إليهم عمرو بن العاص من القسطنطينية متوجها إلى الإسكندرية ، فلم يلق منهم أحدا حتى ترنوط<sup>(٢)</sup> ، فلقى بها طائفة من الروم ، فقاتلوه قتالا خفينا ، فهزمهم الله .

ومضى عمرو بن معه حتى لقي جميع الروم كَوْمَ شَرِيك<sup>(٣)</sup> ، فاقتتلوا به ثلاثة أيام ، ثم فتح الله للمسلمين وولى الروم أكتافهم .

(١) كنيسة بالإسكندرية .

(٢) ترنوط أو طرنوط أو الطرانة كما يسميها العرب ، مدينة قديمة ، وقد كان عندها معبر يمر النيل عليه في الذهاب إلى الإسكندرية ، ومنها يبدأ الطريق المؤدية إلى أديرة القبط في صحراء ليبيا ، وقد وقف الروم عندها يقابلون العرب ، وقد هزمهم عمرو ، واستأنف سيره إلى مدينة نفيس فاستولى عليها بعد هزيمة الروم بقيادة دوميتيانوس .

وترنوط الحالية قرية على النيل بـ ٤٠ كم من مركز التنجيلة السمي الآن مركز كوم حمادة من أعمال محافظة البحيرة ، وكان بها معاصر للسكر وبساتين كثيرة تنزود منها الإسكندرية بالغافكة . والظاهر أن عمرو بن العاص ابتداء سيره على الضفة الغربية للنيل من ناحية الصحراء ، ففيها حال أوسم لحيله ، لا يعرفها فيه ما يعترض أرس الدلتا من الترع الكثيرة .

(٣) كان هذا بعد أن عبر عمرو بجيشه النيل إلى الغرب ، وكان عمرو قد أرسل أحد رجاله ، وهو شريك بن سبي ليقتبى العدو للتهزم ، فلحق طائفة المسلمين بالروم عند موضع على ستة عشر ميلا إلى الشمال من ترنوط ، واستطاع الروم أن يردوا العرب ، فأخذ شريك رسولا إلى عمرو يطلب للدد ، ولا يلزم العدو مجيء الأمداد فر هاربا ، وقد سمي هذا الموضع الذي وقع فيه القتال باسم القائد العربي ، وهو معروف إلى اليوم باسم كوم شريك ، قرية من قبلى كوم حمادة .

ويقال : بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سُمَيٍّ في آثارهم ، كما حدثنا عبد الملك بن مسعدة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب فأدركهم عند السكوم الذي يقال له كوم شريك ، فقاتلهم شريك ، فهزمهم .

قال غير عبد الملك بن مسعدة ، فلقبهم شريك بكوم شريك ، وكان على مقدمة عمرو بن العاص ، بقرنوط ، فأجأوه إلى السكوم ، فاعتصم به ، وأحاطت الروم به .

فلما رأى ذلك شريك بن سُمَيٍّ أمراً بأناعة ، مالك بن ناعمة الصدقي<sup>(١)</sup> . وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له أشقر صدف ، وكان لا يجارى سرعة ، فأنحط عليهم من السكوم ، وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمراً ، فأخبره ، فأقبل عمرو ومتوجها نحوه وسمعت به الروم ، فأنصرفت .

وبالفرس الأشقر سميت خوثة الأشقر التي بمصر ، وذلك أن الفرس نفق ، فدفنته صاحبه هنالك ، فسمى المكان به .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ثم ألتقوا بسططيس<sup>(٢)</sup> ، فاقتتلوا بها قتالا شديدا ، ثم هزمهم الله ، ثم ألتقوا بالكركريون<sup>(٣)</sup>

(١) في نسخة م زيادة على الخامس ، أن ينهب إلى عمرو فيجبر .

(٢) سططيس ، كذا في الأصل ، وصواب الاسم سططيس ، قرية كبيرة في نحو منتصف المسافة بين كوم شريك وكربون ، على ستة أميال في جنوب دمشق ، وكانت الورقة عندها وقعة شديدة انهزم فيها الروم ، وتدفنوا نحو الشمال إلى الطريق المؤدية إلى الاسكندرية .

(٣) الكركريون مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها في كتابه ، أنها كانت في أيامه مدينة عظيمة جيلة على ضفتي نهر الاسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى القضاة في وقت الصيف إذا علا النيل ، وكان في المدينة حاكم تحت امرته مسلحة من الفرسان والمشاة ، وكانت مدينة الكركريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابلون والاسكندرية ، وكان لها شأن عظيم في تجارة القمح ، وخطر كبير في الحرب ، إذ كانت تعبر على النهر التي تعتمد عليها الاسكندرية في طعامها وشراها ، ولكن حصونها لم تكن في النعمة على مثل ما كان عليه حصن بابلون أو حصن قتيوس .

فأقننوا بها بضعة عشر يوما . وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة ، وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو .

حدثنا طلق بن السمح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالا : حدثنا ضمام ابن إسماعيل الماعري ، حدثنا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو ، أنه لقي العدو بالكريون ، وكان على المقدمة ، وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، فأصاب عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة ، فقال : يا وردان ، لو تهقرت قليلا نصيب الروح ؛ فقال وردان : الروح تريد ؟ الروح أمامك وليس هو خلفك .

فتقدم عبد الله ، فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه ، فقال عبد الله : أقول إذا ما جاشت النفس اصبري فعما قليل تحمدي أو تُلَائي<sup>(١)</sup> فرجع الرسول إلى عمرو ، وأخبره بما قال ، فقال عمرو : هو ابني حقاً . حدثنا عثمان بن صالح ، أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو ابن العاص صلى يومئذ صلاه الخوف<sup>(٢)</sup> .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم والنضر بن عبد الجبار قالا : حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن سواده ، أن شيخا حدثهم أنه صلى صلاة الخوف بالإسكندرية مع عمرو بن العاص بكل طائفة ركعة وسجدتين .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخاله بن حميد قال : ثم فتح الله للمسلمين ، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة ، واتبعهم حتى بلغوا الإسكندرية ، فحصن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنية لا ترام ، حصن دون حصن ،

(١) ويروي البيت :

أقول لها إذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي أو تستريحي  
وقال له عمرو بن الإطناية ( خطاط التوزي ) .

(٢) في نسخة د زيادة : قال ، صلى عمرو يومئذ صلاة الخوف بكل طائفة ، ركعة وسجدتين .

فنزّل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس<sup>(١)</sup> إلى ما وراء ذلك ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة .

قال : أخذتنا هانيء بن المتوكل ، حدثنا ابن لميعة عن بكر بن عمرو الخولاني ، أن عبد العزيز بن مروان حين قدم الإسكندرية سأل عن فتحها ، فقيل له : لم يبق من أدرك فتحها إلا شيخ كبير من الروم ، فأمرهم ، فأتوه به ، فسأله عما حضر من فتح الإسكندرية .

فقال : كنت غلاما شابا ، وكان لي صاحب ابن بطريق من بطارقة الروم ، فأتاني ، فقال ، ألا تذهب بنا حتى تنظر إلى هؤلاء العرب الذين يقاتلوننا ؟ فلبس ثياب ديباج ، وعصابة ذهب ، وسيفا محلى ، وركب برذونا سمينا كثير اللحم ، وركبت أنا برذونا خفيفا ، فخرجنا من الحصون كلها حتى برزنا على شرف ، فرأينا قوما في خيام ، لهم عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركز ، ورأينا قوما ضعفاء ، فجببنا من ضعفهم ، وقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا ؟ فبينما نحن وقوف ننظر إليهم ونعجب إذ خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام ، فنظر ، فلما رأى أننا حل فرسه ، فمعه<sup>(٢)</sup> ، ثم مسح ، ووثب على ظهره وهو عري ، وأخذ الرمح بيده ، وأقبل نحونا ، فقلت لصاحبي ، هذا والله يريدنا .

فلما رأينا مقبلا إلينا لا يريد غيرنا أدبرنا مولين نحو الحصن ، وأخذ في طلبنا ، فلحق صاحبي لأن برذونه كان ثقيلا كثير اللحم ، فطعنه برمح ، فصرعه ، ثم خضع الرمح في جوفه حتى قتله .

ثم أقبل في طلبي ، وبادرت ، وكان برذوني خفيف اللحم ، فنجوت منه حتى دخلت الحصن ؟ فلما دخلت الحصن أمنت ، فصعدت على سور الحصن

(١) قصر فارس قلعة كانت في شرق الإسكندرية ، وقد بناها الفرس عند مصارع لها .

(٢) ممكة أى دلكه دلكا شديدا .

أنظر إليه ، فإذا هو لما أيس منى رجع ، فلم يبالي بصاحبى الذى قتله ، ولم يرغب فى سلبه ، ولم ينزعه عنه ، وقد كان سلبه ثياب الدياتج وعصابة من ذهب ولم يطلب دابته ، ولم يلتفت إلى شئ من ذلك ، وانصرف من طريق أخرى ، وأنا أنظر إليه . وأسمعه يتكلم بكلام . ويرفع به صوته . فظننت أنه إنما يقرأ بقرآن العرب ، فعرفت عند ذلك أنهم إنما قووا على ما قووا عليه . وظهروا على البلاد لأنهم لا يطلبون الدنيا ولا يرغبون فى شئ منها . حتى بلغ خيمته ، فنزل عن فرسه . فربطه . وركز رحله . ودخل خيمته . ولم يعلم بذلك أحدًا من أصحابه . فقال عبد العزيز : صف لى ذلك الرجل وهيئته وحالته .

فقال نعم . هو قليل دميم . ليس بالتام من الرجال فى قامته ، ولا فى لحيه رقيق آدم كوسج<sup>(١)</sup> .

فقال : عبد العزيز عند ذلك : إنه ليصف صفة رجل يمانى .

قال : وحدثنا هانىء بن المتوكل حدثنا محمد بن يحيى الاسكندراني قال : نزل عمرو بن العاص بحلوة ، فأقام بها شهرين ، ثم تحول إلى المقدس<sup>(٢)</sup> فأخرجت عليه الخليل من ناحية البحيرة مستقرة بالحصن ، فواقعه ، فقتل من المسلمين المسلمين يومئذ بكفيسة الذهب اثني عشر رجلاً .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالده بن حميد قال : ورسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية فى الراكب بمادة الروم ، وكان ملك الروم يقول : لئن ظهرت العرب على الإسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ،

(١) الكوسج : الرجل لا شعر على عارضيه ، لفظ معرب .

٢٢ حلوة : موضع كان فى الجهة الشرقية من الاسكندرية .

(٢) المقدس : هى قرية أم دهن على شاطئ النيل تجاه مصر (راجع الحفاظ للفريرزية

حل ١٢١ ج ٢) ، وتصور هذه الرواية رغبة عمرو فى القبول الى حصن بابليون ليعلم أهل الدلتا بقربه ويثبتهم شوكته بعد أن عز عليه اقتحام أسوار الإسكندرية ، وقد ترك أمامها جيشاً كافياً للرباط .

لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ، ولما كان عيد الروم بالاسكندرية حيث غابت العرب على الشام قال الملك : لئن غلبونا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها ، فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الإسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه إعظاما لها ، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم ، وقال ما بقاء الروم بعد الإسكندرية .

فلما فرغ من جهازه صرعه الله ، فأمانه ، وكفى الله المسلمين مثوته ، وكان موته في سنة تسع عشرة ، فكسر الله بموته شوكة الروم ، فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه إلى الإسكندرية .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : مات هرقل في سنة عشرين<sup>(١)</sup> ، وفيما فتحت قيسارية الشام<sup>(٢)</sup> .

قال : ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخاله بن حميد قال : واستأسدت العرب عند ذلك ، وألحت بالقتال على أهل الإسكندرية فقاتلهم قتالا شديداً .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال : خرج طرف من الروم من باب حصن الإسكندرية ، حملوا على الناس فقتلوا رجلا من مَهْرَة ، فاحتزوا رأسه ، فجعل المهريون يتغضبون ويقولون : لا تدفنه أبداً إلا برأسه ؛ فقال عمرو بن العاص : تغضبون كأنكم تغضبون على من يبالي بغضبكم ، احملوا على القوم إذا خرجوا ، فاقتلوا منهم رجلا ، ثم أرموا برأسه يرموك برأس صاحبكم ؛ فخرجت الروم إليهم ، فاقتتلوا ، فقتل من الروم رجل من بطارتهم ، فاحتزوا رأسه ، فرموا إلى الروم ، فرمت الروم ،

(١) كان موت هرقل يوم الأحد ١١ من فبراير سنة ٦٤١ م .

(٢) قيسارية الشام : بلد على ساحل بحر الشام تمتد في أعمال فلسطين . وكانت قديما من أمهات المدن .



فخرجت الروم إليهم ، فافتتلوا ، فقتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاجتبروا رأسه ، فرموا به إلى الروم ، فرمت الروم برأس المهري إليهم .  
فقال : دونكم الآن ، فادفوا صاحبكم .

وكان عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الملك بن مسleme عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد يقول ، ثلاث قبائل من مصر ، أما مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون ، وأما غافق فقوم يقتلون ، وأما بلي فأكثرها رجلا حسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ضمام بن اسماعيل ، حدثنا عيش بن عباس أنه قال : لما حاصر المسلمون الاسكندرية قال لهم صاحب المقدمة ، لا تعجلوا حتى آمركم برأيي ؛ فلما فتح الباب دخل رجالان ، فقتلا ، فبكي صاحب المقدمة ، فقيل له لم بكيت وهما شهيدان ؟ . قال ، ليت أنهما شهيدان ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة عاص ، وقد أمرت ألا يدخلوا حتى يأتينهم رأيي ، فدخلوا بغير أذني .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا الليث بن سعد عن موسى بن علي أن رجلا قال لعمرو بن العاص : لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حائطهم ، فقال عمرو . أنستطيع أن تعي مقامك من الصف ؟  
قال الليث : وقيل لعمرو ، إن العدو قد غشوك ، ونحن نخاف على رائطنا ، يريدون امرأته .

قال : إذن <sup>(١)</sup> تجدون رباطا كثيرة .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال ، حدثني خالد بن نجيع قال ،

(١) في الأصل إذا .

أخبرني الفتة أن عمرو بن العاص قاتل الروم بالإسكندرية يوما من الأيام قتالا شديدا ؛ فلما استرح القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد ، فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه ، وهوى إليه ، ليقته حتى حماه رجل من أصحابه ؛ وكان مسلمة لا يقام لسبيله ، ولسكنها مقادير ، ففرجت بذلك الروم ، وشق ذلك على المسلمين ، وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة [عظيم] اللحم ، ثقیل البدن . فقال عمرو بن العاص عند ذلك : ما بال الرجل المسته الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم ؟

فغضب من ذلك مسلمة ، ولم يراجعه .

ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الإسكندرية ، فقاتلهم العرب في الحصن ، ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن إلا أربعة نفر ، بقوا في الحصن ، وأغلقت عليهم باب الحصن ، أحدهم عمرو بن العاص ، والآخر مسلمة بن مخلد ، ولم تحفظ الآخرين ، وحالوا بينهم وبين أصحابهم ، ولا تدري الروم من هم ؟ .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا إلى ديماس من حاماتهم ، فدخلوا فيه ، فاحترزوا به ، فأمرؤا روميا أن يكلمهم بالعربية ، فقال لهم : إنكم قد صرتم بأبدينا أسارى ، فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم ، فامتنعوا عليهم ؛ ثم قال : إن في أيدى أصحابكم منا رجالا أسروهم ونحن نعطيكم العهود ، نفادى بكم أصحابنا ، ولا تقتلوا عليهم .

فلما رأى ذلك الرومي منهم قال لهم : هل لكم إلى خصلة ، وهي نصف فيا بيننا وبينكم ، أن تعطونا العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منكم رجل ، ومننا رجل ، فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا ، وأمكنتمونا من أنفسكم ، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم ، فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه ، وعمرو ومسلمة وصاحبهما في الحصن في الديماس .

فقداءوا إلى البراز ، فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته ،  
وقالوا : يبرز رجل منكم لصاحبنا .

فأراد عمرو أن يبرز ، فنهه مسلمة ، وقال : ما هذا ؟ تخطفى مرتين ، تشد من  
أصحابك وأنت أمير ، وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة بحوك ، لا يدرون ما أمرك ،  
ثم لا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل ، فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك ،  
مكانك ، وأنا ! كفيك إن شاء الله تعالى .

فقال عمرو : دونك ، فربما فرجها الله بك .

فبرز مسلمة والرومي ، فتجاولا ساعة ، ثم أعانه الله عليه ، فقتله ، فكبر مسلمة  
وأصحابه ، ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ، ففتحوا لهم باب الحصن ، فخرجوا ،  
بولا تدري الروم أن أمير القوم فيهم ، حتى بلغهم بعد ذلك ، فأسفوا على ذلك ،  
وأكلوا أيديهم تقيظاً على ما قاتلهم .

فلما خرجوا استهيا عمرو بما كان قال لمسلمة حين غضب ، فقال عمرو  
عند ذلك :

— استغفر لي ما كنت قلت لك .

فاستغفر له .

وقال عمرو : ما أخشت قط إلا ثلاث مرات ، مرتين في الجاهلية ، وهذه  
الثالثة ، وما منن مرة إلا وقد ندمت واستحييت ، وما استحييت من واحدة  
منهن أشد مما استحييت مما قلت لك ، والله إنى لأرجو ألا أعود إلى الرابعة ما بقيت .  
قال : ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن أبي عمير عن يزيد بن أبي حبيب قال :  
أقام عمرو بن العاص محاصراً الاسكندرية أشهراً ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب  
قال : ما أبطأوا في فتحها إلا لما أجدثوا .

حدثنا يحيى بن خالد عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر كسب إلى عمرو بن العاص :  
أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نيّاتهم ، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمت أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورضهم في الصبر والنيّة ، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ، وأمر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة ، وليعرج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوه .

فلما أتى عمر السكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ، ثم دعا أولئك النفر ، فقدّمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلاوا ركعتين ، ثم برعّبوا إلى الله عز وجل ، ويسألوه النصر . ففعلوا ، ففتح الله عليهم .  
ويقال : إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد كما حدثنا عثمان بن صالح عن حدثه قال : أشر علىّ في قتال هؤلاء .

فقال له مسلمة : أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة ونجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس ، فيكوث هو الذي يباشر القتال ويكفيك .

قال عمرو : ومن ذلك ؟

قال : عبادة بن الصامت .

قال : فدعا عمرو عبادة ، فأثاد ، وهو راكب على فرسه ؛ فلما دنا منه أراد النزول ، فقال له عمرو :

— عزمت عليك إن نزلت ناولني سناناً رُمحك .

فناولوه إياه ، فترزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم .

فتقدم عبادة مكانه ، فصاف الروم ، وقاتلهم ، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومه ذلك .

حدثني أبي عبد الله بن عبد الحكم قال : لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الإسكندرية استلقى على ظهره ، ثم جالس فقال : إني فسكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصالح آخره إلا من أصلح أوله ، يريد الأنصار ؛ فدعا بعبادة بن الصامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه الإسكندرية في يومه ذلك .

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : حاصروا الإسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك ، وفتحت يوم الجمعة لمسهل الحرم سنة عشرين<sup>(١)</sup> .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله عن بسر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية قال : دعاني عبادة بن الصامت يوم الاسكندرية ، وكان على قتالها ، فأغار المدوّ على طائفة من الناس ولم يأذن لهم

(١) كان فتح الإسكندرية الأول صلحاً ثم بين عمرو بن العاص وبينهم بعد عودته من المنى عقب موت هرقل ، وذلك في يوم ٨ من شهر نوفمبر سنة ٦٤١ ، وقد اختلفت الروايات في ذكر شروط هذا الصلح ، ولكن حنا التقيوشى أوردتها في كتابه ، وهي :

- (أ) أن يدفع الجزية كل من دخل في القصد .
- (ب) أن يبقى العرب في مواضعهم مدة الهدنة ، وأن يكف الروم عن القتال .
- (ج) أن ترحل مملكة الإسكندرية في البحر .
- (د) أن يبيت الروم من قبلهم رهائن ( ١٥٠ جندياً + ٥٠ مدنيّاً ) ضماناً لإفاد القصد .
- (هـ) أن تعقد هدنة لمدة أحد عشر شهراً تنتهي في سبتمبر سنة ٦٤٢ .
- (و) ألا يعود جيش من الروم إلى مصر .
- (ز) أن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية .

بقتالهم ، فسمعنى ، فبمنى أحجُرُ بينهم ، فأبئتُهم ، فحجرت بينهم ، ثم رجعت  
إليه ، فقال : أقتل أحد من الناس هنالك ؟

فقلت : لا .

قال : الحمد لله الذى لم يُقتل أحد منهم عاصيا .

قال : وحدثنا عبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس ، أن مصر فتحت .

سنة عشرين .

قال . فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية كما حدثنا عبد الله  
ابن صالح عن الليث ، وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص  
بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ، ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب  
من الروم فى البحر إلى الاسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من  
هرب منهم .

وبلغ ذلك عمرو بن العاص ففكر راجعاً ، ففتحها وأقام بها ، وكتب إلى  
عمر بن الخطاب : إن الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد .  
فكتب إليه عمر بن الخطاب يقيح رأيه ، ويأمره ألا يجاوزها .

قال ابن لهيعة . وهو فتح الاسكندرية الثانى .

وكان سبب فتحها هذا كما حدثنا إبراهيم بن سعيد البلى أن رجلاً يقال  
له ابن بَسَّامة كان بواباً ، فسأل عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل  
بيته ، ويفتح له الباب .

فأجابه عمرو إلى ذلك ، ففتح ابن بَسَّامة الباب ، فدخل عمرو ، وكان مدخله  
هذا من ناحية القنطرة التى يقال لها قنطرة سليمان ، وكان مدخل عمرو بن العاص  
الأول من باب المدينة الذى من ناحية كنيسة الذهب .

وقد بقى لابن بسّامة عقب بالإسكندرية إلى اليوم<sup>(١)</sup>.

حدثنا هانيء بن التوكل ، حدثنا ضيام بن إسماعيل الماعزى قال . قُتل من المسلمين من حين كان من أمر الإسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنتان وعشرون رجلا ، وبعث عمرو بن العاص كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة معاوية بن حُذَيج وافداً إلى عمر بن الخطاب بِشيراً بالفتح ، فقال له معاوية : ألا تسكتب معي ؟ فقال له عمرو : وما أصنع بالكتابة ألسنت رجلا عربياً ، تبلغ الرسالة ، وما رأيتَ وحضرت ؟

فلما قدم على عمر أخبره بفتح الإسكندرية ، فخرّ عمر ساجداً ، وقال : الحمد لله .

وحدثنا عبد الله يزيد اللُّقْمَرى ، حدثنا موسى بن عُلى عن أبيه أنه سمعه يقول : سمعت معاوية بن حُذَيج يقول : بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية ، فقدمت المدينة في الظهيرة ، فأنتخت راحلتى بباب المسجد ، فبينما أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب ، فرأيتنى شاحبا على ثياب السفر ، فأنتنى ، فقالت :

— من أنت ؟

قال : فقلت : أنا معاوية بن حُذَيج ، رسول عمرو بن العاص .

فانصرفت عني ، ثم أقبلت تشتد ، أسمع حفيف إزارها على ساقها حتى دنت مني فقالت :

— قُمْ فَأَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوِكَ .  
فتبعتهما .

---

(١) المراد أيام ابن عبد الحكم .

فلما دخلتُ فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ، ويشد إزاره  
بالأخرى ، فقال :  
ما عندك ؟

قلت : خير يا أمير المؤمنين ، ففتح الله الإسكندرية .

فخرج معي إلى المسجد ، فقال للمؤذن :

أذن في الناس ، الصلاة جماعة .

فاجتمع الناس ، ثم قال لي :

.. قم فأخبر أصحابك .

فقمتم فأخبرهم .

ثم صلي ، ودخل منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعوات ، ثم جلس ، فقال :

— يا جارية ، هل من طعام ؟

فأتت بخبز وزيت .

فقال : كل .

فأكلت على حياء ؛ ثم قال :

— يا جارية ، هل من تمر ؟

فأتت بتمر في طبق ، فقال : كل .

فأكلتُ على حياء .

ثم قال : ماذا أكلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟

قال : قلتُ أمير المؤمنين قائل .

قال : بيئس ما قلت أوبئس ما ظننت ، لئن نمتُ النهار لأضيقن الرعية ، ولئن

نمت الليل لأضيقن نفسي ، فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية ؟

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك ، كما حدثنا إبراهيم بن سعيد العلوي



إلى عمر بن الخطاب : أما بعد ، فإنى فتحت مدينه لا أصِفُ ما فيها غير أنى أصبْتُ فيها أربعة آلاف مُنية بأربعة آلاف سَحَام ، وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية ، وأربعائة مَلهى للملوك .

قال حدثنا عبد الملك بن مساعة ، حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبى قبيل ، أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بَقَال ، يبيعون البقل الأخضر .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن مَقْلَاص عن يحيى بن عبد الله ابن داود قال : أراه عن حَيَّوَة بن مُريح ، أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بَقَال .

حدثنا هانىء بن المتوكل ، حدثنا محمد بن سعيد الهاشمى قال ، ترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أوفى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى .

حدثنا هانىء بن المتوكل عن موسى بن أيوب ورشدين بن سعد عن الحسن ابن ثوبان عن حسين بن شَقَّ بن عبيد قال : كان بالأسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ديماساً ، أصغر ديماس<sup>(١)</sup> منها يسع ألف مجلس ، كل مجلس منها يسع جماعة نفر ، وكان عدة من الاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال ، فلتحق بأرض الروم أهل القوة ، وركبوا السفن ، وكان بها مائة مركب من المراكب السكبار ، فعمل فيها ثلاثون ألفاً مع ما قدزوا عليه من المال والمتاع والأهل ، وبقي من بقي من الأسارى مَن بلغ الخراج ، فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

فاختلف الناس على عمرو فى قَسَمهم ، وكان أكثر الناس يريدون قَسَمها فقال عمرو :

(١) الديماس هو الحمام .

— لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها . وشأنها ، ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها .  
فكتب إليه عمر : لا تقسمها ، وذرهم يكون خراجهم فينا للمسلمين وقوة  
لهم على جهاد عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج ، فكانت مصر صلحاً  
كلها بفريضة ، دينارين ، دينارين ، على كل رجل ، لا يزداد على أحد منهم في جزية  
رأسه أكثر من دينارين ، إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع ، إلا  
الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليتهم ، لأن  
الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة .

وقد كانت قرية من قرى مصر ، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد  
عن يزيد بن أبي حبيب قاتلت ، فسبوا منها قرية يقال لها بَلْهَيْب ، وقرية يقال  
لها الخُلَيْس ، وقرية لها سُلْطَيْس ، فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها ، فردهم عمر بن  
الخطاب إلى قُرَاهم وصيّرهم وجماعة القبط أهل ذمة .

حدثنا عثمان بن صالح أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر أَسْبَى أَهْلَ  
بَلْهَيْب <sup>(١)</sup> وَسُلْطَيْسَ وَقَرْطَاسًا <sup>(٢)</sup> وَسَخَا ، فَتَفَرَّقُوا ، وَبَلَغَ أَوَّلُهُمُ الْمَدِينَةَ حِينَ نَقَضُوا .  
ثم كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بردهم ، فردّ من وجد منهم .

حدثنا عبد الملك بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب  
كتب في أهل سلطيس خاصة ، من كان منهم في أيديكم فختيروهم بين الإسلام ،  
فإن أسلم فهو من المسلمين ، له مالهم وعليه ما عليهم ، وإن اختار دينه فخلوا بيده

---

(١) بَلْهَيْب : وردت في معجم البلدان بالهيب ، وفي كتاب المسالك والممالك وفي خطاط  
القرظي باسم بلهيت ، وكذلك في قوانين الدواوين وتحفة الإرشاد ، وهي منية الزناطرة  
بالبحيرة ، وعلمها اليوم قزارة بمركز المحمودية .

(٢) قَرْطَاسًا : وردت في معجم البلدان أنها من قرى مصر بالمخوف النهرى ( البحيرة ) .  
وقد خربت ولا تزال أملاكها باقية بناحية يستلواى بمركز أبي حمس غربي مدينة المحمودية .

ومين قريته ، فكان البلهبي خير يومئذ ، فاختر الإسلام .  
ثم رجع إلى حديث عثمان بن يحيى بن أيوب أن أهل سلطيس ومصيل<sup>(١)</sup>  
وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم ، فلما ظهر عليهم المسلمون  
استحلوم ، وقالوا : هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية .  
فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر  
ابن الخطاب ، أن تجعل الاسكندرية وهذه ثلاث القرى<sup>(٢)</sup> ذمة للمسلمين على  
عدهم ، ولا يُجملون فينا ولا عبيدا ؛ ففعلوا ذلك .  
ويقال : إنما ردّهم عمر بن الخطاب لهد كان تقدم لهم .

حدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا ابن لهيعة وابن وهب عن عمرو بن الحارث عن  
يزيد بن أبي جبیب عن عوف بن حطان من أنه كان لقرىات من مصر ، ومنها<sup>(٣)</sup>  
أم دُنين وبلهيب عهد ، وأن عمر لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص يأمره  
أن يخبرهم ، فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، وإن كرهوا فارددهم إلى قراهم .  
قال : وكان من أبناء السُلطيسيات عمران بن عبد الرحمن بن جعفر بن ربيعة  
وأم عياض بن عقبة وأبو عبيدة بن عقبة<sup>(٤)</sup> ، وأم عون بن خارجة القرشي ، ثم  
العدوي ، وأم عبد الرحمن معاوية بن حديج ، وموالي أشراف بعد ذلك وقعوا  
عند مروان بن الحسك ، فهم أبان وعه أبو عياض وعبد الرحمن التباهي .

### ذكر من قال إن مصر قد فتحت بصلح

قال ، ثم رجع إلى حديث موسى بن أيوب ، ورشدين بن سعد عن الحسن  
ابن ثوبان عن حسين بن شوقي أن عمرًا لما فتح الاسكندرية بقي من الأسارى

(١) وردت في المخطوط الفرزبية باسم علة مصيل . أعمال البحيرة ، وهي بالقرب من قرقسا .

(٢) في الأصل : الثلاث قرىات .

(٣) في الأصل : منهم .

(٤) في هامش نسخة ١ واسمه مرة بن عقبة ، قاله ابن يونس ، وهو ابن نافع النهري .

من الطبقة الثالثة ، وهم الثابون ، مقبول ، وقد مات سنة سبع ومائة .

يها من بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان ، فاختلف الناس على عمرو في قسمهم ، فسكان أكثر المسلمين يريدون قسمها ، فقال عمرو : لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ، وأن المسلمين طلبوا قسمها .

فكتب إليه عمر : لا تقسمها وذّرهم يكون خراجها فيثا للمسلمين ، وقوة لهم على جهاد عدوهم .

فأقرها عمرو ، وأحصى أهلها ، وفرض عليهم الخراج ، فسكانت مصر كلها صلحاً بفرصة ، دينارين على كل رجل لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يُرى من وليّهم . لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ، ولم يكن لهم صالح ولا ذمة .

حدثنا عثمان ، أخبرنا الليث قال ، كان يزيد بن أبي حبيب يقول : مصر كلها صلح إلا الاسكندرية فإنما فتحت عنوة .

حدثنا عثمان بن صالح عن بكر بن مضر عن عبيد الله بن أبي جعفر قال : حدثني رجل من أدرك عمرو بن العاص قال : للقبط عهد عند فلان ، وعهد عند خلان ، فسَمِيَ ثلاثة نفر .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبي جعفر عن شيخ من كبراء الجند أن عهد أهل مصر كان عند كبارهم .

حدثنا هشام بن اسحق العامري عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر قال : سألت شيخاً من القدماء عن فتح مصر فقال :

هاجرنا إلى المدينة أيام عمر بن الخطاب ، وأنا محتلم فشهدت فتح مصر .

قلت له : فإن ناسا يذكرون أنه لم يكن لهم عهد .

فقال : ما يبالي ألا يصلي من قال ، إنه ليس لهم عهد .

فقلت : فهل كان لهم كتاب ؟

فقال : نعم ، كتب ثلاثة ، كتاب عند طَلْحَا صاحب إخفا<sup>(١)</sup> ، وكتاب عند قُرْمَان صاحب رشيد<sup>(٢)</sup> ، وكتاب عند مُحَمَّدَس<sup>(٣)</sup> صاحب البرلس<sup>(٤)</sup> .

قلت : فكيف كان صاحبهم ؟

قال : دينارين على كل إنسان جزية ، وأرزاق للمسلمين .

قلت : فتعلم ما كان من الشروط ؟

قال : نعم ستة شروط ، لا يُخْرِجُون من ديارهم ، ولا تُنْزَع نساؤهم ، ولا كفورهم ، ولا أراضيهم ، ولا يزداد عليهم .

وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أنه حدثه عن أبي جُمعة مولى عُبَيْة قال : كتب عقبة بن عامر إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله أرضاً يسترقق فيها عند قرية عقبة ؛ فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع ؛ فقال له مولى له كان عنده : أنظر أصلحك الله أرضاً صالحة .

---

(١) قرية كانت قريبة من البرلس على شاطئ البحر الأبيض ، وقد ذكرها القرظي عند السلام على طرف مما يتعلق بالاسكندرية فقال إن إختا حصن على شاطئ البحر الملح .  
(٢) رشيد : من البلاد المصرية المشهورة ، وتقع على الضفة الغربية لفرع النيل الذي بها عند مصبه في البحر ، وقد ذكر علماء الفرنج أنها أخذت في الظهور في خلافة التوكل على الله العباسي سنة ٨٧٠ م ، وقبل حدوثها كان مرسى جميع المراكب مدينة قوة ، ولما تراكمت الرمال في البوغاز تعسر وصول المراكب فوضعت مدينة رشيد .

وقد ذكر العالم دنويل أن مدينة بوليتين القديمة كانت على بعد قليل من رشيد ، وأمل الآثار التي وجدت في رشيد من آثار تلك المدينة الفرعونية التي تكلم عنها استرابون وأيني البيزنطي .

(٣) يوحنا .

(٤) بلدة قديمة على البحر الأبيض تقع على البحيرة المسماة باسمها ، ويذكر مؤرخو الفرنج أن البرلس كانت خطأ ، وكانت تسمى « بوماو » .

فقال عقبة : ليس لنا ذلك ، إن في عهدهم شروطاً ستة ، ألا يؤخذ من أنفسهم شيء . ولا من نساءهم ولا من أولادهم ، ولا يزداد عليهم ، ويدفع عنهم . موضع الخوف من عدوهم ، وأنا شاهد لهم بذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسعدة حدثنا ابن وهب عن أنى شريح عن عبيد الله ابن أبي جعفر عن أبي جهم حبيب بن وهب قال : كتب عقبة بن عامر إلى معاوية يسأله بقیعاً في قرية بيني فيها منازل ومساكن ، فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع .

فقال له موالیه ومن كان عنده : انظر إلى أرض تُعجبك ، فاختر فيها وابتن . فقال : إنه ليس لنا ذلك ، لهم في عهدهم ستة شروط ، منها ألا يؤخذ من أرضهم شيء . ولا يزداد عليهم ، ولا يكلّفوا غير طاقهم ولا يؤخذ ذراتهم ، وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورأهم .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن جعفر عن رجل من كهراء الجند قال : كتب معاوية بن أبي سفيان إلى وُرْدان أن زد على كل رجل منهم قيراطاً .

فكتب وردان إلى معاوية : كيف تزيد عليهم ؟ وفي عهدهم ألا يزداد عليهم شيء .

فعرل معاوية وردان .

ويقال : إن معاوية إنما عزل وردان كما حدثنا سعيد بن عفیر أن عتبة بن أنى سفيان وفد إلى معاوية في نفر من أهل مصر ، وكان معاوية ولّى عتبة الحرب ووردان الخراج وحُوَيْث بن زيد الديوان ، فسأل معاوية الوفد عن عتبة . فقال عبادة بن صمّال الماعفری : حُوتُ بحر يا أمير المؤمنين ، وَوَعَلَ بَرّ .

فقال معاوية لعتبة : اسمع ما تقول فيك رعيتك .

فقال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، حجبتني عن الخراج ، ولم على حقوق ،  
وأكره أن أجلس فأشأَل فلا أفل ، فأُجَل .  
فضم اليه معاوية الخراج .

حدثنا عبد الملك بن مسعدة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن  
وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطّان أنه  
قال : كان لقريبات من مصر ، منها <sup>(١)</sup> أم دُبَيْن وبَلْهَيْب عهد ، وأن عمر بن  
الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص ، يأمره أن يَحْتَرِمَ ،  
فإن دخلوا في الإسلام فذاك ، وإن كرهوا فأرددهم إلى قراهم .

قال : وحدثنا عبد الملك بن مسعدة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب  
عن يحيى بن ميمون الحضرمي قال : لما فتح عمر بن العاص مصر صُوِّلَ على  
جميع من فيها من الرجال القبط من راقق الحكم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم  
امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين دينارين ، فأحصوا لذلك ، فبلغت عدتهم  
ثمانية آلاف ألف .

حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب قال . سمعت حَيَّوَةَ بن شُرَيْح قال :  
سمعت الحسن بن قُوبان الهمداني يقول ، حدثني هشام بن أبي رُقَيْة اللخمي أن  
أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر : إن من كتفى كنزاً عنده  
فقد رت عليه قتله .

وأن أنطينا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمره أن عنده كنزاً ،  
فأرسل إليه ، فسأله فأنكر وجحد ، فحبسه في السجن ، وعمره يسأل عنه ، هل  
يسمعونه يسأل عن أحد ؟

---

(١) في الأصل : منهم .

فقالوا : لا ، إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور .  
فأرسل عمرو إلى بطرس ، فبرز خاتمه من يده ، ثم كتب إلى ذلك  
الراهب ، أن أبعث إلى بما عندك ، وختمه بخاتمه .

فجاء رسوله بقلّة شامية ، مختومة بالرصاص ، ففتحها عمرو ، فوجد فيها  
صحيفة مكتوب فيها ، مالمسك تحت الفسقية الكبيرة .

فأرسل عمرو إلى الفسقية ، فخبس عنها الماء ، ثم قلع البلاط الذي تحته ، فوجد  
فيها اثنين وخمسين إردبا<sup>(١)</sup> ذهباً ، مضروبة؛ فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد .  
فذكر ابن ربيعة أن القبط أخرجوا كنوزهم شفقاً أن يُبقي على أحد منهم ،  
فقتلوا كما قُتل بطرس .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن طيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن  
العاصي استحل مال قبطي من قبط مصر ، لأنه استقر عنده أنه يظهر الروم على  
عورات المسلمين ، ويكتب إليهم بذلك ، فاستخرج منه بضعة وخمسين إردباً داناب .  
قال : ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال : ففتح الله  
أرض مصر كلها بصالح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظهرت الروم على  
المسلمين ، فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها ، وقالوا : هؤلاء لنا في الاسكندرية .

فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر . ان  
تُجمل الاسكندرية وهذه ثلاث القريات<sup>(٢)</sup> ذمة للمسلمين وبضربون عليهم الخراج ،  
ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين ، لا يُجمعون قينا ولا عبيداً .  
ففعّلوا ذلك إلى اليوم .

(١) كذا في الأصل ، والرواية غير معقولة .

(٢) وهؤلاء الثلاث قريات كذا في الأصل .



## ذكر

### من قال فتحت مصر عنوة

وقال آخرون . بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سمع عبيد الله بن المغيرة بن أبي بُردة يقول : سمعت سفیان بن وهب أنطولاني يقول : إنا لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال : أقسمها يا عمرو بن العاص . فقال عمرو : والله لا أقسمها .

فقال الزبير : والله لتقسمها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين .

فكتب إليه . عمر : أقرها حتى يغزو منها حبلُ الحيلة .

قال ابن لهيعة ، وحدثنى يحيى بن ميمون عن عبيد الله بن المغيرة عن سفیان بن وهب بهذا إلا أنه قال : فقال عمرو : لم أكن لأحدث فيها شيئا حتى أكتب إلى عمر بن الخطاب .

فكتب إليه .

فكتب إليه بهذا .

قال عبد الملك في حديثه : وإن الزبير صوّح على شيء أرضى به .

حدثنا عبد الملك بن سلمة وعثمان بن صالح قالا : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن هُبيرة أن مصر فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أنس .

قال : سمعت أشيائنا يقولون ، إن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

قال ابن أنعم ، منهم أبي يحدثنا عن أبيه ، وكان ممن شهد فتح مصر .

( م ٩ — فتح مصر )

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن وهب عن ابن أنعم قال : سمعت أشيأخنا يقولون ، فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .  
حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة ، أن مصر فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قحان أيوب بن أبي العالية عن أبيه ، وأخبرنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن داود بن عبد الله الحضرمي أن أبا قحان حدثه عن أبيه أنه سمع عمرو بن العاص يقول : لقد قعدت مقعدى هذا وما لأحد من قبض مصر على عهد ولا عقد إلا أهل أنطايا<sup>(١)</sup> فإني لم عهدا يوفى لم به .

قال ابن لهيعة في حديثه : إن شئت قتل ، وإن شئت خست ، وإن شئت [ ربت ] .

حدثنا عبد الملك بن المسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عياض بن عبد الله الغفري عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عقد ولا عهد ، وأن عمر بن الخطاب حبس دَرَّها وصَرَّها أن يُخرج منه شيء نظراً للإسلام وأهله .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن يعقوب ابن مجاهد عن زيد بن أسلم قال : كان ثابت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد من عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد . قال عبد الرحمن بن شريح : فلا أدري أعني زيد حدث أم شيء قاله ؛ فن أسلم منهم فائمة<sup>(٢)</sup> ، ومن أقام منهم فذمة .

(١) أنطايا أو أنطايا : وهو الإقليم الذي يلي مصر غرباً من بلاد الدولة الرومانية ويشمل مدناً وقرى بين الإسكندرية وبرقة .

(٢) أى من أمة المسلمين ، وقد جاء في لسان العرب « قوله في الحديث أن يهود بني عوف أمة من المؤمنين يريد أنهم بالصالح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجاعة منهم ، كلتهم وأبيسهم واحدة . »

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار وعبد الله بن مسلمة قالا : حدثنا ابن  
الهيعة عن عبد الملك بن جُنادة كاتب حِثَّانِ سُرَّيْحَ ، من أهل مصر من موالى  
قرش ، قال : كتب حِثَّانُ إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يعمل جزية مَوْتَى  
القبط على أحيائها .

فسأل عمر عِرَّاك بن مالك ، فقال عِرَّاك : ما سمعت لهم بهد ولا عقد ،  
وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد .

فكتب عمر إلى حِثَّان بن سُرَّيْحَ ، أن يعمل جزية مَوْتَى القبط على أحيائهم .  
قال ، سمعت يحيى بن بكير يقول ، خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد  
الاسكندرية في سفينة ، فأحتاج إلى رجل يُقَذِّفُ به ، فسخر رجلا من القبط ،  
فكسَّم في ذلك ، فقال : إنهم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم .

حدثنا عبد الملك بن سلمة عن ابن الهيعة عن الصَّلْتِ بن أبي عاصم ، أنه قرأ  
كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حِثَّان بن سُرَّيْحَ ، أن مصر فتحت عنوة بغير  
عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن سُرَّيْحَ  
عن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حِثَّانِ حدثه ، أنه احتجج إلى خشب لصناعة  
الجزيرة ، فكتب حِثَّان إلى عمر يذكر له ذلك ، وأنه وجد خشباً عند بعض أهل  
الدَّيَّة ، وأنه كره أن يأخذ منهم حتى يعلمه .  
فكتب إليه عمر : خُذْها منهم بقيمة عدلٍ ، فإنى لم أجد لأهل مصر عهداً  
أفِي لهم به .

حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة قال ، حدثنا ابن الهيعة  
عن يزيد بن أبي حبيب قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى حِثَّان بن سُرَّيْحَ ،  
أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب عن عبد الرحمن بن كعب .  
ابن أبي كعب أن عمر بن عبد العزيز قال لسالم بن عبد الله : أنت تقول ليس  
لأهل مصر عهد ؟ قال : نعم .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن  
جده ، أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر  
فيموت أحدهم وليس له وارث ؛ فكتب إليه عمر ، أن من كان منهم له عقب .  
فادفع ميراثه إلى عقبه ، ومن لم يكن له عقب فأجعل ماله في بيت مال المسلمين ،  
فإن ولاده للمسلمين .

حدثنا يحيى بن خالد عن رشدين بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن  
شهاب أنه قال : كان فتح مصر بعضها بمهد وذمة وبعضها عنوة ، فجعلها عمر بن  
الخطاب رضى الله عنه جميعاً ذمة ، وحملهم على ذلك ؛ ففضى ذلك فيهم إلى اليوم .

## ذكر

الخطاب (١)

قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم ، حدثنا ثمان بن صالح ، حدثنا  
ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية .  
ورأى بيوتها وبنائها مفروغا منهاهم أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كُفيناها .  
فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول ، هل  
يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، إذا جرى النيل .  
فكتب عمر إلى عمرو ، إنى لا أحب أن تنزل المسلمين منزلاً يحول الماء .  
بينى وبينهم في شتاء ولا صيف .

(١) جمع خلة بمعنى محلة أو بلد .

فتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى القسطنطينية .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ، وحدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمدائن كسرى ، وإلى عامله بالبصرة ، وإلى عمرو بن العاص ، وهو نازل بالإسكندرية ، ألا تجعلوا بيني وبينكم ماء ، متى أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قد مت . فتحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة ؛ وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه ، فنزل البصرة ؛ وتحول عمرو بن العاص من الإسكندرية إلى القسطنطينية .

قال : وإنما سميت القسطنطينية حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وسعيد ابن غفيرة ، أن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر برفع فسطاطه فإذا فيه يوم قد فرّخ .

فقال عمرو بن العاص : لقد تحرم منا بمحرم ، فأمر به ، فأقر كما هو ، وأوصى به صاحب القصر ؛ فلما قتل المسلمون من الإسكندرية ، فقالوا : أين نزل ؟ قالوا : الفسطاط ، فسطاط عمرو الذي كان خلفه ، وكان مضروبا في موضع الدار التي تُعرف اليوم بدار الحصى ، عند دار عمرو الصغيرة اليوم .

وبنى عمرو بن العاص المسجد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث ابن سعد ، وكان ما حوله حدائق وأغابا ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديهم ، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة ، وأن عمرأ وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين وضعوها ؛ واتخذ فيه منبرا ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن أبي تميم الجشاني .

قال : فسكتب إليه عمر بن الخطاب ، أما بعد ، فإنه بلغني أنك اتخذت

منبراً ترقى به على المسلمين ، أو ما يحسبك أن تقوم قائماً ، والمسلمون تحت عقيبك ؟ فعزمت عليك لما كسرتنه .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي جبيب عن أبي الخير ، أن أبا مسلم الغافقي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذن لعمر بن العاص ، فرأيت يبيخر المسجد .  
قال : واختط الناس .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، أخبرنا ابن وهب عن يحيى بن أزهر عن الحججاج بن شداد عن أبي صالح الغفاري قال : كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، إننا قد اختطفنا لك داراً عند المسجد الجامع .

فكتب إليه عمر ، أئني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر ؟ وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين .

قال ابن لهيعة : هي دار البركة ؛ فجعلت سوقاً ، فكان يباع فيها الرقيق .  
هكذا قال ابن أبي عمير .

قال : وأما الليث بن سعد ، فإن عبد الملك حدثنا عنه أنه دار البركة خطه لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فسأله إياها عبد العزيز بن مروان ، فوهبها له ، فلم يثبت منها شيئاً .

حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله قال : شهد عبد الله بن عمر فتح مصر ، واختط فيها دار البركة ، بركة الرقيق . قال ، فوهبها لمعاوية رجاء أن يثيبني منها ، فلم يثيبني منها حتى مات ، فهو في حل<sup>(١)</sup> .

(١) في نسخة ١ : ح : زيادة : قال علي بن الحسن بن قنيد ، وحدثناه أحمد بن عمرو .

وكان من حُفِظَ من الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب<sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُرَيْش وغيرهم ومن لم يكن له رسول الله صلى الله عليه وسلم صُحبة، كحدثنا عبد الملك بن مسلمة، وغير عبد الملك قد ذكر بعض ذلك أيضاً الزبير ابن العوام، وسعد بن أبي وقاص<sup>(٢)</sup>، وعمر بن العاص وهو كان أمير القوم، وعبد الله ابن عمرو، وخارجة بن حذافة العدوي، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وقيس ابن أبي العاص السهمي، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، ونافع بن عبد القيس القهري<sup>(٣)</sup>، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عُبَيْدَةَ، وعبد الرحمن، وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة، ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص ؛ وقد اختلف في سعد ابن أبي وقاص ، فقليل إنما دخلها بعد الفتح .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد أن سعد بن أبي وقاص قدم مصر، وشهد الفتح من الأنصار، عبادة بن الصامت، وقد شهد بدرًا وبيعة العقبة ؛ ومحمد بن مسلمة الأنصاري وقد شهد بدرًا ، وهو الذي كان بعثه عمر بن الخطاب إلى مصر، فقام عمرو بن العاص ماله ، وهو أحد من صعد الحصن مع الزبير بن العوام ، ومسلمة بن مخلد الأنصاري ، يقال له صُحبة .

(١) الضحاجي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام ، فبذل فيه لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يفر ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى .  
ويرى بعض العلماء أنه لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة : من طالت مجالسته ، أو حفظت روايته ، أو ضبط أنه غزا معه ، أو استشهد بين يديه ، وكذلك اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت .  
(٢) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص أحد الذين شهد لهم الرسول بالجنة وأحد العشرة سادات الصحابة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وقد جمع ابن عبد الحكم في هذه الرواية الصحابة وغيرهم .  
(٣) كان نافعاً أنا العاص بن وائل لأمه .

حدثونا عن وكيع ، حدثنا موسى بن عُلَيْع عن أبيه قال : سمعت مسلمة بن مخلد يقول : ولدت حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر ، وكان قد ولي البلد في أيام معاوية . وصُدِّرَ أَمِنْ خلافة يزيد ، وتوفي مسلمة بمصر سنة اثنتين وستين .

وأبو أيوب الأنصاري ، واسمه خالد بن زيد ، وقد شهد بدرا وتوفي بالقسطنطينية في سنة خمسين ، وأبو البرداء ، واسمه عُوَيْر ، قال ابن هشام : عُوَيْر بن عامر ويقال عوَيْر بن زيد .

ومن أفتاء القبائل ، أبو بَصْرَةَ الغفاري ، واسمه جُمَيْل بن بصرة ، وأبو ذر الغفاري ، واسمه جندب بن جُنَادَة ، ويقال بُرَيْر .

قال ابن هشام : سمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر جندب بن جُنَادَة . حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : وكان أبو ذر ممن شهد الفتح مع عمرو بن العاص .

وهُبَيْب بن مُغْفَل ، ولهم عنه حديث واحد ، وهو حديث ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب أن أسلم أبا عمران أخبره عن هبيب بن مُغْفَل أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من جَرَّه حَيْلَاءٌ — يعني إزاره — وَطِئَهُ فِي النَّارِ » . وإليه ينسب وادي هبيب الذي بالمغرب .

وعبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدِي ، وكان اسمه العاص ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالوا : حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزُّبَيْدِي قال : توفي رجل من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم



مُوهُو عند القبر : ما اسمك ؟ قلت : العاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« العاص ، أنتم عُبُد الله ، انزلوا . »

قال : فوارينا صاحبنا ، ثم خرجنا من القبر ، وقد بدلت أسماؤنا .  
وكعب بن ضِئْلة العبسي ، ويقال : كعب بن يسار بن ضِئْلة ، وعقبة بن عامر  
الْجُهَنِّي ، يَكْتَنِي أبا حاد ، وهو كان رسول عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص  
حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن قد دخل مصر .

وأبرزمة البلوي ، وريح بن حُسْكل ، وكان ممن قدم على رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من هُذَلة ، وشهد الفتح مع عمرو ، واختط ، هكذا قال ابن عُفَيْر ،  
ريح بن حُسْكل ، والمهريُّون يقولون : ربح بن عُسْكل .  
وجندادة بن أبي أمية الأزدي ، وسفيان بن وهب الخولاني ، وله صحبة .

حدثنا عمرو بن سواد ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عبد الرحمن بن شريح  
قال : سمعت سعيد بن أبي شمر السبائي يقول : سمعت سفيان بن وهب الخولاني  
يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَأَنفَاتِي الْمَائَةُ وَعَلَى ظَهْرِهَا  
أَحَدٌ بَاقٍ » .

قال : فحدثت بها ابن حُجْبَرَةَ فقام ، فدخل على عبد العزيز بن مروان ، فحُمِّلَ -  
سفيان وهو شيخ كبير ، حتى أدخل على عبد العزيز بن مروان ، فسأله عن الحديث  
فحدثته ، فقال عبد العزيز ، فلهله يعني ، لا يبقى أحد ممن كان معه إلى رأس المائة .  
فقال سفيان : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

ومعاوية بن حُذَيْج الكندي ، وهو كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن  
الخطاب بفتح الاسكندرية .

وقد اختلف في معاوية بن حُذَيْج فقال قوم : له صحبة ، واحتجوا في ذلك

بحديث حدثناه أبي عبد الله عبد الحسك وشعيب بن اللبث وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن حديج، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوماً، فسلم، ثم انصرف، وقد بقي من الصلاة ركعة، فأدركه رجل، فقال: قد بقيت من الصلاة ركعة؛ فرجع، فدخل المسجد، فصلى بالناس ركعة، فأخبرت بذلك الناس، فقالوا: أنعرف الرجل؟ قلت: لا، إلا أن أراه.

وقال آخرون: ليست له صحبة، واحتجوا بحديث حدثناه يوسف بن عدي عن عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح قال: سمعت معاوية بن حديج يقول: هاجرنا على عهد أبي بكر رحمه الله، فبينما نحن عنده إذ طلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه قدّم علينا برأس ينفق البطريق، ولم يكن لنا به حاجة، إنما هذه سقة العج، ثم قال: يا عتبة، فقام رجل يقال له عتبة، فقال: إني لا أريدك، إنما أريد عتبة بن عامر، ثم يا عتبة، فقام رجل فصيح قارىء، فافتتح سورة البقرة، ثم ذكر قتالهم، وما فتح الله لهم، فلم أزل أحتبه من يومئذ. وعامر مولى جمل الذي يقال له عامر جمل، شهد الفتح وهو مملوك، وإنما قيل له عامر جمل، أنه كان مع عمرو بن العاص عند معاوية بن أبي سفيان، فقال عامر لعمر: تكلم، فإنني من ورائك؛ فقال له معاوية: ومن أنت؟ قال، أنا عامر مولى جمل. فقال له معاوية: بل أنت عامر جمل. فقيل له: عامر جمل لقول معاوية ذلك.

منهم من أهل بذر ستة نفر، الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ولقداد بن الأسود، وعبيدة بن الصامت، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة.

وقد كان عمار بن ياسر دخل مصر، ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان.

حدثنا عبد الحميد بن الوليد ، حدثنا أبو عبد الرحمن عن مجالد<sup>(١)</sup> عن الشعبي ،  
أن عمار بن ياسر دخل مصر في أيام عثمان بن عفان ، وجهه إليها في بعض أموره ،  
ولم عنه حديث واحد .

حدثنا أبو الأسود انفضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لميعة عن أبي عسانة  
قال : سمعت أبا اليقظان عمار بن ياسر يقول : أبشروا ، فوالله لأنتم أشد حُبًّا  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عامة من قد رآه .

قال : منهم من اختط بالبلد ، فذكرنا خطته ، ومنهم من لم يذكر له خطه ،  
فالله أعلم كيف كان الأمر في ذلك .

قال : فاخط عمرو بن العاص داره التي هي له اليوم عند باب المسجد ، بينهما  
الطريق ، وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها ( وفيها دفن عبد الله بن عمرو بن العاص .  
فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن  
بكير قال : توفي عبد الله بن عمرو بن العاص بأرضه بالسَّيِّع من فلسطين ،  
ويقال ، بل مات بمكة ، والله أعلم ، ويكنى أبا محمد ، وكان وفاته سنة ثلاث  
وسبعين ، ولأهل مصر عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قريب من مائة حديث ،  
والحمام الذي يقال له حمام القار ( وإنما قيل له حمام القار ، أن حمامات الروم  
كانت ديماسات كبار ، فلما بُنِيَ هذا الحمام ورأوا صغره قالوا ، من يدخل هذا ؟  
هذا حمام القار . ) ودار عمرو التي هنالك ، ويقال : بل اختط عمرو لنفسه  
في الموضع الذي فيه دار ابن أبي الرِّزَّام .

واخط عبد الله ابنه هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع ، وهو الذي  
بناها هذا البناء ، وبنى فيها قصرًا على تريم السكبية الأولى ، واحتجج من زعم

(١) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني يسكنون اليم ، أبو عمرو الكوفي ، وهو ليس  
بالقوي ، وقد تفرق في آخر عمره ، من صفار الطبقة السادسة ( راجع صحيفة ٤٨٢ من كتاب  
تقريب التهذيب ) .

أن هذه الدار الكبيرة التي عند المسجد هي خطبة عمرو نفسه، بحديث ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني، أنه سمع عمرو بن العاص يقول: أخبرني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله قد زادكم صلاة، فصلوها فيما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح، الوتر الوتر، ألا إنه أبو بصرة الغفاري.

قال أبو تميم الجيشاني، وكنت أنا وأبو ذر قاعدين، فأخذ أبو ذر بيدي فانطلقنا إلى أبي بصرة، فوجدناه عند الباب الذي إلى دار عمرو؛ فقال أبو ذر: يا أبا بصرة، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله قد زادكم صلاة، فصلوها فيما بين العشاء إلى الصبح، الوتر الوتر»؟

قال: نعم.

قال: أنت سمعته؟

قال: نعم.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن هبيرة، وحدثنا عمرو بن سواد عن ابن وهب عن ابن لهيعة، وقد حدثني طائفة ابن السَّمْح عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني ببعضه.

ولهم عن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث عدة، منها حديث موسى بن عُلَي عن أبيه عن أبي قبيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السَّحَر.

حدثناه أبي عن الليث عن موسى بن عُلَي، وحدثناه عبد الله بن صالح عن موسى عن نفسه، ومنها حديث نافع بن يزيد عن الحارث بن سعيد العُمَتي عن عبد الله بن مُتَن عن بن عبد كلال عن عمرو بن العاص قال: أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة، منها في المَفَصَل ثلاث، وفي سورة الحج سجدتان. حدثناه سعيد بن أبي مريم.

## ذكر

من اختط مولى المشجر الجامع مع عمرو بن العاصم

واختط حول عمرو والمسجد قريش<sup>١</sup> والأنصار وأسلم وغفار ، وجُهمنة ، ومن كان في الزاية ممن لم يكن لعشيرته في الفتح عدد مع عمرو .

فاختطَ وَرْوان مولى عمرو القصر الذى يُعرف بقصر عمر بن مروان ، وإنما نسب إلى عمر بن مروان ، أن أنْتَناس صاحب الجند وخراج مسلمة سأل معاوية أن يجعل له منزلاً قرب الديوان ، فكتب معاوية إلى مسلمة أن تُخلد بأمره أن يشتري له منزل وَرْدان ويَحْطَّ لوردان حيث شاء ، ففعل ، فأخذ أنْتَناس المنزل ، وبعث مسلمة مع وردان السَّمط مولى مسلمة وأمره أن يُقْطِعَهُ غَلَوَةَ نَشَابِه ، فخرج معه حتى وقفا على موضع مناخ الإبل ، وكان ذلك فناءً يتوسع فيه المسلمون فيما بينهم وبين البحر ، فقال السَّمطُ لِرْدان : لنعلمن اليوم فضل غللا فارس على الروم . وكان السَّمط فارسيا ووردان رومياً ، فمَغَطَّ السَّمط في قوسه ، ونزع له بُشْأَبَه ، فاخطفها وردان ، فلما مات انتناس أَقْطَعَتْ عَمْرُ بن مروان ، ويكنى وردان بأبى عبيد .

ويقال : إن قصر عمر بن مروان من خِطَّة الأزد ، فابتاع ذلك عبد العزيز ابن مروان ، فوهبه لأخيه عمر بن مروان ، وذلك أن ذلك الزقاق من قصر عمر بن مروان إلى الاصطبل ، والاصطبل من خِطَّة الأزد .

واختط قيس بن سعد بن عُبادة في قبلة المسجد الجامع دارَ الْفَيْل ، وكانت فضاءً ، فبناها لما ولى البلد ، ولآه إياها على بن أبى طالب ، ثم عزله ، فسكان الناس يقولون ، إنها له ، حتى ذكر له ذلك ، فقال ، وأتى دارى بصبر ؟ فذكرها له ، فقال : إنما تلك بُنِيَتْها من مال المسلمين لا حق لى فيها .

ويقال ، إن قيس بن سعد أوصى حين حضرته الوفاة ، فقال : إني كنت بنيت داراً بمصر ، وأنا واليها ، واستعنت فيها بمعونة المسلمين ، فهي للمسلمين ينزلها ولائهم .

ولهم عن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان ، أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ربُّ الدابة أحق بصدر دابته .

حدثنا أبو الأسود حدثنا ابن لهيعة عن عبد العزيز بن عبد الملك بن مكييل عن عبد الرحمن بن أبي أمية<sup>(١)</sup> عن قيس بن سعد ، ويقال ، بل كانت دار الفلفل ودار الزلابية التي إلى جنبها النافع بن عبد القيس الفهري ، ويقال ، بل هو عقبة بن نافع ، فأخذها قيس بن سعد منه وعوضه عنها دار الفهريين التي في زقاق القناديل ، ويقال ، بل كانت تلك الدار خطة عقبة بن نافع .

ويقال ، بل كانت دار الفلفل لسعد بن أبي وقاص ، فتصدق بها على المسلمين ، واقتصر على داره التي بالموقف ، والله أعلم .

ويقال : إن داره التي بالموقف التي تعرف بالفندق ليس هو خطة لسعد ، وإنما كان مولى سعد ، فأت ، فورثها عنه آل سعد ؛ وإنما سميت دار الفلفل لأن أسامة بن زيد التثؤنخي إذ كان والياً على خراج مصر ابتاع من موسى بن وردان فلفلاً بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد بن عبد الملك ، أراد أن يهديه إلى صاحب الروم ، فخزّنه فيها ، فشكا ذلك موسى بن وردان إلى عمر ابن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، فكتب إليه أن يدفع له .

حدثنا طلق بن السمّح ، حدثنا ضيام بن اسماعيل حدثني موسى بن وردان قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فحدثته بأحاديث عمر أدركته من أصحاب

(١) قيّده السابق : عبد الرحمن بن أبي أمية في أصله ، وفي تاريخ ابن يونس عبد الرحمن ابن أبي أمية .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكنت عنده بمنزله، أدخل إذا شئت وأخرج إذا شئت، فكنت أحده عن أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألته الكتاب إلى حنّان بن سريح في عشرين ألف دينار، استوفيتها من ثمن فلفل، ليسكتب إليّ يدفعها إليّ؟ فقال لي: ولئن العشرون ألف دينار؟ قلت: هي لي. قال: ومن أين هي لك؟ قلت له: كنت تاجرا، ففُضِرَ بمُخَصَّرته، ثم قال: التاجر فاجر، والفاجر في النار، ثم قال اكتبوا إلى حنّان بن سريح، فلم أدخل عليه بعدها، وأمر حاجبه ألا يدخلني عليه، وصارت دار الزلاية للحكم بن أبي بكر، ويقال: بل دار الزلاية خِطّة عبّدة بن عبّدة.

واختط مسلمة بن مُخَلَّد دار الرَّمْل، واختط مع مسلمة فيها أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واختط معهم عقبة بن عامر الجُهَنِي، فلما ولي مسلمة بن مُخَلَّد سألته معاوية داره، فأعطاه إياها، وخطّ له في القضاء داره ذات الحمام التي بسوق وردان، ثم صارت إلى بني أبي بكر بن عبد العزيز، فحازها بنو العباس مع ما حيز من أموال بني مروان، فامتدح ابن شافع صالح بن علي، فأقطعه إياها.

ولما صارت لبني أبي بكر بن عبد العزيز، أن مسلمة بن مُخَلَّد توفي ولم يترك ذكرا، فورثته ابنته أم سهل ابنة مسلمة، وإليها تُنسب مُثَنِيّة أم سهل، مع زوجتيه وعصبتها بنى أبي دُجَانَة، ف تزوج عبد العزيز امرأته مسلمة بعد وفاته، وقضى عنه عشرين ألف دينار كانت عليه، وتزوج أبو بكر بن عبد العزيز ابنته أم سهل ابنة مسلمة.

وكان الذي صار اليهم من ربيع مسلمة بالميراث الذي ورثوا عن نساءهم؛ فسكانت دار مسلمة من رَحَا السَكَمَك إلى حمام سوق وردان، ما صار لعبد العزيز ولأبي بكر بن عبد العزيز، وكان لأبي بكر من مُثَنِيّة أم سهل ما ورثه عن امرأته

أم سهل ؛ وما كان في أيدي الناس غيرهم من ذلك مما كان لابن الأشتر الصدقي ولبنى وردان ، وسماعة ابنة محمد ، ولؤى بن علي ، فمن حقوق عصبية مسامة بما يباعه يحيى بن سعيد الانصاري ، وكان العصبية قد وكلوه بذلك ، وبهذا السبب قدم يحيى بن سعيد مصر ، وكانت الدار المعروفة بدار المغازل بالحمام باع يحيى ابن سعيد أيضاً ، فاشتراها منه ابن وردان وابن مسكين .

وكان مسلمة بن مخلد كما حدثنا سعيد بن عفير بن أبي طهية أحسبه أيام عمرو على الطواحين .

واشترى معاوية أيضاً دار عقبة بن عامر ، وخط له في القضاء قبالة الطريق إلى دار تحفوط بن سليمان ، وكانت من الخط الأعظم إلى البحر ، ويقال : بل مسلمة ابن مخلد أقطعها عقبة ، فحبسها عقبة على ابنته أم كلثوم ابنة عقبة ، وقد يجوز أن يكون مسلمة إنما أقطعها لعقبة بأمر معاوية عوضاً من الذي أخذ منه من داره .

وكانت دار أبي رافع قد صارت إلى مولاة السائب مولى أبي رافع ، فاشتراها منه معاوية ، وأقطع السائب الفائض عند حيز الوز ، ويقال : بل اختط المقداد ابن الأسود دارا كانت إلى جانب دار الرمل ، وكانت إلى جنبها دار لعقبة بن عامر ، وهي خطته : فابتاع عقبة دار المقداد بن الأسود ، فهدمها وهدم داره فبناها جميعاً داراً لرملة ابنة معاوية ، فكتب إليه معاوية ، لا حاجة لنا بها ، فاجعلها للمسلمين ؛ ورملة سميت دار الرمل ، لما ينقل إليها من الرمل لدار الضرب .

سمعت يحيى بن عبد الله بن بكير فيما أحسب يقوله ، ولا أعلمني سمعت ذلك من غيره ، يكنى المقداد ، أبا مَعْبُد .

حدثنا يعقوب بن إسحق بن أبي عباد ، حدثنا حماد بن شعيب عن منصور عن هلال بن كساف قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية



فلما رجع قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف رأيت الإمارة أبا معبد ؟ قال : خرجت يارسول الله وما أرى أن لى فضلاً على أحد من القوم ، فما رجعت إلا وكأنهم عبيد لى . قال « كذلك الإمارة أبا معبد إلا من وقاه الله شرُّها » قال : والذى بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا .

قال : ويقال : بل كتب معاوية حين استخلف إلى عقبة بن عامر يسأله أن يسلمها ليزيد لقرئها من المسجد ويُعطيه ما هو خير منها . ففعل ، فأقطع معاوية داره التى بسوق وردان ، وبنائها له ، وبنى سُفْلَ دار الرمل ليزيد ، وأقطع معاوية أيضا يزيد قرية من قرى القَتُوم ، فأعظم الناس ذلك ، وتكلموا فيه . فلما بلغ ذلك معاوية كره قالة الناس ، فردّ تلك القرية إلى الخراج كما كانت للمسلمين ، وجعل دار الرمل للمسلمين تنزلها ولأنهم ، ولم يكن بنى منها إلا سُفْلُها حتى بنى علوها القاسم بن عبيد الله بن الحُبَاب .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قَبِيل عن فضالة بن عبيد قال : كنّا عند معاوية يوما ، وعنده معاوية بن حُذَيج ، وكان معاوية كالجل الطّفى ، يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، يرمى بالكلمة ، فإن دلت العرب أمضاها وإن أنكروها لم يُمنّضها ، فقال ذات يوم : ما أدرى فى أى كتاب الله تجدون هذا الرزق والقطاء ؟ فلو أنا حبسناه ، فضرب معاوية بن حديج بين كتفيه مرارا حتى طلقنا أنه يجد ألم ذلك ؛ ثم قال : كلا والذى نفسى بيده يا ابن أبى سفيان ، أولنا أخذنا بُصُولها ثم لتفتن على أنادرها ، ثم لا يخلص منها إلى دينار ولا درهم ، فسكت معاوية . ويكنى معاوية بن أبى سفيان بأبى عبد الرحمن ، ومعاوية بن حديج بأبى نعيم . وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عفيرة عن ابن لهيعة فى زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف فى مائتين مائتين ، حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن رزين بن عبد الله مثله وزاد ، فكان إنما يُعمل إلى معاوية ستمائة ألف فضل أعطيات الجند .

حدثنا هاني ، حدثنا ضيام عن أبي قبيل قال : كان معاوية بن أبي سفيان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا ، فكان على العافر رجل يقال له : الحسن ، يصبح كل يوم فيدور على المجلس ، فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال : ولد لفلان غلام ولفلان جارية ؛ فيقول : سموهم ، فيكتب . ويقال : نزل بها رجل من أهل اليمن بعياله ، فيستونه وغياله ، فإذا فرغ من القبائل كلها أتى الديوان ، وكان الديوان كما حدثنا سعيد بن عفير عن ابن لهيعة في زمان معاوية أربعين ألفا ، وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين .

قال ابن عفير في حديثه عن ابن لهيعة قال : فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق السكينة وحلان القمح إلى الحجاز ، وبعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار فضلا .

قال ابن عفير : فهضت الإبل ، فلقبهم برح بن حسل ، فقال : ما هذا ؟ ما بال مالنا يخرج من بلادنا ؟ ردوه . فرده حتى وقف على المسجد ، فقال : أخذتم عطاءكم وأرزاقكم وعطاء عيالاتكم ونوائبكم ؟ قالوا : نعم . فقال : لا بارك الله لهم . قال : وخطة برح بن حسل عند دار رنين في الزقاق الذي يعرف بخلف القمّاح .

واختط قيس بن أبي العاص السهمي داره التي عند دار ابن رمانة وكانت دار ابن رمانة بينها وبين المسجد ، ودخل بعضها في المسجد حين زاد في عرضه عبد الله بن طاهر ، وقد كان عمرو بن العاص ولده القضاء .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان قيس بن أبي العاص بمصر ، ولده عمرو بن العاص القضاء .

واختط إلى جانب قيس بن العاص عبد الله بن جزة الزبيدي مما يلي

زقاق البلاط دار ابن رُمّانة وما يليها ، فاشتري ذلك عبد العزيز بن مروان ، فوهب لابن رُمّانة حين قدم عليه مابنى ، وكان ما بقى للصبي من عبد العزيز . وكانت دار عبد الله تلى المسجد ، وقبلى بابها اليوم من حاض بيت المال ، وكان ابن رُمّانة مع عبد العزيز بن مروان فى السكّاب ، وكان عبد العزيز قد وهب لابن رُمّانة خاتما كان له ، فلما صار عبد العزيز إلى ماصار إليه قدم عليه ابن رُمّانة من الحجاز على بعير ليس عليه إلا قُرْوة له ، فقال للحاجب : استأذن لى على الأمير . فكانّ الحاجب يتناقل عنه ، فقال له ابن رُمّانة : استأذن لى اليوم استأذن لك غدا ، فدخل الحاجب على عبد العزيز فأخبره بقوله ، فقال : أدخِله . فلما دخل عليه ابن رُمّانة وكلمة أخرجه الخاتم لعبد العزيز فعرّقه ، فزع عبد العزيز خاتم نفسه ، فدفعه إلى ابن رُمّانة ، وبنى له داره ، وغرس له نخلهم الذى لهم اليوم بناحية حلوان .

وعبد العزيز أيضا الذى غرس لمُير بن مدرك نخله الذى بالجزيرة الذى يعرف بجنان صُمير ، وكان سبب ذلك كما حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم أن عمير ابن مدرك كان غرسه أصنافا من الفاكهة ، فلما أدرك سأل عبد العزيز أن يخرج إليه ، فخرج معه عبد العزيز إليه ، فلما رآه قال له عبد العزيز : هَبْ لى فوهبه له . فأرسل عبد العزيز إلى صاحب الجزيرة ، فقال له : لئن أنت عليه الجمعة وفيه شجرة قائمة لأقطع يديك ؛ وكان بالجزيرة خمسمائة فاعل ، غداة الحرق إن كان فى البلاد أو هَدِم ، فأتى بهم صاحب الجزيرة ، فكانوا يقطعون الشجرة تحمّلها ، وعمير يرى حسرات ، فلما فرغ من ذلك أمر ، فُنقل إليه لودي من حلوان وغرسه نخلا ، فلما أدرك خرج إليه عبد العزيز وخرج بعمير معه ، فقال له : أين هذا من الذى كان ؟ فقال صُمير : وأين أبلغ أنا ما بلغ الأمير ؟ قال : فهو لك ، وحَبَّسه على ولدك . فهو لهم إلى اليوم .

واختط إلى جنب عبد الله بن الحارث ثوبان مولى رسول صلى الله عليه وسلم ،

ويقال بل هو عجلان مولى قيس بن أبي العاص ، وهي الدار التي زادها في المسجد سلمة مولى صالح بن علي .

واختط عبادة بن الصامت إلى جانب ابن رُمَانة ، وأنت تريد إلى سوق الحِمَّام ، وهي الدار التي كان يسكنها جُوجُو المؤذن ، ودار إلى جنبها ، فابتاع إحداها عبد العزيز بن مروان ، فسكانت له ، وصارت الأخرى لبني مسكين . واختط خارجة بن حذافة غُرَيَّ المسجد بينه وبين دار ثوبان قبالة للبيضاة القديمة إلى أحباب الحِثَاء إلى أصحاب السوق بينه وبين المسجد الطريق .

وكان الربيع بن خارجة يديها في حجر عبد العزيز ، فلما بلغ اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار للإصمغ بن عبد العزيز ، فلما ولى عمر بن العزيز ركب إليه وأخرج له كتاب حُبس الدار ، فردّها عليه بعد أن يدفع إليه الثمن ، فسأله أن يُعطى كَرَءَها ، فقال : أما الكراء فلا ، الكراء بالضمان ، فردّها عليه ، ولم يأمر له بالكراء .

قال الليث بن سعد : فرأيت الربيع فيها وأنا إذ ذاك غلام ، ثم خاصم فيها الإصمغ إليه ، وابن شهاب فاضيه يومئذ ، فقضى ابن شهاب لابن خارجة بالدار ، وقبضها ، أنه لا يجوز اشتراء الولي من يلى أمره ؛ ثم خاصم إلى يزيد بن عبد الملك بعد عمر ، فقضى له بالكراء ، فسلمها له بنو الإصمغ حتى مات يزيد ، ثم رفعوا إلى هشام بن عبد الملك ، فقضى الأكرء عليهم ، فردّ الكراء إلى بنو الإصمغ . وخارجة بن حذافة كما حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب أول من بنى غُرْفَةً بمصر ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فسكتب إلى عمرو بن العاص :

« أما بعد فإنه بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة ، ولقد أراد خارجة أن يطلع على عوارث جيرانه ، فإذا أناك كتابي هذا فاهدمها إن شاء الله والسلام » .

ولأهل مصر عن خارجة بن حذافة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ليس لهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم غيره ، وهو حديث الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن راشد الزوفي عن عبد الله بن أبي مرة الزوفي عن خارجة بن حذافة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله قد أمدكم بصلاة هي خير لكم من حُمُر النعم ، الوتر ، جعله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر .

حدثناه أبي وشعيب بن الليث وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد . ولهم عنه حكايات في نفسه ، وكان خارجة بن حذافة على شرط عمرو بن العاص أيام عمر وأيام معاوية حتى قتله الخارجي ، وذلك أن عمرو بن العاص كان أصابه في بطنه شيء ، فتخلف في منزله ، وكان خارجة يعشي الناس . فضر به الحروري ، وهو يظن أنه عمرو ، فلما علم أنه ليس عمرًا قال : أردت عمرًا وأراد الله خارجة . فكان عمرو يقول ، ما نفعت بطنى قط إلا ذلك اليوم .

حدثنا معاوية بن صالح حدثنا يحيى بن معين عن وهب بن جرير عن أبيه ، قال : ذهب حروري ليقول عمرو بن العاص بمصر ، فلما قدمها إذا رجل جالس يُقَدَّمُ قد ولي شرطة عمرو ، فظان أنه عمرو ، فوثب عليه ، فقتله ، فلما أدخل على عمرو قال : أما والله ما أردت غيرك . قال : لكن الله لم يُرِدْنِي . فقتل الرجل . وقد قيل إن خارجة إنما قتل بالشام ، والله أعلم .

حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الهقل بن زياد عن معاوية بن يحيى الصدفي حدثني الزهري قال : تعاقد ثلاثة نفر من أهل العراق عند الكعبة على قتل معاوية وعمرو بن العاص وحبيب بن مسامة ، فأقبلوا بعد ما يبيع معاوية على الخلافة حتى قدموا إيلياء ، فصاروا من السحر في المسجد ما يُقدر لهم ، ثم انصرفوا ، فسألوا بعض من حضر المسجد من أهل الشام ، أي ساعة يوافقون فيها خلوة أمير

المؤمنين ، فإنما رهط من أهل العراق أصابنا غُرْمٌ في أعطياتنا ، ونريد أن نكلمه وهو لنا فارغ . فقال لهم : أمهلوا حتى إذا ركب دابته فاعترضوا له ، فكلّموه ، فإنه سيقف عليكم حتى تفرغوا من كلامه .

فتمعجلوا ذلك ؛ فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبر ، فلما سجد السجدة الأولى انبطح أحدهم على ظهر الحرسى الساجد بينهم وبينه حتى طعن معاوية في مأكته ، يريد فخذه ، بخنجر ، فانصرف معاوية ، وقال للناس : آتموا صلاتكم ، وأخذ الرجل ، فأوثق ، وكرى لمعاوية الطيب ، فقال الطيب : إن هذا الخنجر إلا يكون مسموماً فإنه ليس عليك بأس ، فأعد الطيب العقاقير التي تُشرب إن كان مسموماً ، ثم أمر بعض من يعرفها من تبايعه أن يسقيه إن عُقِل لسانه حتى ياحس الخنجر ، ثم لحسه ، فلم يجده مسموماً ، فسكروا كبر من عنده من الناس ، ثم خرج خارجة بن حذافة ، وهو أحد بني عدي بن كعب من عند معاوية إلى الناس ، فقال : هذا أمر عظيم ليس بأمر المؤمنين بأس بحمد الله ، وأخذ يذكر الناس ، وشد عليه أحد الحروبين الباقيين بحسبه عمرو بن العاص ، فضر به بالسيف على الذابة فقتله ، فرماه الناس بالثياب وتعاونوا عليه حتى أخذوه وأوثقوه ، واستل الثالث السيف ، فشد على أهل المسجد ، وصبر له سعيد بن مالك بن شهاب ، وعليه معطرت تحت السيف مُشْرِج على قائمه ، فأهوى بيده ، فأدخلها المنظر على شرج السيف ، فلم يحملها حتى غشيه الحرورى ، ففجأ ، لمنكبته ، فضر به ضربة خالطت سحره ، ثم استل سعيد السيف فاختلف هو والحرورى ضربتين ، فضر به الحرورى ضربة العين أذهب عينه اليسرى ، وضر به سعيد فطرح يمينه بالسيف ، وعلاه بالسيف حتى قتله ، وتُرف سعيد ، فاحتمل نزيفاً ، فلم يلبث أن توفى ، فقال ، وهو يُخبر من يدخل عليه : أما والله لو شئت لنجوت مع الناس ، ولكنى تحرّجت أن أوليه ظهري ومعى السيف .

ودخل رجل من كلب فقال . هذا طعن معاوية ؟ قالوا : نعم . فامتلخ

السيف ، فضرب عنقه ، فأخذ السكبي ، فسُجِن ، وقيل له : قد اتهمتَ بنفسك ، فقال : إنما قتلتُه غضباً لله ، ولما سئل عنه وُجِدَ بريئاً ، فأُرسِل ، ودفع قاتل خارجة إلى أوليائه من بني عدى بن كعب ، ففقطعوا يديه ورجليه ، ثم حملوه حتى جاءوا به العراق ، فعاش كذلك حيناً ، ثم تزوج امرأة فولدت له غلاماً ، فسموا أنه ولد له غلام ، فقالوا ، لقد عجز ناحيتن ترك قاتل خارجة يولد له الغلمان<sup>(١)</sup> ، فمكثوا معاوية ، فأذن لهم بقتله ، فقتلوه .

وقال الحروري الذي قتل خارجة : أما والله ما أردت إلا عمرو بن العاص ، فقال عمرو حيث بلغه : ولكن الله أراد خارجة ، فلما قتل خارجة وتى عمرو بن العاص شُرطه السائب بن هشام بن عمرو أحد بني مالك بن حِـل ، وهشام بن عمرو هو الذي كان قام في نقض الصحيفة التي كان كتبت قريش على بني هاشم : ألا ينالكم ولا ينكحوا إليهم ولا يتنابوا منهم شيئاً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه يقول حسان بن ثابت :

هَلْ تُوفِينَ بَنُو أُمَيَّةَ ذِمَّةً      عَهْدًا ، كَمَا أَوْفَى جَوَارُ هِشَامٍ  
مِنْ مَعَشَرَ لَا يَغْدِرُونَ بِجَارِهِمُ      لِلخَارِثِ بْنِ حَبِيبٍ بَنِ سُهَيْمٍ  
وَإِذَا بَنُو حِشْبٍ أَجَارُوا ذِمَّةً      أَوْفَوْا وَأَدُّوا بِجَارِهِمْ بِسَلَامٍ

قال ابن هشام ، سخام ، وخالف ابن هشام غيره من أهل العلم بالشعر ، فقال : إنما هي سِخَامُ .

وقد كان خارجة بن حذافة القرشي ، ثم بني عدى بن كعب قد بنى غرفة في عهد عمر بن الخطاب فأشرفت ، فشكت جيرانه إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إلى عمرو بن العاص ، أن انصبُ سريراً في الناحية التي تُشكيتُ ، ثم أقم عليه

(١) في نسخة هـ : قسم أولياء خارجة بذلك .

رجلا لا جسيما ولا قصيرا ، فإن أشرفت فسدّها . فستل يزيد من حدّك بهذا الحديث ؟ فقال مشاخي الجند .

قال : واختط عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوّى الدار البيضاء ، ويقال ، بل كانت الدار البيضاء صَحْنًا بين يدي المسجد ، ودار عمرو بن العاص ، مؤقفاً لحليل المسلمين على باب المسجد حتى قدم مروان بن الحكم مصر في سنة خمس وستين ، فابتنّاها لنفسه دارا ، وقال : ما ينبغي للتخليفة أن يكون يبلد لا يكون له بها دار ، فبنيت له في شهرين <sup>(١)</sup> .

وابن عُدَيْس عن تابع تحت الشجرة ، ولأهل مصر عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، ليس لهم عنه غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث ابن هبيرة عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس : أن رجلا حدّثه عن عبد الرحمن بن عُدَيْس أنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج ناس يَمْرُقُونَ من الدين كما يَمْرُق السهم من الرمية ، يقتلهم الله في جبل بُقْبان والجليل ، أو الجليل وجبل لبنان .

واختط عبد الله بن عويس أخو عبد الرحمن بن عويس عند القبة دار للمعافى .

وكانت دار بني بُجَح بركة يجتمع فيها الماء ، فقال عمرو بن العاص : اختطوا لابن عَمّى إلى جانبي ، يريد وهب بن عُيَيْر الجُحَصِي ، وهو من شهد الفتح ، فردمت ، وخطت له .

---

(١) في نسخة ١ زيادة : قال أبو القاسم بن فريد ، وأخبرني عبد الله بن سعيد بن عقير قال : حدّثنا أبي قال : قال البناءون لمروان : فبنى لك بناء لا يقيم أكثر من مائة سنة ، وكان قال لهم : أريد أن يبنوها أطول ما يكون من البناء ، قال : فبنيت له ، قال : فأخبرني أبي ، قال : إنى لرائع إلى المسجد في أيام المهدي لتمام مائة سنة ، فلما صرت في أول زقاق القناديل لئذا الناس راجعون فقلت ما لهم ؟ فقالوا : وقعت دار البيضاء كلها في مرة واحدة ، وكانت بنيت له في أربعين يوماً .



ويقال بل عمير بن وهب بن عمير ، ويقال : بل هي قطعة من معاوية .  
وكان عمير قد قدم مصر في أيام معاوية بن أبي سفيان ، فكتب أن يُبنى  
له دار ، وكان ما هنالك فضاء ليس لأحد فيه دار ، وكانت مَغِيضًا للغاء ،  
وهذا مما يحتج به على أن ما حول المسجد كان فضاء لموقف خيل المسلمين ، كما  
فعل عمرو بن العاص حين قدم عليه من بني سَهْم من لم يكن شهد الفتح ، فبنى  
لهم دار السلسلة التي في غربي المسجد .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان وهب بن عمير أمير  
أهل مصر في غزوة تمثورية سنة ثلاث وعشرين ، وأمير أهل الشام أبو الأعور  
البلخي .

واختط ابن الحويرث السهمي إلى جانب دار بني جُمح وقبلى دار زكرياء  
ابن الجهم العبدي .

واختطت نقيف في ركن المسجد الشرقي إلى السراجين ، وكانت دار أبي  
عزابه خطه حبيب بن أوس التقي الذي كان نزل عليه يوسف بن الحكم بن  
أبي عقيل ومعه ابنة الحجاج بن يوسف متقدم مروان بن الحكم مصر ، ثم لنقيف  
ما كان متصلاً بدار أبي عزابه إلى البرب الذي يخرجك إلى دار فرج .

واختط زكرياء بن جهم العبدي داره التي في زقاق القناديل ، وهي دار  
عباس بن شُرْحبِيل اليوم ذات الحنيئة .

واختط عبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة دار عباس بن شرحبيل  
الأخرى التي إلى جانبها ، ودار سلمة بن عبد الملك الطحاوي ، حدثنا سعيد بن  
عقير ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان ربيعة بن شرحبيل بن حسنة على المكس .

قال : واختط أبو ذر الغفاري دار الممد ذات الحمام التي أخذ بركة بن  
منصور السكائب يَبْرَهَا ، بابها في زقاق القناديل ، وبابها الآخر مما يلي دار بركة ،

ومن هنالك راجعاً إلى سوق بَرٍّ إلى قصر ابن جبر قبلك خُطّة غفار ، وكان ابن جبر قد والى غفار ، وابن جبر هذا كان رسول المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية وأختها وبما أهدى معهما ، ونزع القبط أن رجلاً منهم قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريدون ابن جبر ؛ وأبو ذرّ الذي كان عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصر ما عهد .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم حدثنا رشدين بن سعد ، وحدثنا عبد الملك ابن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن حرملة بن عمران عن عبد الرحمن بن شماسه المري قال : سمعت أبا ذرّ يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً ، فإذا رأيتم آخرين يقتتلان في موضع كلبنة فاخرج ، فمرّ بعبد الرحمن وربيعة ابني شرحبيل بن حسنة ، وهما يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها .

قال ابن وهب : سمعت الليث يقول لا أرى النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك ، إلا للذي كان من أمر أهل مصر في عمان .

واخطأ إياس بن عبد الله القاري غربي دار بني شرحبيل بن حسنة .

واخطأ رُويع بن ثابت وعقبة بن كريمة الأنصاريان مع ربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن مسلمة .

واخطأ رُويع بن ثابت الأنصاري أيضاً الدار التي صارت لبني الصمة ، وتوفي رُويع بن ثابت ببرة ، وكان قد وليها .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : ولي رُويع بن ثابت أنطاكيّ سنة ثلاث وأربعين .

واخطأ أبو فاطمة الأزدي داراً للدؤمي والدار التي فيها أصحاب الحائل اليوم ، ولم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، وهو ابن لهيعة عن الحارث

ابن يزيد، حدثني كثير الأعرج الصدقي قال: وهو، عنا بذي الصواري يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا فاطمة أكثر من السجود، فإنه ليس مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، حدثناه أبو الأسود وسعيد بن أبي مسريم عن ابن لهيعة، وقد رواه عنه غير أهل مصر.

قال: والدار التي كان يسكنها عمرو بن خالد خطة لرجل من بني تميم، وأصحاب السويق أيضاً خطة لرجل من بني تميم كان شهد الفتح، ثم اشترى ذلك عمرو بن سُهَيْل من بعده.

واختط عبد الله بن سعد بن أبي سرح داره اللاصقة بقصر الروم، يقال لها دار الحنيفة، والدار التي يقال لها دار اللوز، وليس قصره هذا الكبير الذي يعرف بقصر الجنب خطة، وإنما بناه بعد ذلك في خلافة عثمان بن عفان، أمر ببنائه حين خرج إلى المغرب لغزو إفريقية.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن لهيعة أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يذكر أن المقداد كان غزاه مع عبد الله بن سعد إفريقية، فلما رجعوا قال عبد الله للمقداد في دار بناها، كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له للمقداد: إن كان مال الله فقد أسرفت، وإن كان من مالك فقد أفسدت. فقال عبد الله بن سعد: لولا أن يقول قائل أفسد مرتين لهدمتها.

وكان عبد الله يكنى بأبي يحيى، ولهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد، ليس لهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم غيره، وهو حديث ابن لهيعة عن عياش ابن عباس القتيبي عن الهيثم بن شفي أبي الحُصَيْن عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه معه، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزيبر، وغيرهم على جبل إذ تحرك بهم الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اسكن حراء، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. ولهم عنه حكايات في نفسه، لم يرو عنه غير أهل مصر.

واختلط كعب بن ضئمة ، ويقال كعب بن يسار بن ضئمة العبسي الدار التي في طرف زقاق القناديل مما يلي سوق بربر ، تعرف بدار النخلة ، وكعب هو ابن بنت خالد بن سنان العبسي أو ابن أخته ، قال عبد الرحمن : أنا أشك .

وخالد بن سنان الذي تزعم فيه قيس أنه كان تنبأ في الفترة فيما بين النبي وعيسى صلوات الله عليهما .

وخالد بن سنان حديث فيه طول ، حدثنا للقريء عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيوة بن شريح . حدثنا الضحاك بن شريحيل النافقي عن عمار بن سعد التميمي ، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص أن يجعل كعب بن ضئمة على القضاء ، فأرسل إليه عمرو ، فأقرأه كتاب أمير المؤمنين ، فقال كعب : لا والله لا ينجزه الله من الجاهلية وما كان فيها من الملكة ثم يعود فيها بعد إذ نجاه الله منها ، فأبى أن يقبل القضاء ، فتركه عمرو .

قال ابن عثير . وكان كعب بن ضئمة حكيما في الجاهلية .

ولقيس أيضا الدار التي تعرف بدار الزبر ، وهي اليوم لبني وردان ، وكان يقال لزقاق القناديل زقاق الأشراف ، لأن عمرا كان على طرفه مما يلي المسجد الجامع ، وكعب بن ضئمة على طرفه الآخر مما يلي سوق بربر ، وفيما بين ذلك دار عياض بن جربئة السكبي ، وهبها له عبد العزيز بن مروان ، ودار بن مذيقة السكبي ، ودار أبي فراس السكبي ، ودار نافع بن عبد القيس الفهري ، ويقال بل هو عقبة ابن نافع ، ودار محمد بن عبد الرحمن السكاني ، ودار أبي ذر الفقاري ، ودار ربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة ، وإيام يتولى بكر بن مضر ، ودار زكرياء بن الجهم العبدي ، ودار إلاس بن عبد الله القاري ، ودار أبي حكيم مولى عتبة بن أبي سفيان ، بناها له معاوية بن أبي سفيان .

واختلط ابن عبدة داره التي في السراجين وفيها العقابين اليوم ، وصارت

لبنى مسكين ، وكانت دار نصر لرجل من قريش ، فمات ، فاشتراها عبدالعزیز بن مروان ، فوهبها للإصمغ .

ودار سهل التي فيها السراجين وحمام سهل كان ذلك لعبد الله بن عمرو بن العاص اشتراها ، فوهبها لابنته أم عبد الله ابنة عبد الله بن عمرو فتزوجها عبد العزيز ابن مروان ، فأولدها سهلاً وسُهَيْلاً ، فورثاها من أمهما .

والقصر الذي يقال له قصر مارية كان خطّة لابن رفاعة الفهمي ، فوهبه لعبد العزيز بن مروان فبناها لأم ولد له رومية ، يقال لها مارية ، فنُسب إليها ، ويقال : إنه عوضه من ذلك موضعه بالخراء ، ويقال : بل ذلك خطّهم ، ثم هدمه عيسى ابن يزيد الجلودي ، مدّخله مصر مع عبد الله بن طاهر فيناه سجنًا ، وهو السجن الذي عند تحرس بِناتِه عند منزل عمرو بن سَوَاد السَّرْحِيّ ، وبناته كانت حاضنة لبعض بني مروان أو ظنّواهم ، فنُسب الخرس إليها . ومارية أم محمد بن عبيد العزيز ، هُوَ يَعْقِبُ .

وقد كان عمرو بن العاص كما حدثنا سميد بن عقير عن ابن لهيعة عن ابن هُبَيْرَة قد دعا خالد بن ثابت الفهمي جدّ بني رِفاعَة ليُجعله على المكس ، فاستعفاه ، فقال عمرو : ما تكره منه ؟ قال : إن كُفِّيا قال ، لا تقرُّبُ للمكس ، فإن صاحبه في النار .

واختطّ جَهمُ بن الصلت المطّابي ممالي أصحاب الزيت الدار التي تقابل حمام بُسر .

واختطّ ابن مُلجَم بالراية في أصحاب الزيت الدار المبنّى وجهها بالحجارة .

واختطّ إياس بن البكير وابنه تميم بن إياس الدار التي عند دار ابن أبرهة ، الدار التي فيها أصحاب الأوتاد النافذة إلى السوق ، وهو إياس بن البكير بن عبد يارليل بن ناشب بن غَيْرَة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حُكَلَاءُ بني عدى بن كعب .

واختط مجاهد بن جبر مولى بنت غزوان داره التى فى التَّحَاسِين التى  
صارت لصالح صاحب السوق .

واختط أبو تميم بن أُرْهَة إلى جنب دار شُبَيْم اللبثى .

واختط ابن وُعَلَة إلى جنبه ، فأخذوا ومن معهم إلى سوق الحِجَام والدور التى  
كانت لبني مروان ؛ وأخبرني حميد بن هشام الجُمَيْرِيّ قال ليس لابن أُرْهَة حُطْلَة  
بفسطاط مصر ، وإنما خَطَطَهُم بالجيزة ، وإنما صارت المنازل التى لهم بالنسقاط  
وارثة ، ورثوها من الرُّعَيْلِيَّة ، لأنهم كانوا صاهروا إلى ابن وُعَلَة ، فصارت المنازل  
لهم بالميراث . وكان بنو أُرْهَة أربعة ، كُريْب بن أُرْهَة أبو رشدن ، وأبو شمير بن  
أُرْهَة ، ومعدى كرب بن أُرْهَة ، وَيَكْسُوم بن أُرْهَة .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة قال : هاجر كُريْب بن أُرْهَة  
وأخوه أبو شمير بن أُرْهَة فى خلافة عمر بن الخطاب ، حدثنا هرون بن عبد الله  
الزُّهْرِيّ ، حدثنا محمد بن عمر ، أخبرني عبد الحميد بن جعفر عن يزيد بن أبي  
حبيب أن عبد العزيز بن مروان سأل كُريْب بن أُرْهَة بن الصباح عن حُطْلَة عمر بن  
الخطاب بالجالية أشهدتها ؟ فقال : شهدتها وأنا غلام على إزار ، أسممها ولا أعيها ،  
ولكن أدلّك على من سمعها وهو رجل ، قال : من ؟ قال : سفيان بن وهب  
الخلولانيّ ، فأرسل إليه ، فسأله ، فقال : أشهدت عمر بالجالية ؟ قال : نعم . ثم  
ذكر الحديث .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا مينا بن يحيى عن سُخْرَمَة بن بُكير عن  
يعقوب بن عبد الله بن الأشجّ قال ، قدمت مصر فى أيام عبد العزيز بن مروان  
فخُرات كُريْب بن أُرْهَة يخرج من عند عبد العزيز وإن تحت ركابه خمسمائة  
رجل من خيَر .

واختط كعب بن عَدَى العباديّ فى القَيْسَارِيَّة ، فلما أراد عبد العزيز بناءها  
اشتراها منهم وخط لهم دارهم فى بنى وائل .

والحلم الذى يعرف اليوم بمهام أبى مرة كان خطه لرجل من تنوخ ، هو  
جد ابن عاقمة أو أبوه ، فسأله أياه عبد العزيز بن مروان ، فوهبه له ، فبناه حجاباً  
لزبان بن عبد العزيز ، وزبان كان يعرف ، وفيه يقول الشاعر :

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ لِلْبَيْضِ مَنَزَلَةٌ      فُلْيَاتٍ أَيْضَافٍ فِي حَمَامِ زَبَانَ  
لَا رَوْحَ فِيهِ وَلَا شُغْرٌ يُقَدِّسُهُ      لِكِنَّهُ صَنَمٌ فِي خَلْقِ إِنْسَانٍ  
فِي أَيْيَاتِ لَهُ .

وكان فيه صنم من رخام على خلقه المرأة ، عجب من العجب حتى كسرت  
في السنة التي أمر يزيد بن عبد الملك فيها بكسر الأصنام ، وكان أمر بكسرها  
في سنة اثنتين ومائة ، وغرس له عبد العزيز نخلة التي بالجيزة اليوم التي تعرف  
بجنان كعب عوضاً من ذلك .

واختط الزبير بن العوام داره التي بسوق وردان اليوم ، والخطبة لبيلى ،  
وفيهما السلم الذي كان الزبير نصبه وصعد عليه الحصن ، وفيها كان عبد الله بن  
الزبير ينزل إذا قدم مصر فبما ذكر بعض المشائخ ، وقد كان عبد الملك بن مروان  
اصطفاه ، فردّها عليهم هشام بن عبد الملك ، ثم أخذها منهم يزيد بن الوليد ،  
فلم تزل في أيديهم حتى كانت ولاية أمير المؤمنين أبى جعفر ، فكلمه فيها هشام  
ابن عروة ، وكانت لهشام ناحية من أبى جعفر ، فأمر بردّها عليهم ، وقال : مماثل  
أبى عبد الله — يريد الزبير — يؤخذ له شيء .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبى حبيب أن الزبير  
ابن العوام اختط بالقسطاط .

واختط أبو بصرة الغفارى عند دار الزبير بن العوام ، وأقر عمرو بن العاص  
القصر لم يقسمه وأوقفه ؛ ولأهل مصر عن أبى بصرة عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أحاديث منها ، حدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن يزيد بن أبى

حبيب عن أبي الخيزر عن أبي بصرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنه راكبون غدا إلى يهود ، فإذا سلّموا عليكم فقولوا : عليكم .

ومنها حديث الليث بن سعد عن خير بن نعيم عن عبد الله بن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني عن أبي بصرة الغفاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة بالمخمس وادباً من أوديتهم ، ثم انصرف ، فقال : إن هذه الصلاة قد عرضت على من كان قبلكم فتوانوا عنها ، وتركوها ، فمن صلاها منكم كتب الله له أجراً ضعفين ؛ ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد .

حدثناه عبد الله بن صالح وحدثناه إدريس بن يحيى الخولاني عن ابن عياش القتيبي عن ابن هبيرة .

ومنها حديث الليث أيضاً عن يزيد بن أبي حبيب عن كليب بن ذهل الحضرمي عن عبيد بن جبر أنه سافر مع أبي بصرة الغفاري في رمضان ، فلما دفعوا من القسطنطين دعا بطعام ونحن ننظر إلى القسطنطين ، فقلت له : نأكل ، ولو نريد أن ننظر إلى القسطنطين ننظرنا ؛ فقال : أرغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟ فأفطنا .

ومنها حديث ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي الهيثم عن أبي بصرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في رمي واحد . حدثناه سعيد بن عفير

قال : واختطت أسلم بمالي دار أبي ذر ، ومن خططها دار الصباح ، والزقاق الذي فيه دار ابن بلادة ، الشرق منه لأسلم ، ولهم أيضاً من قصر ابن جبر إلى الحجاجين الذين يسوق بربر ؛ ويزعم بعض مشايخ أهل مصر قال : ولزامة داران ، الدار التي تُنسب إلى ابن نيزك ، كانت لرجل منهم ، يقال له الحارث بن فلان ، أو فلان بن الحارث ، والدار التي جانبها تليها القضاة .



واختطف الآبِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، وَهَمَّ آلُ عُرْوَةَ بْنِ شَكْبَةَ  
عِنْدَ أَصْحَابِ الْقَرَّاطِيسِ ، وَاخْتِطَ خَلْفَهُمْ يُسْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ .

وَلَبِنَى مُعَاذِ بْنِ مُذَلِّجٍ دَارَانَ ، أَحَدَاهُمَا فِي زَقَاقِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، كَانَتْ  
لِأَشْهَبِ الْفَقِيهِ ، وَالْأُخْرَى فِي عَقَبَةِ سَوَاقِ بَرَبَرٍ فِي الزَّقَاقِ الَّذِي فِيهِ دَارُ  
مُصْعَبِ الزَّهْرِيِّ .

وَلَعَنَ زَوْجَةً مِنْ رِبِيعَةِ دُورٍ مَجْتَمِعَةً ، نَحْوُ ثَمَانٍ عَشَرَ ، وَمَسْجِدَ فِي أَصْلِ الْعَقَبَةِ الَّتِي  
عِنْدَ دَارِ ابْنِ صَامِتٍ .

وَاخْتِطَتْ بِلَى خَلْفَ خَارِجَةِ بْنِ حُذَافَةَ ، ثُمَّ مَضُوا يَخْطِبُهُمْ مِنْ دَارِ عَمْرِو بْنِ  
يَزِيدَ إِلَى دَارِ سُلَمَةَ وَدَارِ وَاضِحٍ حَتَّى جَاؤُوا دَارَ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ إِلَى دَرَبِ الزَّجَاجِ ،  
ثُمَّ مَضُوا حَتَّى شَرَعُوا فِي أَصْحَابِ الزَّيْتِ ، ثُمَّ مَضُوا يَشْرَعُونَ فِي قِبَلَةِ سَوَاقِ وَرْدَانَ  
حَتَّى بَلَّغُوا مَسْجِدَ الْقُرُونِ ، ثُمَّ دَاخَلَ الزَّقَاقَ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي عَوْفٍ مِنْ بِلَى ،  
وَهُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي فِي الزَّقَاقِ ، وَدَارُ ابْنِ بَبُوْلَةَ الَّتِي يَسُوقُ وَرْدَانَ جَزَاءً إِلَى الْمَعَاصِيرِ .  
وَكَانَتْ بِلَى إِذَا يَقْعُونَ عَنْ يَمِينِ رَايَةَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ لِأَنَّ أُمَّ الْعَاصِ بْنِ  
وَائِلَ بَلَوِيَّةَ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ  
أُمَّ الْعَاصِ بْنِ وَائِلَ امْرَأَةً مِنْ بِلَى بِمِصْرَ كَمَا حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ طَالِبٍ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ  
ابْنِ زِيَادٍ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عُمَانَ التَّهْدِي قَالَ : نَادَى رَجُلٌ مِنْ بِلَى  
- وَهُوَ حَتَّى مِنْ قَضَاعَةَ - بِالشَّامِ ، يَا أَلْ قَضَاعَةَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ،  
فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِ الشَّامِ أَنْ تُسَيِّرَ ثَلَاثَ قَضَاعَةَ إِلَى مِصْرَ ، فَإِذَا بِلَى ثَلَاثُ قَضَاعَةَ ،  
فَسَيِّرُوا إِلَى مِصْرَ .

قَالَ : ثُمَّ اخْتِطَتْ بَنُو بَحْرٍ مِمَّا بِلَى بِلَى ، وَهَمَّ قَوْمٌ مِنَ الْأُرْدُنِّ نَحْمَ ، ثُمَّ شَرَعُوا  
إِلَى الْبَحْرِ .

ثم اختطت بعدهم الخمراء ، وسأذكر حديثهم في موضعه إن شاء الله .  
ثم شرعت طائفة من سلامان البحر ، ثم شرعت من بعدهم طائفة من قههم  
وكنانة قههم ، ثم الحراء أيضا إلى القنطرة .

وكان أول القبائل بليّ أهل الراية مما يلي بليّ بن عمرو ، والراية قريش ومن  
معاها ، وإنما سُمّيت الراية لراية عمرو بن العاص ، حدثنا عبد الملك بن مسعدة ،  
حدثنا ابن لهيعة قال : الراية قريش ، كانت معهم راية عمرو بن العاص ، ويقال  
إنما سُمّيت الراية ، أن قوما من أقباء القبائل من العرب كانوا قد شهدوا مع عمرو  
ابن العاص الفتح ، ولم يكن من قومهم عدد ، فيقفوا مع قومهم تحت رايتهم ،  
وكرهوا أن يفتوا تحت راية غيرهم فقال لهم عمرو : أنا أجعل راية لا أنسبها إلى  
أحد أكثر من الراية ، تقفون تحتها ، فرضوا بذلك ، فكان كل من لم يكن  
لقومه عدد وقف تحتها ، فقليل الراية من أجل ذلك ، والله أعلم .

والحجر من الأزدي فسجد للعتيمة حتى تبلغ زقاق السمى ، ثم برقا ، ثم  
شجاعة ، ثم نراد ، ثم لقيتها هذيل وقههم ، ثم قطعت هذيل بينهم وبين سلامان  
حتى انتهت هذيل إلى سويقة عدوان ، وهى السويقة التى عند زقاق المسكى ،  
فغار سيرة الزقاق الذى كان ينزله بن الأغلب إلى هذه السويقة لهذيل ، والزقاق  
من كتاب إسماعيل إلى منزل بُنانة لقههم ؛ ومسجد الصيتم بناء الحكم بن أبى بكر  
ابن عبد العزيز بن مروان ، فهو من الاصطبل ، وكان الاصطبل للأزد فاشتراه  
حنهم الحكم ، فيهنا ؛ وكان يُجرى على الذى يقرأ فى المصحف الذى وضعوه فى  
المسجد الذى يقال له مصحف أسماء من كراه فى كل شهر ثلاثة دنانير .

فلما حيزت أموالهم وضمت إلى مال الله ، وحيز الاصطبل فيما حيز كتب  
يأمر المصحف إلى أمير المؤمنين أبى العباس ، فكتب أن أقرأوا مصحفهم فى  
مسجدهم على حاله ، وأجروا على الذى يقرأ فيه ثلاثة دنانير من مال الله فى كل شهر .

وكان سبب المصحف فيما حدثنا يحيى بن بكير وغيره ، يزيد بعضهم على بعض ، أن الحجاج بن يوسف كتب بمصاحف ، وبعث بها إلى الأمصار ، ووجه بمصحف منها إلى مصر ، فغضب عبد العزيز بن مروان من ذلك ، وقال : يُبَيِّمُ إلى جند أنا به بمصحف . فأمر فكتب له هذا المصحف الذي في المسجد الجامع اليوم ؛ فلما فرغ منه ، قال : من وجد فيه حرفاً خطأً فله رأس أحر<sup>(١)</sup> وثلاثون ديناراً ؛ فتداوله القراء ، فأتى رجل من أهل الحراء ، فنظر فيه ، ثم جاء إلى عبد العزيز ، فقال : قد وجدت في المصحف حرفاً خطأً . قال : مصحفى ؟ قال : نعم ، فنظروا فإذا فيه « إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْةً » فإذا هي مكتوبة « نَجْةً » قد قدمت الجيم قبل العين ، فأمر بالمصحف ، فأصلح ما كان فيه ، ثم أمر له بثلاثين ديناراً ورأس أحر .

ثم توفي عبد العزيز فاشترته في ميراثه أبو بكر بن عبد العزيز بألف دينار ، ثم توفي أبو بكر ، فبيع في ميراثه فاشترته أسماء ابنة أبي بكر بن عبد العزيز . بسببها دينار فأمكننت منه الناس ، وشهرته ، فأنسب إليها ؛ ثم توفيت أسماء فاشترته الحكم بن أبي بكر ، فجعله في المسجد وأجرى على الذي يقرأ فيه ثلاثة دنائير في كل شهر من كراه الاصطبل ، والحكم بن أبي بكر الذي بنى المسجد المعروف اليوم بقبّة سوق وزدان .

قال : ثم عدّوا حتى انتهى إلى السوق ، ثم لقيتهم سلمان ، فدار ابن أبي السكوند شارعة في سويقة عدّوا ، وزقاق المكيّ خطّة دارس ، ونفر من يرقا ، ثم مضت سلمان حتى شرعوا في البحر إلى جنان حوى ، ثم اعترضتهم كنانة من قحطهم ، فلهم من زقاق ابن رفاعة حتى يشرعوا في البحر ، ثم تلقى سلمان من تلقاء جنان حوى بنو يشكر من نلّم فجنان حوى ، وسفح الجبل الغربي

ليشكر بن جزيلة من نلم ، وثم خطة علي بن رباح اللخمي بالحمراء عند جنان حوى على يسارك وأنت ذاهب تريد القطرة .

قال : واختطت مَهْرَةَ أول ما دخلت بدار الخليل وما والاها على سَفْح الجبل الذي يقال له جبل يَشْكُر مما يلي الخندق إلى شرقي العسكر إلى جنان بنى مسكين اليوم .

وكان مسجد مهرة هنا لك ، قُبَّة سوداء حتى أدخله طَريف الخادم في دور الخليل حين بناها .

وكانت جنان بنى مسكين اليوم خطَّة لرجل من مهرة يقال له الجراح ، فأتى ولم يترك حقبا ، فقدم شريح بن ميمون المهرى فورثه وتزوج امرأته ، وعقد له على البحر ، فلم يكن يُعْلَم مَدَدِي نال من الشرف في زمانه ما نال إلا قُوْبَةُ بن عَمْرِو الحضرمي ، كان مَدَدِيًّا ، فولى القضاء .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : قدمت سَفُن إفريقية سنة ثمان وتسعين ، عليهم ابن أبي بُرْدَة ، ففزعواهم وأهل مضر ، عليهم شريح بن ميمون ، فشقَّوهم ، والسفن الأولى عمر بن هبيرة وأبو عبيدة على أهل المدينة بالبطنس . وكانت منازل مهرة قبلي الراية مما يلي منازل ابن سعد بن أبي سرح حَوْزًا حازوه ، وكانوا إذا أتوا الجُمَّة ربطوا خيولهم ، ثم ثقلهم عمرو بن العاص بعد ذلك وضَّعهم إليه ، وعطَّلوا منازلهم هنالك ، فذهبت مهرة بخطها حتى لقيت غَافِقًا في السوق ، ولقوا الصدف ، ولقوا غَنَّثًا مما يلي الغرب .

واختطت نلم ، فاختطت قبلي ثقيف مما يلي السَّراجين فالدار التي صارت لعتاش بن عُقبَة لهم ودار الزَّلَّابِيَّة ، ومضوا بخطهم إلى عَقْبَة مَهْرَة إلى زقاق أبي حكيم ، ومعهم نفر من جُدَام ، ثم انحَدروا في زقاق وردان ، مولى ابن أبي سرح . وثم خطة أبي رُقِيَّة اللخمي ، ومنزله هنالك قائم بحاله لم يغيَّر ، يقابل للمسجد

الذى عند دور بنى وردان، ثم انحدروا إلى مسجد عبد الله، فما كان عن يمينك وأنت تريد المسجد الجامع في الطريق إلى دور الوردانيين من مسجد عبد الله فهو للخم، وما كان عن يسارك فلنفاق، ثم جازت نخم بخطتها إلى دور مطر التي بسوف بربر، فإن الأزرد تلقاهم بدور أبي مريم، وباقي خطتها فإن ذلك لحجر وجاء.

ومسجد حاء المسجد الذى عند دار اسحق بن متوكل ذو المنارة، والمسجد الذى على الطريق وأنت تريد إلى مخرس ابن أبي حبيب مجلس كان لهم، يجلسون فيه فاذا أقيمت الصلاة خرجوا من خَوَّخَات لهم ثلاث شَوَارِع إلى الطريق، فاذا صلوا رجعوا إلى مجلسهم، ثم يلقون حُنَيْمًا وَمَازِنًا من الأزرد مما يلي دار ابن فُلَيْحٍ ثم يلقون تَنُوخًا مما يلي دار البراء بن عثمان بن حنيف، ثم يلقون غَنَمًا من الأزرد مما يلي دار ابن بَرَمَك التي كانت الوكلاء تنزلها، فذلك الزقاق والرحبة وما شرع في مسجد عبد الله من دار ابن الهيثم الأيلي وما بينهما، فَلَقْنَتْ من الأزرد إلى منزل أشهب، وإذا سلكت زقاق أشهب فما كان عن يمينك وأنت تريد الموقوف فهو لنفاق، وما كان عن يسارك فهو للأزرد حتى تنتهى إلى الموقف، والموقف كان لابتنة مَسْلَمَةَ بن مخلد، فتصدق به على المسلمين، ودار أبي قدامة أيضا مما كانت تصدق به، ودار إبراهيم بن صالح، وهى دار بنى عبد الجبار من غافق.

ثم مضت الأزرد حتى أخذت ما شرع في السويقة قبالة دار سعيد بن عُمَيْر، وزقاق الراسين حتى تنتهى إلى دار حَوْسَى ودار عبد الرحمن بن هاشم، ثم تَلَقَى مما يلي السويقة المَتَقَاء، وهم قليل، ومسجد العتقاء هنالك مشهور؛ وللمتقاء من دار زياد الحاجب حتى تهبط إلى بَيْطَار بلال إلى السوق.

وكان زهير بن الحارث الحَجْرِي حَجَرِ حَيْخَر، كان عداؤه في المتقاء، وكان عريفهم، وكان سعيد بن الجهم يقول لعبد الرحمن بن القاسم: أنت منا، فيضيق لذلك — يعنى أن زيد بن الحارث من حَجَر، وأنه مولى لهم — وكان عبد الرحمن ابن القاسم يتولى المتقاء.

فاذا جئت من السويقة وأنت تريد المسجد الجامع فما كان عن يمينك فللازده  
وما كان عن يسارك بما يلي مخرس أبي حبيب فلهم ، ثم تلقاهم شجاعة بسقيفة  
الغزل ، وتلقاهم فهم عند كتاب اسماعيل ، وتلقاهم بنو شجاعة الأزده عند دار حوى ،  
فما كان على الخط الأعظم إذا انتهيت إلى درب دار حوى وتركته ، وأمهت  
العسكر فهو لفهم حتى تبلغ العسكر ، وتلك خطة بنى شجاعة من فهم ، ولبنى شجاعة  
أيضا المسجد الذى له المنارة التى تخرجك إلى سقيفة تركى ، ولهم أيضا المسجد الذى  
فى رحبة الشوسى ، وإذا هبطت من درب حوى البحرى وقعت فى هذيل ، فما  
كان عن يمينك وأنت تريد الخندق فلهذيل وما كان عن يسارك فلدهقة من  
الأزده حتى تلقى يشكر من علم فى جبل يشكر .

ثم اختطت غافق بين مهرة ونلم ، ثم مضوا بخطهم حتى برزوا إلى الصحراء  
بما يلي الوقف ، ولقوا من وجه مهب الشمال نخا وغفغا ، ولقوا بما يلي القبلة  
الصدف ومهرة ، واختطت فانسعت خطها لكثرتهم .

وكانت غافق كما حدثنا عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ثلث الناس  
مدخل عمرو بن العاص مصر ، ولغافق من درب السراجين إلى دور بنى وردان ،  
فما كان عن يمينك فلغافق حتى تذهبى إلى مسجد فهم الجمرات ، ثم جرى إلى  
الصفاء إلى مسجدى حذران ، وحذران بطن من غافق ، إلى مسجد أحذوب إلى  
مسجد الزمام فى موضع مسجد الزمام دفن محمد بن أبى بكر الصديق فيما يزعمون ،  
ثم ارجع إلى حمام سهل فما كان عن يسارك وأنت تريد مهرة فلغافق ، وثم  
زفاق فخذ من غافق الذى قبالة حمام سهل الذى للنساء ، وفيه مسجد أبى موسى  
الغافقى ليس فى الزفاق مسجد غيره ، ولأبى موسى صحبة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، واسم أبى موسى عبد الله بن مالك ، ولهم عنه عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حديثان .

حدثنا محمد بن يحيى الصدّقي ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عمرو بن الحارث ،  
أن يحيى بن ميمون الخضرىّ حدثه عن وداعة الحمّديّ ، حدثه ، أنه سمع  
أبا موسى العافقي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من افتري على  
كذبا فليتبوأ بيّتا — أو مقعداً — من النار .

حدثنا أسد بن موسى وسعيد بن عفير قالا ، حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله  
ابن سليمان عن ثعلبة أبي السكوند عن عبد الله بن مالك ، أنه سمع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول : إذا توضأت وأنا جنب أكلت وشربت ، ولا أصلي ولا  
أفرا حتى أغتسل .

ثم جرى إلى زقاق اللوزة ، فإذا جاوزت زقاق اللوزة إلى مسجد سيبان ،  
وهو المسجد ذى القبة الذى عند دار خالد بن عبد السلام الصدقي ( وسيبان  
من مهرة ) فما كان عن يسارك وأنت تريد إلى سقيفة جواد فلغافق ، وما كان عن  
يمينك فلصدف إلى مسجد أحذب إلى ما فوق ذلك إلى الدرب الذى يخرجك  
إلى الصحراء ، غير أن دار ابن سابور ، وهى الدار التى صارت لإسماعيل بن  
أسباط خطّة رجل من خير .

وللربانيّين أيضاً من غافق من دار مطر ما كان عن يمينك وأنت تريد إلى  
مسجد عبد الله ، وعبد الله الذى يُنسب إليه المسجد هو عبد الله بن عبد الملك  
ابن مروان ، وكان عبد الملك ولأه مصر بعد موت عبد العزيز بن مروان ، وكانت  
ولايته فى جمادى سنة ست وثمانين كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن  
سعد ، وكان حدّثاً ، وكان أهل مصر يسمونه مَكِّيَّساً ، وهو أول من نقل  
الدواوين إلى العربية ، وإنما كانت بالعجميّة ، وهو أول من نهى الناس عن  
لباس البرانس ، ثم إلى دار ابن هُجالة العافقي ، فإذا بلغت دار ابن هُجالة فلغافق .  
ما كان عن يمينك وعن شمالك .

وفي دار ابن هجالة كان تغيب محمد بن أبي بكر حين دخل عمرو بن العاص  
حصراً عام المسنة ، وكانت المسنة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد  
في صفر سنة ثمان وثلاثين .

وكانت للفاقى أخت ضعيفة ، فلما أقبل معاوية بن حُذَيج ومن معه في طلب  
قتلة عثمان قالت أخت الفاقى : من تطالبون ؟ محمد بن أبي بكر ؟ أنا أدلكم عليه  
ولا تقتلوا أخي ، فذلتهم عليه ، فلما أخذ قال : أحفظوا في أبي بكر . فقال معاوية  
بن حُذَيج : قتل سبعين من قومي بعمان وأتركك وأنت قاتله ؟ فقتله .

وهي الدار الملاصقة بمسجد الزنج . تعمل على بابها النعال السندرية وفي  
داخلها الأرحاء . ولفاق من مسجد يادى إلى دار إبراهيم بن صالح إلى مسجد  
القراط . وتلك دِهْنَةُ غافق . ولفاق من الخلطة أكثر مما ذكرنا غير أن  
هذه جملتها .

واختطبت الصدف قبلى مهرة ، فمضوا بخطهم حتى برزوا بطرف منها ، فلقوا  
حضر موت دون الصحراء ، ولقوا ما إلى القبلة بنى سعد من تُجيب ، ولقوا آل  
أبدعان بن سعد ، ولقوا بطرف منها سِلْهَمًا من مُراد ، ثم لقوا حضر موت ، حالوا  
بينهم وبين الصحراء ، وكانت راية الأجدوم مدخل عمرو مع حَيَّان — أوحَيَّان —  
بن يوسف ، فلما استقرت الصدف عُرِفَ عليهم عمران بن ربيعة ، فأقام عريفا  
سدين ، ثم عُرِفَ ابنه ، ولم يزل بالبلد منهم قوم لهم شرف وسخاء ، كان منهم ابن  
سُلَيْك الصدف .

واختطت حضر موت و بطن من تحضُب فيهم في موضعهم اليوم ، في زمان عثمان  
ابن عفان إلا عبد الله بن التَّهْلُك ، ودخل مع عمرو بن العاص الفسطاط من حضر موت  
عبد الله بن كليب من الأشباة خَطَّتْهُ في آل أبدعان عند دار ابن الزَوَّاع ؛  
ومالك بن عمرو بن الأجدع من الحارث ، ودازه دار هبيرة بن أبيض ، والملامس



ابن جَدِيْمَة بن سَرِيْع ، وخطته عند الصفا عند دار الفرج بن جعفر ؛ وَبَر بن زُرْعَة بن بَر بن شَاخِي الْبَيْتِي ، وَالْأَعْيَن بن مالك بن سَرِيْع ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ مَوْلَى لَهُمْ ، وَهُوَ جَدُّ أَبِي قَتَان ؛ وَكَانُوا مَعَ أَخْوَالِهِمْ فِي تَجْيِيب ، ثُمَّ قَدِمَتْ مَا دَتْهُمْ فِي أَيَّامِ عُمَانَ فَاخْتَطَبُوا شَرَقِي سِلْهِمْ وَالْبَصِيفَ حَتَّى أَصْحَرُوا ، فَتَحَوَّلَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَرَادَ التَّحَوَّلَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ بِتَجْيِيب .

وَاخْطَط بِمَكَانِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بن كَلِيبَ مِنَ الْأَشْيَاءِ خَطْنَهُ فِي بَنِي أَيْدَعَانَ عِنْدَ دَارِ ابْنِ الرِّوَاغِ ، وَكَانَ أَخُوهُ قَيْسُ بنِ كَلِيبَ فِي حُجَابِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ أَيَّامَ مُعَاوِيَةِ ، وَهُوَ قَتَى شَابٍ جَمِيلٍ ، فَرَأَاهُ مُعَاوِيَةُ مَعَ عَمْرِو فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْقَتَى ؟ فَقَالَ عَمْرُو : أَحَدُ حُجَابِي . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : مَا يُعَانُ مِنْ حَبِيبِهِ مِثْلَ هَذَا . ثُمَّ حَبِيبَ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بنِ مُرْوَانَ .

وَفِي قَيْسِ بنِ كَلِيبَ يَقُولُ أَبُو الْمُصَنَّبِ الْبَلَوِي فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي هَجَا فِيهَا أَشْرَافَ مِصْرَ .

وَنَظِمْتُ أَنَا ذِي الْأَكْمَاءِ قَيْسًا      لَتُدْخِلَنِي وَقَدْ حَضَرَ الْقَدَاهُ  
وَلَيْسَ بِمَاجِدِ ابْتِدَاتِ قَيْسٍ      وَلَكِنْ حَضَرَمِيَّاتِ قِيَّاهُ  
وَأَعْرَضَ نَفَحَهُ الْيَرْبُوعُ عَنِّي      بَزِيدٌ بَعْدَ مَا رَفَعَ الْأَوَاهُ<sup>(١)</sup>  
أَشَارَ بِكَفِّهِ الْيُمْنَى وَكَانَتْ      شِمَالًا لَا يَجُوزُ لَهَا عَطَاهُ  
أَكْلُمُ عَائِدًا وَيَصُدُّ عَنِّي      وَيَمْنُهُ السَّلَامُ الْكِبْرِيَاءُ  
وَجُرْفٌ قَدْ تَهَدَّمَ بَجَانِبَاهُ      كَرِيبٌ ذَاكُمُ الْبَرْمُ الْقِيَّاهُ  
وَأَمَّا الْقَحْزِيُّ فَذَاكَ بَنُفْلٌ      أَضْرَبُ مَعَ الدَّبْرِ الْخَفَّاهُ<sup>(٢)</sup>  
وَهَذَا الْقَصِيرُ مِنْ تَجْيِيبٍ      وَلَوْ يَسْتَطِعُ مَا نَفَضَ الْخِلَاءُ

(١) اليربوع : نوع من القيان .

(٢) فحزم الرجل : حرفة عن قصده .

وتروى : أَضَرَّ بِمَعَ الدَّبَرِ الْخُصَاءُ .

قال : وكان معاوية إذا قدم عليه أحد من أهل مصر سألَه ، هل تَرَوِي قَصِيدَ أَبِي المصعب ؟ ، وهذه الأبيات في قصيدة له ، يريد يزيد بن يزيد بن شُرَحْبِيل بن حَسَنَة ، وقيسَ قيسَ بن كليب الحاجب ، وعائذ بن ثعلبة البلوّى ، وقتل عائذ بالبرّاس<sup>(١)</sup> في سنة ثلاث وخمسين مع وردان مولى عمرو بن العاص وأبى رُقَيْة الخنّى ، وسأ ذكر حديثهم في موضعه إن شاء الله ؛ والقَصْرَمَى عمرو ابنَ قَحْرَم وكريبَ بن أبرهة ، والقصير من تُجيب زياد بن حُناطة التجيبي ، ثم الخِلَائِىّ ، وهو صاحب قصر ابن حناطة الذى بِتُجيب .

ولم يزل الملامس بن جذيمة عريفَ حضرموت ، يَدْعُون له الأشباء والحارث حتى كان زمان معاوية بن أبى سفيان فإنه وقع بين مسلمة بن مُحَلَّد وبين الملامس كلام ، فاستأذن للملامس معاوية في النقلة إلى فِلَسْطِينَ بحضرموت ، فأذن له ، وكتب له بذلك إلى مسلمة ، فسكره مسلمة ذلك ، فقال له رجل من حضرموت يقال له فلان بن مسلم : أنا أمشى بينهم فَأُكْرَهُ إليهم الخروج . ففعل . فلما تَنَجَّز الملامس ذلك من مسلمة قال له : إن رضى قومك .

ثم جمعهم ، فذكر لهم ما قال الملامس ، فقال (حل منهم) : ما نفارق بلادنا .

فقال له : من أنت ؟

فقال . أنا ابن أُمَيَّة .

قال : فمن قومك ؟

قال : بنو عوف .

(١) البراس : بلدة قرب البحر الأبيض المتوسط من جهة الإسكندرية ، يشتغل أهلها بصيد السمك ، ويقصدها الناس في الصيف للتمتع بمجوها ، وقد ذكر أبو بكر الهروى أن بالبراس أتى عمر رجلا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينسب إليها جماعة من أهل العلم ، وهى من أعمال محافظة كفر الشيخ .

ثم تتابعوا على مثل قوله فسكتهم وعرفهم .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لميعة عن عتبة بن أبي حكيم عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حضر موت خير من بنى الحارث .

حدثنا أبو الأسود ، حدثنا ابن لميعة عن الحارث بن يزيد أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى مسلمة بن مخلد ، وهو على مصر ، لا تَوَلَّ عَمَّاك إِلَّا أَرْزَىٰ أَوْ حَضَرَ يَ ، فإيهم أهل الأمانة .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لميعة عن الحارث بن يزيد عن تميم قال : لا يُدْرِكُ أَحَدٌ مِنْ حَضَرَ مَوْتَ الدَّجَالِ .

قال ثم اختطت تميم ، فأخذت بنو عامر شرق الحصن قبلي منزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم مضوا بخطهم حتى لقوا مهرة والصدف من مهب الشمال ، ولقوا سلبهم مما يلي الشرق ، ولقوا وعلان من مُراد وطرفاً من خولان من مهب الجنوب ، ثم لقوا بنى غطفان وقبائل من مراد ، وحالت سلبهم بينهم وبين الصحراء . فخطت كنانة بن بشر بن سلبان الأيدعي دار هبيرة ، وثم مسجده ثم صارت بعد ذلك لعنان بن يونس ، أبي السبع جد ابن دهقان لأمه .

وكان لكنانة سيف يقال له المقلد ، صار إلى سعيد بن عبيد ، فكان سعيد يقول : إنما لتميم سيفان ، عريض بنى حديد ، والمقلد ، فقد صار للمقلد إلى . قال : واخطت خولان الشرق قبلي الحصن ، ومهب الجنوب ، ثم مضوا بخطهم حتى لقوا وائل والفراسيين في الشمال ، ولقوا تميم ورعيثا في الجبل ، ولقوا بنى غطفان وبنى وعلان من مراد في الشرق ، وتميم من مهب الشمال . فجاوزهم غطفان ، فتحول بينهم وبين خطهم ، وكان راعيهم بن ثعلبة اتخولاني من الحياوية ، يقال ، إنه رجل من كنانة معروف النسب ، فيهم وفيه يقول ابن جندل الطمان :

مَنْ مُبْلَغُ خَوْلَانَ عَنِّي رِسَالَةً يُرَبِّضُهَا ابْنُا فِرَاسِ بْنِ مَالِكٍ  
يَأْتِ أَخَانَا رَائِمَ الْخَلِيرِ فِيكُمْ مُقِيمٌ بِلَا ذَنْبٍ بِأَزْلِ الْمَهَالِكِ  
إِلَى مَالِكٍ يَنْصِي إِذَا عُدَّ أَصْلُهُ كِفَانَةَ أَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الْمَوَالِكِ  
فَأَجَابَهُ رَجُلٌ مِنْ خَوْلَانَ فَقَالَ .

مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي فِرَاسًا رِسَالَةً فَتَحْنُ إِخْوَانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ  
إِلَى سَبِي الْأَمْثَلِكِ أَصْلِي وَمَنْبِئِي يُحَدِّثُنِي جَدِّي بِهِ غَيْرَ هَالِكِ  
قَالَ : وَاخْتَطَّتْ مَذْحِجٌ بَيْنَ خَوْلَانَ وَتَجِيبَ ، وَاخْتَطَّتْ وَعَلَانُ بِمَا إِلَى  
الْقَصْرِ ، ثُمَّ مَضُوا يَنْتَازِلُونَ خَوْلَانَ وَتَجِيبَ ، هُمُ وَبَنُو غُطَيْفَ ، ثُمَّ مَضَتْ مُرَادُ  
بُخَطَلَهَا حَتَّى لَقُوا قِبَائِلَ نَافِعٍ وَرُعَيْنَ ، وَفِيهِمْ بَنُو عَبْسِ بْنِ زَوْفَ ، ثُمَّ مَضُوا  
بُخَطَلَهُمْ حَتَّى لَقُوا بَنِي مَوْهَبَ مِنَ الْمَعَاوِرِ ، وَلَقُوا السَّلَفَ وَسَبَأَ ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ الصَّحْرَاءِ .

وَقَدْ غَلِظَ بَعْضُ النَّاسِ فِي بَنِي عَبْسِ بْنِ زَوْفَ وَالزَّقَاقِ الْمُنْسُوبِ إِلَى بَنِي  
عَبْسَ ، فَقَالَ : هُمُ عَبْسُ قَيْسَ ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ .  
حَدَّثَنَا أَبُو الْأَسْوَدِ النَّضْرُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ لُحَيْمَةَ عَنْ عَثْبَةَ بْنِ أَبِي  
حَكِيمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . أَكْثَرُ الْقِبَائِلِ فِي الْجَنَّةِ مَذْحِجٌ .  
وَاخْتَطَّتْ الْقِبَائِلُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى سَبَأَ ، مِنْهُمْ ابْنُ ذِي هَجْرَانَ ، وَمَعَهُمُ  
السَّلَفُ شَرْقَى جَنْبِ ، بِمَا إِلَى مُرَادَ ، ثُمَّ مَضُوا بُخَطَلَهُمْ بَيْنَ الْمَعَاوِرِ وَحَضْرَمَوْتَ  
حَتَّى أَصْحَرُوا .

وَاخْتَطَّتْ حَمِيرُ قَبِيلِ خَوْلَانَ وَشَرْقِيَّهَا وَشَرْقَى بِدْيَعَةَ مِنْ مَذْحِجَ ، فَكَانَتْ  
يُحْصِي قَبِيلَ الْمَعَاوِرِ حَتَّى قَطَعُوا الْجَبَلَ .

وَاخْتَطَّتْ يَافِعُ وَرُعَيْنَ شَرْقَى خَوْلَانَ ، ثُمَّ لَقُوا قِبَائِلَ الْكَلَاعِ ، ثُمَّ مَضُوا  
بَيْنَ قِبَائِلِ سَبَأَ وَالْمَعَاوِرِ وَبَيْنَ أَصْطَبِلَ مُقَرَّةَ بْنِ شَرِيكَ حَتَّى أَصْحَرُوا .

واختطت المعافر وفيهم الأشعر بين والسكاسك شرقى السكلاع ، قولهم من ذلك الأكنوع وهم من الأشعر بين ، وبنو موهب ثم السكلاسك ، ثم المعافر ، وهم مختلطون .

ثم مضوا بخطهم حتى أبحروا ينازلون حجير وطائفة من خولان ، وحجير والمعافر على الجبل موقوفون على قبائل مصر ، وليس في هذا الجبل إلا هذه القبائل ، غير أن جبهينة قد كانت نزلت بحرف تبة ، وكانت المعافر قد نزلت إلى جنب عمرو بن العاص ، فأدأهم البعوض ، وكان جرئ النبل ، فشكوا في ذلك إلى عمرو ، وسألوه أن ينقلهم ، فقال : لا أجد قوماً أحمل لي من أصحابي ، فنقل قريشا إلى موضعهم ، ونقل المعافر إلى موضعها التي هي به اليوم .

وقال عمرو لأصحابه : اغتتموا فكأنى أنظر إلى المسجد وما حوله قد صار فيه الناس ورغبوا فيه وإلى موضعهم قد خرب ، فكان كما قال .

حدثنا هاني بن المتوكل ، حدثنا ضمام بن اسماعيل عن أبي قبيل عن شُعْبَةَ ابن ماتم قال : كان الناس إذا كان قَرَعٌ خرجوا براياتهم ، وكان لكل قوم موقف ، فكان موقف المعافر تحت السكوم — يريد بالاسكندرية — وقصر فهد الذي بالمعافر ، ومسجد لسبا خطلة ، وهو فهد به كثير بن فهد ، وكان ولي بركة أيام أسامة بن زيد الأولى ، وكان قد ولي جزيرة الصناعة ، وهو القصر الذي عند مسجد الزينة .

وفي الأشعر بين والسكاسك جاء الحديث .

حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك ، حدثنا الركن بن عبد الله بن سعد عن مكحول عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم بعثه إلى اليمن حمله على ناقه وقال : يا معاذ ، انطلق حتى تأتي الجند ، فحيث بركت بك هذه الناقة فأدِّنْ ، وصل ، وابن فيه مسجدا .

فانطلق معاذ حتى إذا انتهى إلى الجند ، دارت به ناقته وأبت أن تبرك ،  
فقال : هل من جند غير هذا ؟

قالوا . نعم ، جند رخامة .

فلما أتاه دارت وبركت ، فنزل معاذ ، فنادى بالصلاة ، ثم قام فصلى ، فخرج  
إليه ابن يَخْأَمِر السَّكْسَكِي ، فقال : من أنت ؟  
فقال : أنا رسول رسول رب العالمين .

فقال : ما تريد ؟

قال : أريد أن أقاتل من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
فلما أن قص عليه معاذ ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له  
ابن يَخْأَمِر : مرحباً بمن جئت من عنده ، ومرحبا بك ، ابسط يدك .  
فبايعة ، ووثب إليه ثلثة من الأشعريين ووثب عليه الأملوك ردّمان ، فقال  
ابن يَخْأَمِر : إن العرضة التي بنيت فيها المسجد لى .  
فقال معاذ : خذ ثمنها ..

فقال : لا ، بل هي لله والرسول .

فقاتل معاذ من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثلثة من الأشعريين ،  
والأملوك أملوك ردّمان حتى أجابوه .

فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى قاتلت حتى أجابنى أهل  
اليمن بثلثة من الأشعريين والسكاسك والأملوك أملوك ردمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر للسكاسك والأملوك أملوك  
ردمان وثلثة من الأشعريين .

حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بخير قبائل ؟ قالوا : بلى . قال : الأملوك أملوك ردمان ، وفرق بين الأشعرين ، وفرق من خولان والسكاسك والسكُون .

قالوا ، واختطت بنو وائل في مهب الشمال ، ثم مضوا بخطهم شارعين على النيل حتى لقيت راشدة من نغم مما يلي الأصطل ، وبين طائفة منهم وبين يحسب وهم في الجبل ، الفارسيون ، وهم قليل .

ثم انحطت طائفة من نغم خلف بنى وائل وشرعوا في النيل ، ثم مضوا يبتازعون يحسب ، وهم في جبل ، حتى برزوا إلى أرض الحرث والزرع ؛ وكان بين القبائل فضاء من القبيل إلى القبيل ، فلما مدت الأمداد في زمان عثمان بن عفان وما بعد ذلك وكثر الناس وسع كل قوم لبنى أيهم حتى كثر البنين والتأم .

#### فصل في الجزيرة

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، وابن هبيرة ، يزيد أحدهما على صاحبه . قال : فاستحيت همدان ومن والاها الجزيرة ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يعلمه بما صنع الله للمسلمين ، وما فتح عليهم ، وما فعلوا في خططهم ، وما استحيت همدان ومن والاها من النزول بالجزيرة .

فكتب إليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ، ويقول له : كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك ؟ ألم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك أن يكون بينهم وبينك بحر ، لا تدري ما يفجأهم ، فلعلك لا تقدر على غيائهم حتى ينزل بهم ما تسكره ، فاجمعهم إليك ، فإن أبوا عليك وأعجبهم موضعهم فابني عليهم من قبة للمسلمين حصناً .

فعرض عمرو ذلك عليهم ، فأبوا ، وأعجبهم موضعهم بالجيزة ، ومن والاهم على ذلك من رهطهم ، يافعٌ وغيرها ، وأحبُّوا ما هنا لك ، فبنى لهم عمرو بن العاص الحصن الذي بالجيزة في سنة إحدى وعشرين ، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين .

قال غير ابن لهيعة من مشايخ أهل مصر ، أن عمرو بن العاص لما سأل أهل الجيزة أن ينضموا إلى القسطنطين قالوا : مُتَقَدِّمًا قَدِّمْنَا في سبيل الله ، ما كنا لنرحل منه إلى غيره .

فنزلات يافع الجيزة ، ، فيها مُبْرِحُ بن شهاب ، وكمهذان ، وذو أضحج ، فيهم أبو شمير بن أبرهة وطائفة من الحِجْر ، منهم علقمة بن جنادة ، أحد بني مالك ابن الحِجْر ، وكانت منهم طائفة قد اختلطوا بالقسطنطين أسفل من عَقَبَةِ تنوخ ، قد بَيَّنْتَ ذلك في صدر كتابي .

قال : وقد كان دخل مع عمرو بن العاص قوم من العجم ، يقال لهم الحِجْرَاء والفارسيون ، فأما الحِجْرَاء فقوم من الروم ، فيهم بنو يَنَّةَ وبنو الأزرق ، وبنو روبييل ؛ والفارسيون قوم من الفرس ، وفيهم زعموا قوم من الفرس الذين كانوا بصنعاء ، وكان حامل لوائهم ابن يَنَّةَ ، وإليه تنسب سقيفة ابن يَنَّةَ التي بفسطاط مصر بالحِجْرَاء .

فقال الروم والفارسيون : إنهم العرب ، إنا لا نأمنهم ونخاف الغدر من قبلهم . قالوا : فما الرأي ؟ .

قال : نزل نحن في طرف ، وأنتم في طرف ، فإن يكن منهم غدر كانوا يبننا .

فقال بعضهم : فإن يكن منهم غدر كانوا بين الحِجْرِيِّ الأَسَد ، وكنا قد أخذنا بالوثقى .



فنزلت الروم الحمراء التي بالقنطرة ، ونزلت الفرس بناحية بنى وائل ،  
فمسجد الفارسيين هناك مشهور معروف .  
حدثنا عبد الملك بن مسعدة ، حدثنا ابن لهيعة عن شيخ من موالى فهم عن  
علي بن رباح قال : قدم عمرو بن العاص بالحمراء والفارسيين من الشام ، قال ابن  
لهيعة : سمّاهم الحمراء لأنهم من العجم .

### ذكر

#### أخاند<sup>(١)</sup> الاسكندرية

قال : وأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط غير أن أبا الأسود النضر بن  
عبد الجبار حدثنا عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الزبير بن العوام  
اخط بالاسكندرية .

ولما كانت أخاند ، من أخذ منزلاً نزل فيه هو وبنو أبيه ، وأن عمرو  
ابن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا السكوم الذي  
فيه مسجد عمرو بن العاص ، فقال معاوية بن حديج : نزل . فنزل عمرو بن  
العاص القصر الذي صار لعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ويقال إن عمرأ وهبه  
له لما ولى البلد .

ونزل أبو ذر الغفاري منزلاً كان غربي المصلّى الذي عند مسجد عمرو بما يلي  
البحر ، وقد أنهدم ، ونزل معاوية بن حديج موضع داره التي فوق هذا التل ،  
وضرب عبادة بن الصامت بناء ، فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ، ويقال ،  
إن أبا الدرداء كان معه ، والله أعلم .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وابن هبيرة

---

(١) أخاند بهم أخينة ، بمعنى الأخوذ .

في حديثهما قال : فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ، رُبْع للناس ، وربع في السواحل ، والنصف مقيمون معه ، وكان يصير الاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ، ويعقب بعدهم شانية ستة أشهر ، وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه ، وانحدوا فيه أخاخذ .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب ، أن المسلمين لما سكنوها في رباطهم ، ثم قفلوا ، ثم غزوا ابتدروا ، فسكان الرجل يأتي المنزل الذي فيه صاحبه قبل ذلك ، فيبتدره ، فيسكنه .

فلما غزوا قال عمرو : إني أخاف أن تحربوا المنازل إذا كنتم تتعاورونها .

فلما كان عند السِكَرِيَّونَ قال لهم : سيروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رُحْمَه في دار فهمي له ولبنى أبيه . فسكان الرجل يدخل الدار فيركز رحمه في منزل منها ، ثم يأتي الآخر فيركز رحمه في بعض بيوت الدار ، فكانت الدار تكون لقبيلتين أو ثلاث .

وكانوا يسكنونها حتى إذا قفلوا سكنها الروم ، وعليهم مَرَّتُهَا ، فكان يزيد بن أبي حبيب يقول : لا يحل من كَرَّأَهَا شيء ولا يعضها ، ولا يورث فيها شيء ، إنما كانت لهم يسكنونها في رباطهم .

### الزيادة في المسجِد الجامع

ثم إن مسleme بن مخلد الانصارى زاد في المسجد الجامع بعد بنيان عمرو له ، ومسleme الذي كان أخذ أهل مصر ببنيان المنار للمساجد ، كان أخذها أيامه بذلك في سنة ثلاث وخسين ، فبنيت المنارة وكتب عليها اسمه .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال : أخذ مسleme بن مخلد الناس بيناء

منار المساجد ، ووضع ذلك عن خولان ، لأنه كان صاهر اليهم وأسقط ذلك عنهم .

ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد في سنة سبع وسبعين و بناء ، ثم كتب الوليد بن عبد الملك في خلافته إلى قُرَّة بن شريك العبسي ، وهو يومئذ واليه على أهل مصر ، وكانت ولاية قرة بن شريك مصر في سنة تسعين ، قدمها يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وعُزل عبدالله بن عبد الملك ، وفي ذلك يقول الشاعر :

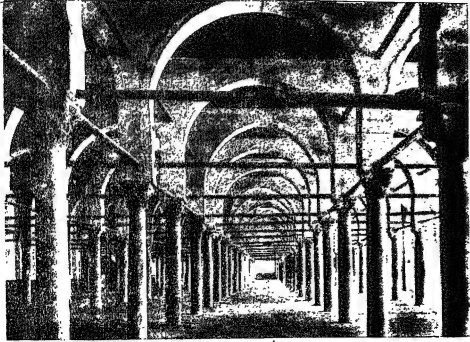
عَجِبًا مَا تَجِبْتُ حِينَ أَتَانَا أَنْ قَدْ أَمَرْتَ قُرَّةَ بْنَ شَرِيكَ  
وَعَزَلْتَ الْفَتَى الْمُبَارَكَ عَنَّا ثُمَّ قِيلَتْ فِيهِ رَأَى أَيْبُكَ

فهدمه كله و بناء هذا البناء ، وزوّقه ، وذهب رؤوس العمدة التي في مجالس قيس ، وليس في المسجد عمود مذهب الرأس إلا في مجالس قيس ، وحوّل قرة المنبر حين هدم المسجد إلى قيسارية <sup>(١)</sup> العسل ، فكان الناس يصلّون فيها الصلوات ، ويجمعون فيها الجمع حتى فرغ من بنيانه ، والقبلة في القيسارية إلى اليوم ، وكانت القبّة التي في وسط الجزيرة بين الجسرين في المسجد الجامع

ثم زاد موسى بن عيسى الهاشمي هدم ذلك في مؤخره في سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم زاد عبد الله بن طاهر في عرضه بكتاب المأمون بالإذن له . وذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وأدخل فيه دار الرمل كلها إلا ما بقي ممها من دار الصرب ، ودخلت فيه دار رُمّانة وغيرها من بعض الخطط التي ذكرناها .

فكان محال الوليد بن عبد الملك كما حدثنا سعيد بن عفير كتبوا إليه ، أن يبوت المال قد ضاقت من مال الخُص ، فكتب إليهم أن ابنوا المسجد .

(١) القيسارية هي السوق .



منظر داخلي لجامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية — مصر القديمة

بنى هذا المسجد في الشتاء من سنتي ٦٤١ ، ٦٤٢ م وقد اختار عمرو لبنائه الموضع الذي كان فيه لواءه ، وصار يعرف باسم مسجد أهل الرابية ، وكان هذا الموضع بين بسايتين وكروم على شاطئ النيل ، وكان قد اختط فيه قبل بناء الجامع أبو عبيد الرحمن فيسبة بن كاتون ، فلما طلبه منه نزل عنه صدقة لأمسدين ، وكان ذرع المسجد ٥٠ × ٣٠ ذراعا ، وسقفه مطاطا ، ولم يجعل له صحن ، وقد زيدت فيه زيادات كان أولها ما زاده مسلمة بن مخلد في سنة ٧٦٣ م ، فإنه مداه إلى جهة الشمال ، وفرشه بالحصر بدل الحصياء ، وجعل فيه منائر . وفي سنة ٦٩٦ أمر عبد العزيز بن مروان بهدم جزء منه ، ثم أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك واليه قرة بن شريك سنة ٧١١ م أن يهدم المسجد كله ويسيد بناه ، فصار على الصورة التي بقى عتقظا بها إلى اليوم مع ما تدخل عليه من التغير .  
( أنظر الجزء الثاني من مجلة الجمعية المسكية الأسبوعية سنة ١٨٩٠ ، والجزء الرابع من كتاب ابن دقاق صهيفي ٥٩ ، ٦٧ ) .

فأول مسجد بنى بقسطنط مصر المسجد الذى فى أصل حصن الروم عند باب  
الزَّيْنان ، قُبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس<sup>(١)</sup> ، يعرف بمسجد القلعة .  
حدثنا حميد بن هشام الحميرى قال : كل مسجد بقسطنط مصر فيه عمود رخام  
فليس بخطئى .

وأول كنيسة بنيت بقسطنط مصر كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن هزيمة  
عن بعض شيوخ فى أهل مصر الكنيسة التى خلف القنطرة أيام سلمة بن مخلد ،  
فأنكر ذلك الجند على مسلمة ، وقالوا له : أتقرُّ لهم أن يبنوا الكنائس ؟ حتى  
كاد أن يقع بينهم وبينه شر ، فاحتج عليهم مسلمة يومئذ ، فقال : إنما ليست فى  
قُيُورِناكم ، وإنما هى خارجة فى أرضهم ؛ فسكتوا عند ذلك .  
فهذه خطط مصر .

ذكر

### القطاع

قال : وقد كان المسلمون حين اختطوا قد تركوا بينهم وبين البحر والخصن  
فضاءً لتعريق دوابهم وتأديبها ، فلم يزل الأمر على ذلك حتى ولى معاوية بن أبى  
سفيان ، فاشتري خطة مسامة بن مخلد منه ، وأقطعها داره التى بسوق وُردان ،  
ثم اشترى خطة عقبة بن عامر ، وأقطعها داره التى فى الفضاء عند أصحاب التين ،  
وهى اليوم فى يد قرَج ، ثم اشترى دار أبى رافع التى صارت للسائب مولاة ،  
وأقطع السائب الدار التى عند حَيَزِ الوُزْ

ثم ابقى عبدالعزيز دار الأضياف ، كانت لأضياف عبد العزيز ، وأقطع معاوية  
أيضاً سارية مولى عمر بن الخطاب فى الزقاق الذى يعرف بحَيَزِ الوُزْ ، فباعه ولده  
مُفطماً ، وأقطع عبد العزيز خالد بن عبد الرحمن الحارث بن هشام دار سُحْرَمَةَ التى  
فى الفضاء ، وكانت له دار موسى بن عيسى النُوشَرى التى بالموقف .

(١) القالوس مكان كان بالقسطنط ، وروى ابن دقاق أن هذا المكان سُمى بالقالوس  
نسبة إلى جمل كان يتخذ مركباً فى الزحان ، وكلمة قالوس كلمة رومية ومعناها بالربية :  
حرباً بك ، ولعل الروم كانوا يصفون لراكب هذا الجمل ، ويقولون هذه الكلمة على عادتهم .

قال : وكان خالد وعمر ابنا عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مع عبد الله ابن الزبير ، وكان أبو بكر بن عبد الرحمن أخا لعبد الملك بن مروان وترّبا له ، فلما ظهر عبد الملك بن مروان قال : لا سبيل إلى ما يكره عمر وخالد مع أبي بكر ، ولكن لله على ألا يسكننا الحجاز .

فكتب إلى الحجاج : أن خَازَهما في أي الأمصار شاء ، فيلحقا بها . فلحق خالد بعبد العزيز بن مروان ، فأقطعه دار غومة في الفضاء ، وكانت له دار موسى بن عيسى التي بالموقف ، وأما عمر فلحق ببشر بن مروان بالعراق ، فله بواسط آثار كثيرة ،

وأقطع عُمارة بن الوليد بن عقبة ابن أبي مُعَيْط الدور التي تلي أصحاب التبن . قَبِيلًا ، وكان أبو معيط يسمى أَبَانًا .

حدثني بذلك محمد بن إدريس الرازي ، وله يقول ضرار بن الخطاب .  
عَيْنِ قَابِئِكِي لِعُقْبَةِ بْنِ أَبَانَ  
قَرَجَ فِيهِ وَقَارِسِ الْفُرْسَانِ  
وله يقول بعض الشعراء :

مَنْ سَرَّهُ شَحْمٌ وَلَمْ رَاكِدٌ فَلَيْتَ جَفَنَةِ عُقْبَةَ بْنِ أَبَانَ  
قال : وكان عبد الأعلى بن أبي سمرة ، وهو مولى لبني شيبان على أخت موسى بن نصير ، وكانت له من عبد العزيز منزلة ، فخط له داره ذات الحمام ، الذي يقال له حَمَامُ التبن .

فلما قدم عبد الأعلى بن أبي سمرة من عند أَلْيُون صاحب الروم قال لعبد العزيز : قد أبليت المسلمين في تأجيلهم إيتاي نصحا وبلاء حسنا ، فرتلي بأربع سَوَارِي من خَرَب الاسكندرية ، فأمر له بها ، فهي على حوض حمامه الأعظم . وكان عبد العزيز يرسله بالبهر إلى ابن مُعْمَرَة .

حدثنا أبو الأسود، حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة عن عبد الأعلى  
ابن أبي عمرة أن عبد العزيز بن مروان أرسل معه بألف دينار إلى ابن عمر ،  
فقبلها .

قال : وأقطع عبد الملك بن مروان عمر بن علي الفهري ، ثم أحد بنى محارب ،  
داره ذات الحمام التي اشتراها موسى بن عيسى إلى جنب أصحاب القرط ، وذلك  
أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد كان عمر بن علي ممن أبلى معه  
وكان في أصحابه ، فدخل عليه في خاصته وعمرو بن سعيد مقتول ، فاستشارهم في  
قتله ، فسكاهم هاب قتله ولم يره .

فقال عمر بن علي : اقتله ، قتله الله ، فلا يزال في خلاف ما عاش .  
قال عبد الملك : ها هو ذا .

قال : فألقي رأسه إلى الناس ، وأنهبهم بيت المال . يقتربونك .  
ففعل ، فافترق الناس ، وأرسله عبد الملك إلى منزل عمرو يقتشه ، فوجد فيه  
كتبا فيها أسماء من بایعه . فأحرقها .  
وبلغ ذلك عبد الملك . فقال له : ما حملك على ما فعلت ؟  
قال : لو قرأتها لما صح لك قلب شامي . ولا استقامت طاعته إذا علم أنك  
قد علمت بخلافه إياك .

فصوب رأيه وحده ، وأقطعه داره ذات الحمام التي اشتراها موسى بن عيسى  
إلى جنب أصحاب القرط <sup>(١)</sup> .

قال عبد الملك بن مسleme : هي قطعة من عبد العزيز للفهري ، ولم يسمه  
باسمه إلا أن ابن عفير سماه .

---

(١) في نسخة ب وح زيادة قال : وبني عبد العزيز التيساريات التي لأمسل والخيال والكتابش ،  
والقرط نبات الدحرج ، وكان أهل مصر يبدون برءاءه ، ويقطعون له وهو أخضر لعناب الماشية .

وقال عبد الملك بن مسلمة : أقطمها محمد العزيز القهري مولى ابن رمانة حين قدم عليه ، و بناها له يزيد بن رمانة ، وهي الدار التي تعرف اليوم بدار السلسلة .

وآل عبد الرحمن يزيد بن أنيس القهري ينسكرون ذلك ، وهم بذلك أعلم ، ويقولون إنها لأبي عبد الرحمن القهري ، اختطها عام فتح مصر ، ولم يكن بنى منها شيئا غير سورها ، ثم خرج إلى الشام ، فاستشهد بها ، ثم قدم ابنه العلاء ، وعلى ، وكان العلاء أسنهما ، وقد كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا إلى مصر ، فجعلوا ذلك البناء مثل الماربد العظيم . ولم يجعلوا فيها إلا منزلا واحدا ، وأسكنوا معه مولى لهما ، يقال له مُحَنَس ، ثم خرج العلاء إلى المدينة ، فقتل عام الحرة ، وخلف الحارث بن العلاء ، وخرج على إلى الشام ، فتوفي بها وخلف عمر بن على ، فصار بمنزلة عند عبد الملك .

فبعث إلى ابن رمانة ، وأرسل إليه بمال ، وسأله أن يبني له دار جده بأحسكم ما يقدر عليه ، ويجعل له فيها حماما ، ويجعل له خوخة في داره ، إذا أراد أن يدخله دخله ، وقال : إن ذلك ذكر لك ولشيخك فرك ذلك ابن رمانة ، فبناها ، وجعل سورها أكثر من ذراعين بذراع البناء ، وجعلها تدور بعمد رخام ، وجعل قاعها مستديرة ، ولم يجعل فوقها بناء .

ثم قدم عمر بن على مصر ، وقد فرغ منها ابن رمانة ، فقال له عمر : لقد انتفتت غير أنك لم تجعل لها مسجداً .

فبنى المسجد الذي يعرف اليوم بمسجد القُرُون ، بناه مثل الدكان الكبير ، ونحوه عن الدار ، وجعل بينه وبين الدار فُرْجة ، وكان يجلس فيه ؛ ثم بناه بعده أبو غون عبد الملك بن يزيد ، ثم زاد فيه المطلب بن عبد الله الخزاعي ، ثم احترق ، فبناه السري بن الحسك هذا البناء ، ثم مات عمر بن على ، فورث الحارث بن



العلاء - وهو ابن أخيه - كل ما ترك ، وحبس الدار على الأقدم فالأقدم بالحدث بن العلاء من الرجال دون النساء أبداً ما تناسلوا ، وتقديم كل طبقة على من هو أسفل منها ، فإذا انقرض النساء فهى وحقاهما وكوئمه المعروف بأبى قشاش يقسم ذلك أثلاثاً ، فثلث فى سبيل الله ، وثلث فى الفقراء والمساكين ، وثلث على مواليه وموالى ولده وأولادهم أبداً ما تناسلوا بعد مرمتهما ، ورزق قيم إن كان لها ، فإذا انقرض المولى فلم يبق منهم أحد فعلى الفقراء والمساكين بقسطا مصر ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يرى من وليها من عمارتها .

واسم أبى عبد الرحمن يزيد بن أنيس بن عبد الله بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيدان بن محارب بن فهر . وعمر بن حبيب هو آكل السَّقْب<sup>(١)</sup> ، وأمه السوداء ابنة زُهرَة بن كلاب ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

بَنُو آكِلِ السَّقْبِ الَّذِينَ كَاتَهُمْ نَجُومُ بَاقَاتِ السَّمَاءِ تَنُورُ<sup>(٢)</sup>

وكان عند دار السلسلة ، فلا أدرى أهى هذه الدار أم غيرها ؟ حوض من رُخام ، وكان يملأ فى الأعياد طلاء ، وتجعل عليه الآنية ويشرب الناس .

فلم يزل الأمر على ذلك حتى عمر بن عبد العزيز فقطعه .

وبالقسطاط غير دار يقال لها : دار السلسلة ، سوى دار النهري ، منها دار السهمى التى فى الحذائين ، والدار التى فيها أصبغ الفقيه فى زقاق القناديل .

قال : وبنى عبد العزيز بن مروان القيساريات ، قيسارية العسل ، وقيسارية الحبال ، وقيسارية السكباش ، وهى فى خطّة قوم من بلّى ، يقال لهم الوحاوّة ، والقيسارية التى يباع فيها البزّ ، وهى التى تعرف بقيسارية عبد العزيز ، وأدخل

(١) وفى نسخة : شرح على الماشى . مسمى بذلك لأنه أثار على بكر بن وائل ، ولهم سقى يمدونه ، فأخذ السقب فأكله ، قاله ابن الكلّى النهري .

(٢) السقب : هو الذكر من ولد الناقة ، ولا يقال للأثني سقبة .

فيها من خطط الـراية ؛ وكان فيها منزل كعب بن عدى العبادى ، فموضه منها داره فى بنى وائل .

قال : وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بـقيسارية هشام يباع فيها البرّ الفسّطاطى فى الفضاء بين القصر وبين البحر ، وبقيت بعد ذلك من الفضاء بقية بين بنى وائل والبحر ، فأقطعها بنو العباسى الناس .

قال : وأقطع عمرو بن العاص حين وَلِيَ وَرَدَّان مولاة الأرض التى خلف القنطرة ، التى غَرَبَ بِهَا أَبُو حَمِيد إلى كنيسة الروم التى هناك ، وما كان عن يمينك من رأس الجسر القديم إلى حَمَام السكبش ، وهو الحمام الذى يعرف اليوم بحمام السوق ، والآخر إلى ساحل مَرِيس ، فكل ذلك كان للوليد بن عبد الملك ؛ وكان للوليد أيضا ما كان على يسارك من الجزيرة وأنت خارج إلى الجزيرة والحوانيت اللاصقة بجزيرة الصناعة .

وكان عمر بن الخطاب قد أقطع ابن سَنَدْر مُمْنِيَّة الأصبغ ، فحاز لنفسه منها ألف فدان كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث بن سعد ، ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب أقطع أحداً من الناس شيئا من أرض مصر إلا ابن سندر ، فإنه أقطعه مُمْنِيَّة الأصبغ

فلم تزل له حتى مات ، فاشتراها الأصبغ بن عبد العزيز من ورثته ، فليس بمصر قطعة أقدم منها ولا أفضل .

وكان سبب إقطاع عمر ما أقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنه كان لزِنْبَاع الجذامى غلام يقال له سَنَدْر ، فوجده يُقَبَّلُ جارية له ، فَتَجَبَّه وَجَدَعُ أَذْنِيهِ وَأَنْفَهُ .

فأتى سندر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى زِنْبَاع ، فقال : لا تُعْطِيَهُمْ مالا تُطْطِقُونَ ، وأطعموهم مما تأكلون ، وأكسوهم مما تلبسون ، فإنه

رضيتم فامسكوا ، وإن كرهتموهم فبيعوا ولا تمذبوا خلق الله ، ومن مُثل به أو  
أُحرق بالنار فهو حرّ ، وهو مولى الله ورسوله .

فأعق سندر . فقال : أوصى بي يا رسول الله .

قال : أوصى بك كلّ مُسلم .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سندر إلى أبي بكر الصديق رضى  
الله عنه ، فقال : احفظا في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقاله أبو بكر حتى توفى ، ثم أتى عمر ، فقال له : احفظ في وصية رسول الله  
صلى الله عليه وسلم .

فقال : نعم ، إن رضيت أن تقيم عندي أجريت عليك ما كان يجزى عليك .  
أبو بكر ، والا فانظر أئى المواضع أكتب لك .

فقال سندر : مصر ، فإنها أرض ريف .

فكتب له إلى عمرو بن العاص ، احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدم على عمرو قطع له أرضا واسعة ودارا ، فجعل سندر يعيش فيها ، فلما  
مات قبضت في مال الله .

قال عمرو بن شعيب ، ثم أقطعها عبد العزيز بن مروان الأصمّ بعد ، فهي  
من خير أموالهم .

وروى ابن وهب عن أبي لطيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط  
التميمي عن عبد الله بن سندر عن أبيه أنه كان عبداً لزنبا عن سلامة الجذامي .  
فعتب عليه ، فخصاه وجده ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره ، فأغفل  
لزنبا القول واعتقه منه ، فقال : أوصى بي يا رسول الله . قال : أوصى بك  
كل مسلم .

قال يزيد : وكان سندر كافرا .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ، أن غلاما الزنبايع الجذامي اتهمه ، فأمر بإخصائه وجذع أنفه وأذنيه ، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعققه ، وقال : أَيْمًا تَمْلُوكُ مُثْلَ بِهِ فَهُوَ حُرٌّ ، وهو مولى الله ورسوله . فساكن بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفق به ، فلما اشتد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابن سندر : يا رسول الله ، إنا كما ترى ، فمن لنا بعدك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوصى بك كل مؤمن .

فلما ولي أبو بكر رضى الله عنه أَقَرَّ عليه نفقته حتى مات ، فلما ولي عمر بن الخطاب أتاه ابن سندر ، فقال : احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له . أنظر أى أجناد المسلمين شئت فألحق به ، أمر لك بما يصلحك . فقال ابن سندر : ألحق بمصر .

فكتب له إلى عمرو بن العاص ، يأمره أن يأمر له بأرض تسعه ؛ فلم يزل فيما يسعه بمصر .

ويقال : سَنَدَرُ وابن سندر . والله أعلم بالصواب .

ولأهل مصر<sup>(١)</sup> عنه حديثان مرفوعان : هذا أحدهما ، والآخر ، حدثنا يحيى ابن بكير وعبد الملك بن مسامة قالوا : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخليل عن ابن سندر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَسْلَمَ سَالِمُهَا اللَّهُ ، مَوْغِفَارُ غَفَرِ اللَّهُ لَهَا ، وَتُحْيِيْبُ أَجَابَتْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ .

(١) في نسخة د ، ح : ولهم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد ، وبكى سندر بأن الأسود ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير .

قال ابن بكير في حديثه : نقلت : يا أبا الأسود ، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر تُحَيِّبَ ؟ قال نعم . قلت : وأحدث الناس عنك بذلك ؟ قال : نعم .

### خروج عمرو إلى الريف

حدثنا عبد الرحمن بن صالح عن عبد الرحمن بن شريح عن أبي قبيل قال : كان الناس يجمعون بالنسقاط إذا قفلوا ، فإذا حضر مرافق الريف خطب عمرو ابن العاص الناس ، فقال : قد حضر مرافق ريفكم ، فأنصرفوا ، فإذا حمض اللبَنُ واشتد العود وكثر الذُّباب فَحَيَّ على فسطاطكم ، ولا أعلن ما جاء أحدكم قد أسمن نفسه وأهزل جواده .

حدثنا أحمد بن عمرو حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : كان عمرو يقول للناس إذا قفلوا من غزوهم : إنه قد حضر الربيع فمن أحب منكم أن يخرج بجواده يُرَبِّعُهُ فليُفْعَلْ ، ولا أعلن ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه ، فإذا حمض اللبن وكثر الذباب فارجموا إلى قيروانكم .

حدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا الليث بن سعد أن عمرو بن العاص كان يقول للناس إذا قفلوا : أخرجوا إلى أريافكم ، فإذا غنى الذباب وحمض اللبن ولوى العود فَحَيَّ على فسطاطكم .

### خطبة عمرو بن العاص

حدثنا سعيد بن ميسرة عن اسحاق بن الفرات عن ابن لهيعة عن الأسود ابن مالك الحميري عن يحيى بن ذاخير المعافري قال : رُحْتُ أنا ووالدي إلى صلاة .

الجمعة هَجِيرًا ، وذلك آخر الشتاء ، أظنه بعد حميم النصارى <sup>(١)</sup> بأيام يسيرة ، فأطلقنا الركوع إذ أقبل رجال بأيديهم السياط يزجرون الناس ، فذعرت ، فقلت يا أبت : من هؤلاء ؟ قال : يا بني ، هؤلاء الشرط .

فأقام المؤذنون الصلاة ، فقام عمرو بن العاص على المنبر ، فرأيت رجلًا رُبْعَةً ، قصَدَ القامة ، وافر الهامة ، أدعج ، أبلج ، عليه ثياب مَوْشِيَّةٌ كأن به العَيَّان <sup>(٢)</sup> ، تأتلق عليه حُلَّةٌ وعمامة وجبة ، حمد الله وأثنى عليه حَمْدًا موجزًا ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووعظ الناس ، وأمرهم ونهاهم ، فسمعتُه يُحْضِئُ على الزكاة وصلة الأرحام ، ويأمر بالاعتصام وينهى عن الفضول وكثرة العيال ، وقال في ذلك : « يا معشر الناس ، إياي وخِلالًا أربَعًا ، فإنها تدعو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السَّعة ، وإلى المذلة بعد العِزَّة ، إياي وكثرة العيال وإخفاف الحال وتضييع المال والقيل بعد الثقال في غير درك ولا نوال ، ثم إنه لابد من فراغ يؤول إليه في توديع جسمه ، والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شَهواتها ، ومن صار إلى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيَحْجُور من الخير عاطلا ، وعن حلال الله وحرامه غافلا .

يا معشر الناس ، إنه قد تدلَّت الجوزاء ، وذَكَتِ الشُّرُمَى ، وأقفلت السماء ، وارتفع الرباء ، وقل الندى ، وطاب المرعى ووضعت الحوامل ، وذَرَجَتِ السَّخَالِ <sup>(٣)</sup> ، وعلى الراعى بِحُسْنِ رَعِيَّتِهِ حَسَنُ النَّظَر ، فحى لَكُمْ على بركة الله إلى ريفكم ، فنالوا من خيرِهِ ولَبَنِهِ وَخِرَافِهِ وَصِيدِهِ ، وأرْبَعُوا خَيْلَكُمْ وَأَسْمَنُوا ، وَصَوَّنُوا وَأَكْرَمُوا ، فإنها جَنَّتْكم من عدوكم ، وبها مغانكم وأثقالكم ، واستوصوا بمن جاوز تموم من القبط خيرا ، وإياي والمشومات والمعصولات ، فإنهن يفسدن الدين ويقصرن الهَم ،

(١) هو جنس المهمل "ص" (٢) الذهب الخالص .

(٣) ولد الثعلب ذكرا كان قويا أي من المز والضأن .

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله سيفتح عليكم بمصر . فاستوصوا بقبطها خيرا ، فإن لكم منهم صبرا ودقة . فمفؤا أيديكم وفروجكم ، وغضوا أبصاركم . ولا أعلن ما أتى رجل قد أسمن جسمه وأهزل فرسه ، واعلموا أني معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك ، واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى دراكم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية .

وحدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جُنُدا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال له أبو بكر : ولم يارسول الله ؟ قال : « لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة » .

فأحدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فإذا ببس العود وسخن العود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح <sup>(١)</sup> البقل ، وانقطع الورد من الشجر فحى على فسطاطكم على ركة الله .

ولا يقدمن أحد منكم ذر عيال على عياله إلا ومعه تحفة لعياله ، على ما أطاق من سمته أو غشترته ، أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم » .

قال : خففت ذلك عنه ، فقال والذي بعد انصرفنا إلى المنزل لما حكيت له خطبته : إنه يابني يحدو الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حداهم على الريف والدعة .

(١) صوح البقل أى تم ببسه ، ومثله تصوح .

## ذكر

مرسيع الجند<sup>(١)</sup>

قال : وكان إذا جاء وقت الربيع واللبن كتب لسكل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، وكانت القرى التي يأخذ فيها غنطهم منوف وديسبنديس<sup>(٢)</sup> وأهناس<sup>(٣)</sup> وطحاً<sup>(٤)</sup> : وكان اهل الراية متفرقين ، فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منوف ووسيم<sup>(٥)</sup> وكانت هذيل تأخذ

---

(١) ذكر للفرزى في خطه أنه لما فتحت مصر كانت الصحابة لا تسكن الريف ، وكانت جميع القرى مملوءة بالقيط والروم ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد السنة المائة من الهجرة ، وكانت عادة الصحابة إذا جاء وقت الربيع كتب لسكل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا ، وكانت القرى التي يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود وأهناس وطحاً .  
(٢) ديسبنديس : من القرى المصرية القديمة واسمها الحالي سنديس ، وقد حرف إليه في القرن السادس الهجرى ، وقد وردت به في قوانين ابن ممتى ، وهى من بلاد مركز قايوب من أعمال محافظة القابلية .

(٣) اسم ثلاث قرى متجاورة من محافظة بنى سويف في جنوب اللاهون واقعة على جسر النيرة ، وهذه القرى الثلاث مع قرية منشأة أهناس تشغل محل المدينة القديمة التي كانت تسمى أهناس أو أهناسية ، وقد كانت متسعة جداً ، وكانت قاعدة إقليم يشتمل على خمس وتسعين قرية ، والظاهر أنها المدينة الفرعونية التي سهاها اليونانيون هرقليوبوليس ، وقال مريت المؤرخ ، إن هذه المدينة ينسب إليها فراغة الأسرتين التاسعة والعاشر .  
(٤) طحاً بلدة مصرية قديمة من بلاد مركز البهنا من أعمال محافظة المنيا ، وكان سكانها في صدر الإسلام خمسة عشر ألف نفس كلهم نصارى ، ليس فيهم مسلم ولا يهودى ، وقد ذكر الفرزى أنه كان بناحية طحاً كنيسة على اسم الحواريين ، وكنيسة أخرى باسم مريم العذراء ، وقال ابن حوقل : كان فيها عدة أنوال لنسج الأقمشة وأسقفية .

(٥) وسيم : ويسمىها الإفرنج بوشيم ، بلدة من أعمال محافظة الجيزة قسم أول ، غربي امبابة وشرقي السكروم الأحمر في حوض الجسر الأسود ، وهى مشهورة في الزمن القديم والإسلام ، وفي خطط الفرزى : أنها كانت زمن فتح مصر من منازل العرب الذين فتحوا مصر لما أسروا بالتفرق في البلاد لربيع خيلهم ووكل ذلك لاختيارهم ، وكانت وسيم في القديم مدينة عظيمة ، ويسمىها اليونان أفتولوس .



في بَنَّا بُوَصِير<sup>(١)</sup>، وكانت عَدَوَان تأخذ في بوسير بنو عَالِك التي يأخذ فيها عَظْمهم بوسير<sup>(٢)</sup> ومنوف ودسندس وأُتْرِب .

وكانت بِلَى تأخذ في منف وطَرَابِيَّة<sup>(٣)</sup>؛ وكانت فَهْم تأخذ في أُتْرِب .  
وعين شمس<sup>(٤)</sup> ومنوف<sup>(٥)</sup>؛ وكانت مَهْرَة تأخذ في تَتَا<sup>(٦)</sup> وُمَتَّى<sup>(٧)</sup>، وكانت الصَّدِف تأخذ في القيوم وَرَّابِيَّة<sup>(٨)</sup> وُقُرْبِيَط<sup>(٩)</sup>؛ وكانت جُذَام تأخذ في

- (١) بنا بوسير في الأصل بنا وبوسير وهو تصغير من الناسخ فالاسمان كلتوا واحدة لبلد واحد من أعمال مركز الحلة الكبرى بمحافظه الغربية على الشط الغربي لفرع دمياط شرق منية حبيب ، وتضاف بنا إلى بوسير ، كما تضاف بوسير إلى بنا ، وقد جعلها المقرري رأس خط ، عدد قراه : ثمان وثمانون قرية ، وفي تاريخ بطارقة الإسكندرية أن بنا بوسير كانت مقر أسقفية .
- (٢) بوسير — يشترك في هذا الاسم أربعة بلاد مصرية منها بلدة كانت بكورة السنودية بالوجه البحري ومنها بوسير القيوم ومنها بوسير الجيزة وبوسير البهنا ، وكانت هناك خامسة بهذا الاسم ، وقد اندرست ولا تزال آثارها موجودة على سلسلة الجبال المتصلة بالإسكندرية تمتد إلى جهة الغرب في جنوبي البخر المتوسط على بعد خمسمائة متر ، ومحاط الآن قلعة بوسير التي في غرب الإسكندرية .
- ويرجع في رأي أن المراد من هذا البلد التي أُلُفَت فيه عدوان في الريم هو بوسير سمند ، فقد تسلم عنها هيرودوت وبودور الصقل وإسترايوق وبطليموس ، وذكرها الأديبسي وأبو الفداء والمقريري وغيرهم ، وقد حدد أبو الفداء مكانها بمركز سمند ، ويوافق ما جاء في دفاتر التعداد القديمة أنها غربي سمند ، وقال المقريري لها رأس خط ، وكانت مركز أسقفية .
- (٣) طرابية مدينة مصرية قديمة عدها المقريري ضمن خطط الوجه البحري ، وحمل بها ثمانية وعشرين قرية من ضمنها بلدة فاقوس من أعمال محافظة الشرقية ، وقال مؤرخو الإفرنج أن طرابية هي طراقة للعين القبطية ، وقد ذكر بطليموس أنها خط وأقم شرق الفرع البيلاويك أي فرع الطينة ، وكان كرسية قرية فاقوس .
- (٤) عين شمس ضاحية من ضواحي القاهرة تقع في شمالها ، وهي إحدى المدن المصرية القديمة ، وقد اشتهرت بمسلاتها الفراعونية الأثرية .
- (٥) منوف بلدة قديمة تنسب إليها محافظة المنوفية التي قصبتها الآن بلدة شين الكوم . ومنوف حاليًا مركز من مراكزها الهامة ، وقد نشأ بها جملة من الأفاضل والعلماء .
- (٦) قرية من أعمال محافظة المنوفية بمركز منوف غربي ترعة الرساوية .
- (٧) هي تَمَى الأمانيد ، قرية قديمة في مركز السنبلاوين من أعمال محافظة الدقهلية .
- وبها تل قدم به آثار بناء ويجواره مقام شهيد يعرف بمقام عبد الله بن سلام .
- (٨) كَذَا في الأصل ، وصوابها طرابية سالفه الذكر .
- (٩) جاء في معجم البلدان أنها من كور أسفل الأرض (الدلتا) بمصر ، ولم تذكرها مراجع أخرى وصل إليها جهدي .

طراية وقريط ؛ وكانت حضرموت تأخذ في بيتا<sup>(١)</sup> وعين شمس وأتريب ، وكانت مراد تأخذ في منف والقيوم ، ومعهم عبس بن زوف ؛ وكانت حير تأخذ في بوصير ؛ وقرى أهنا ؛ وكانت خولان تأخذ في قرى أهنا والهنسا<sup>(٢)</sup> والفليس<sup>(٣)</sup> ؛ وآل وعلة يأخذون في سقط من بوصير ؛ وآل أبرهة يأخذون في منف ؛ وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة<sup>(٤)</sup> وقر يبط وطراية ؛ وآل يسار بن صنة في أتريب ؛ وكانت المعافر تأخذ أتريب وسخا ومنوف ؛ وكانت طائفة من نجيب ومراد يأخذون باليدقون<sup>(٥)</sup> .

وكان بعض هذه القبائل ربما جاوز بعضا في الربيع ، ولا يُوقع من معرفة هذا على أحد ، إلا أن عظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا ، وكان يسكتب لهم بالربيع فيربعون ، وباللبن ما أقاموا .

وكان لغفار وليث أيضا مُرتبع بأتريب .

قال : وأقامت مذبح بحر بيتا<sup>(٦)</sup> فاتخذوها منزلا ، وكان معهم نفر من خير من

(١) بها بلدة من عاقلة بى سوف واقعة على الشاطئ الغربى من بحر يوسف من أعمال مركز مغاغة يقال إنها كانت كرسى حكم في الأزمان السالفة .

(٢) الهنسا : بلدة قديمة على الشاطئ الغربى من بحر يوسف من أعمال مركز مغاغة بمحافظة النيا ، وكانت قاعدة إقليم ، ولها شهرة كبيرة في تاريخ فتوح مصر ، وكانت الهنسا وقت فتح المسلمين بلاد مصر عالية الجدران حصينة الأسوار والبنيان ، وكان لها أربعة أبواب إلى الجهات الأربعة ، وكان بها أربابون رابطاً وكنايس وقصور ، ولما أخذت بالفتح تغيرت معالمها واندرس كثير من آثارها ، وتجددت بها آثار إسلامية ، فكانت من أعظم بلاد مصر .

(٣) الفليس : قرية بمركز بنى مزار من أعمال محافظة النيا في الجنوب الشرقى للهنسا ، وفي غربها تلون البلدة القديمة ، وكان لها ولأهنا في الأزمان القديمة حاكم واحد ، وكانت البلدة القديمة تسمى فليس ، وكانت ذات أسقية وقد حفظ لها العرب اسمها القديم بتجريف قليل .

(٤) بسطة : مدينة كانت ذات شهرة وفتخامة ، ولم يبق منها إلا تلال تعرف بتلال بسطة في جنوب مدينة الزقازيق ، وكانت مقر الأسرة الثانية والعشرين من الدراغة ، وكانت يوسطها معبد شهير للقديسة يوسطيس السهارة عند اليونان ديان .

(٥) اليدقون كورة بمصر من كور الحوف الغربى ، ولم يرد لها ذكر إلا في معجم البلدان بهذا التعريف .

(٦) خربت : قرية قديمة من قرى مصر بمحافظة البحيرة مركز النجيلة غربى قرع رشيد وغربى كوم حمادة ، وكانت كرسى خط يبرف باسمها ، وقد ذكر المقرئ بنى وابن لياس أن خربها كان يشمل اثنتين وستين قرية غير السكفور .

ذبحان ، وغيرهم حالفوهم فيها ، فهي منازلهم .

ورجعت خُشَيْن ولطائفة من نلم وجدام فنزلوا أكناف صان وإبليل وطراية ، ولم يحفظوا ، ولم تسكن قيس بالحوف<sup>(١)</sup> الشرق قديما ، وإنما الذي أنزلهم به ابن الحبحاب ، وذلك أنه وفد إلى هشام بن عبد الملك ، فأمر له بفرضة ، خمسة آلاف رجل ، ثلاثة آلاف رجل - شك عبد الرحمن - فجعل ابن الحبحاب الفريضة في قيس ، وقدم بهم ، فأنزلوا بمصر الحوف الشرق .

### ذكر خيل مصر

قال : فلما نزل الناس واطمأنبت بهم منازلهم كانوا يخرجون فيؤذبون خيلهم في المضمار .

حدثنا أحمد بن عمرو ، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد ابن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماس المهرى عن معاوية بن حديج أنه مر على رجل بالمضمار معه الفرس بمسك برسنه على كتيبه ، فأرسل غلامه لينظر من الرجل ؟ فإذا هو بأبي ذر ، فأقبل ابن حديج إليه ، فقال له : يا أبا ذر ، إني أرى هذا الفرس قد عتاك ، وما أرى عنده شيئا .

قال أبو ذر : هذا فرس قد استعجب له .

قال ابن حديج : وما دعوة بهيمة من البهائم ؟

فقال أبو ذر : إنه ليس من فرس إلا أنه يدعو الله كل سحرية ، اللهم ، أنت خولتني عبدا من عبديك ، وجعلت رزقي بيده ، اللهم اجعلني أحب إليه من ولده وأهله وماله .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وشعيب بن الليث قالا ، حدثنا الليث

---

(١) الإقليم الشرق من الدلتا ، وهو الواقع شرق النيل وكانت مصر مقبولة أحوانا .

ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس أن معاوية بن حُديج حَدَّثَهُ ، أنه مرَّ على أبي ذرٍّ وهو قائمٌ عند فرس له ، فسأله ، ما تعالج من فرسك ؟ فقال : إني أظن أن هذا الفرس قد استجيبَت دعوته . ثم ذكر مثل حديث ابن وهب .

حدثنا سعيد بن عُفَيْرٍ حدثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال : مرَّ بنا عبيد الرحمن بن معاوية بن حُديج ونحن جلوس مع حَنَس بن عبد الله نحو صفاء مَهْرَةٍ ، ففَقَلَ عن السلام ، فناداه حَنَس ، تمرّ ولا تسلّم ، والله لقد رأيتني أشفع لك عند أبيك ، أن يجعل لِسِرْجَكَ ركاباً تضع فيه رجلك .

قال : وكان وُلد معاوية بن حُديج ليست لِسِرُّوهم رُكْبٌ ، إنما يثبون على الخيل وثبّاً .

وقال : وكانت أصول خيل مصر من خيل سمى ابنُ عُفَيْرٍ بعضَهَا ، منها أَشْقَر صَدْفٍ ، وكان لأبي ناعمة ، مالك بن ناعمة الصدفى ، وبه سميت خَوْخُه الأشقر التى بفسطاط مصر .

وكان السبب فى ذلك أن الأشقر نفق ، ففكره صاحبه أن يطرحه فى الأكوام كما تطرح جيف الدواب ، ففعل له ، ودفنه هناك ، فنسب للوضع إليه .

حدثنا أبو عبد الله بن الحُكَيْم قال : لما افتتح المسلمون القَصْرَ كان رجل من الروم يُقْبَل فى ناحية القصر على بِرْذَوْن له أَشْهَب ، والمسلمون فى صلاة الصبح ، فيقتل ويطن ، فطلبه خيل المسلمين فلا تقدر عليه ؛ وكان صاحب الأشقر غائباً ، فلما قدم أخبر بذلك ، فسكن له فى موضع ، وأقبل المَلِج ؛ ففعل كما كان يفعل ، فطلبه صاحب الأشقر ، فأدركه .

فقال : فاشتغلت بقتل المَلِج ، وشد الأشقر على المجين ، فقتله .

ومنها ذو الريش ، فرسُ العَوَام بن حبيب اليَحْصِيّ ، والخطّارُ فرس لبيد

ابن عُبَيْة السَّوِّمِيّ ، والدُّعْلُوْقُ فُرس حَجْر بن وائل السَّوِّمِيّ ، وَحَبْلَى فُرسُ  
كانت لَمَك ، ولها يقول الشاعر :

سَبَقَ الْأَقْوَامَ عَجَلَى سَبَقَتَهُمْ وَهَى حُبْلَى

حدثنا عبد الواحد بن إسحاق ، حدثنا مروان بن معاوية عن أبي حَيَّان  
التَّمِيمِيّ عن أبي زُرْعَةَ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمِيَ  
الأنثى من الخيل فرسا . .

قال : وَحَبْلَى التي قال عبد الرحمن بن معاوية حُذَيْجَ لَمَر بن أَبَيْعَ السَّكَنِيّ :  
ما فعلت حَبْلَى ؟ على وجه الاستهزاء ، فقال : أما إن لها في أَمْك سَهْمَيْنِ .  
قال : وكان للنعم أيضا فرس يقال له أَبْلَقَ نَعْم ؛ وكان الجون لَعْبَهُ بن  
كَلِيب الحضرمي .

وكان عبد العزيز بن مروان قد طلب الخَطَّارَ من ليبيد بن عُبَيْة ، فامتنع عليه ،  
فأغزاه إفريقية ، فأت بها ، فلما كان موسى بن نصير أَهْدَى إلى عبد العزيز بن مروان  
خيلا فيها الخَطَّار . قال ، وقد طالعت معرفته وذَنَبه ؛ فلما صارت إليهم الخيل لم  
يجدوا مَنْ يعرف الخَطَّار ؛ فقالوا : ابنة ليبيد ؛ فبعث به عبد العزيز إليها ؛ فقالت  
لن أتاها ، إني امرأة ، فاخرجوا عني حتى أنظر إليه ؛ ففعلوا ؛ فخرجت ، فنظرت  
إليه ، فعرفته ، فقالت : والله لا يركبك [ أحد ] بعد أبي سَويّا . ثم قطعت أذني  
الفرس وهَلَبَتْ <sup>(١)</sup> ذنبه ، ثم قالت : هو هذا ، خذوه ، لا يارك الله لكم فيه .

فصار لعبد العزيز بن مروان ، فأخذه للفيلة ، فكان منه الذَّائِدُ ، ثم كان  
من الذَّائِدِ القَرْقَدُ ، فهو أبو الخيل القَرْقَدِيَّةُ ؛ ولم يَمُرَّ القَرْقَدُ في شيء من خيل  
مصر إلا جاء سابقا .

وكان أهل مصر لما بلغ مروان بن الحكم القاصِرةَ وجَّهوا إليه عُبَيْة بن شريح  
ابن كَلِيب الماعزِيّ ، ومُعَاوِيَة بن يزيد التَّجِيبِيّ طليعة لهم ، ومُعَاوِيَة يومئذ على  
الخطَّار ، فرس لبيد بن عُبَيْة السَّوِّمِيّ ، فدخلوا في عسكر مروان وجَّوْلا .

(١) أي نفضت شعر الذيل .

ثم إن شيخنا من أهل العسكر نذر بهما واستنكر هيئتهما ، فقال : والله إنى لأنكر سحنة هذين القرسين ، وما أرى على صاحبيهما شحوب السفر ، فسكرنا وأجعين إلى الفسطاط ، فرأى بناقة صرصرانية<sup>(١)</sup> في ناحية العسكر لبشر بن مروان فطارداها ، فلما لحقتهما الخليل قال مطير لعقبة : اطردها بناقة وأنا أكفيك . وكره مطير فقاتلهم حتى ولوا عنه ، ثم لحق صاحبه ، ثم لحقته الخليل أيضاً ، ففعل مثل ذلك حتى وصل إلى الفسطاط ، فسألوهما عن الخبر ، فقالا : حتى تنحروا لناقة وتأكلا لحما ؛ وهى أول غنيمة ، فنحرت لناقة وأكل لحما ، ثم أخبرهم الخبر ، وأنهم أقوى من الرجل .

ثم كتب عمر بن الخطاب كما حدثنا شعيب بن الليث وعبد الله بن صالح ويحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الملك بن مسلمة عن الليث بن سعد عن يزيد ابن أبي حبيب إلى عمرو بن العاص : أنظر من قبلك بمن بايع تحت الشجرة فأنتم لهم العطاء مائتين ، وأنتما لنفسك لإثرتك ، وأنتما لخارجة بن حذافة لشجاعته ، ولعثمان بن أبي العاص لضيفته .

### ذكر

#### مفاسمة عمر بن الخطاب العمال

قال : ثم بعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ، كما حدثنا معاوية بن صالح عن محمد بن سماعة الرَّمْلَى قال : حدثني عبد الله بن عبد العزيز شيخ ثقة ، إلى عمرو بن العاص ، وكتب إليه :

« أما بعد ، فإنكم معشر العمال قعدتم على عُيُون الأموال ، فَجَبَّيْتُمُ الحرام ، وأكلتم الحرام ، وأورثتم الحرام ؛ وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري ليقاسمك مالك ، فأحضروه مالك ، والسلام . »

(١) الناقة الصرصرانية من نوع لبل خراسان .

فلما قدم محمد بن مسleme مصر أهدى له عمرو بن العاص هدية ، فردّها عليه ، فنضب عمرو وقال : يا محمد ، لم رددت إلى هديتي ؟ وقد أهديتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسقدي من غزوة السلاسل<sup>(١)</sup> ، فقبل .

فقال له محمد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بالوحي ما شاء ، وينزع مما شاء ، ولو كانت هدية الأخ إلى أخيه قبلتها ، ولسكنها هدية إمام ، شرّ خلفها .

فقال عمرو : قبح الله يوماً صرتُ فيه لعمر بن الخطاب والياً ، فلقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزّزر بالذهب ، وإن الخطاب بن ثعلبة ليحمل الخطاب على حمار ممكّة .

فقال له محمد بن مسleme : أبوك وأبوه في النار ، وعمر خير منك ، ولولا اليوم الذي أصبحتَ تَدُمُّ لَأَلْفَيْتَ مُعْتَقَلاً عَزْزاً ، يسرك غزوها<sup>(٢)</sup> ، ويسوءك بكنوها<sup>(٣)</sup> .

فقال عمرو : هي قلّة المُنَصَّب ، وهي عندك بأمانة .

ثم أحضره ماله ، فقاسمه إياه ، ثم رجع .

قال وكان سبب مقاسمة عمر بن الخطاب العُمال ، كما حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، وعبد الملك بن مسleme عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، أن خالد بن الصمق<sup>(٤)</sup> قال شعرا كتب به إلى عمر بن الخطاب .

(١) غزوة غزاها عمرو بسريته سنة ثمان ، وكان وراء وادي القري ، وهي مكة والطائف .

(٢) انزور : لادرار اللبن بكثرة ، وبكأت الشاة تبتكأ قلّ لبنها أو اعظم .

(٣) ورد في هامش من نسخة قوله : ذكر ابن الكلبي وغيره أن الذي يقول لعالم

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أبلغ أمير المؤمنين رسالة الأبيات ، هو أبو المختار

قيس بن يزيد بن قيس بن يزيد بن عمرو بن خويلد الصقي الشاعر .

أَبْلِغْ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ  
فَلَا تَدْعُنْ أَهْلَ الرِّسَالَتَيْنِ وَالْجَزَى  
فَأَرْسِلْ إِلَى الثُّمَانِ فاعْلَمْ حِسَابَهُ  
وَلَا تَدْعُ النَّافِقِينَ كَلِمَةً  
وَلَا تَدْعُوْنِي لِلشَّهَادَةِ إِنِّي  
مِنَ الْخَلِيلِ كَالْغَزَلَانِ وَالْبَيْضِ كَالدُّمَى  
مِنْ رِبْطَةٍ مَطْوِيَةٍ فِي صِيَّانِهَا  
إِذَا التَّلَجُّرُ الْهِنْدِيُّ جَاءَ بِقَارَةٍ  
نَبِيعُ إِذَا بَاعُوا وَتَغَرُّوا إِذَا غَرَوْا  
فَقَاتِلْهُمْ - نَفْسِي فِدَاؤُكَ - إِنَّهُمْ  
فَقَاتِلْهُمْ عَمْرٍاءُ أَمُومًا .

والتعمانُ التعمانُ بنُ بشير ، وكان على حِصص<sup>(٣)</sup>؛ وصهرُ بن غزوان أبو هريرة،  
كان على البحرين<sup>(٤)</sup>

قال : ويقال إن قاتل هذه الأبيات كما حدثنا معاوية بن صالح عن يحيى بن  
معين عن وهب بن جرير عن أبيه عن الزبير بن العرين أبو المختار التميمي قال :  
أَبْلِغْ أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةَ  
فَأَرْسِلْ إِلَى الثُّمَانِ فاعْلَمْ حِسَابَهُ  
وَلَا تَدْعُ النَّافِقِينَ كَلِمَةً  
وَمَا عَاصِمٌ مِنْهَا بِصَفَرٍ عِيَابُهُ  
نَبِيعُ إِذَا بَاعُوا وَتَغَرُّوا إِذَا غَرَوْا

(١) القرام : هو ثوب من الصوف اللون ، صفيق يتخذ سترًا ، وقيل هو الستر الرقيق  
وراء الستر النايظ .

(٢) الربطة : هي اللادة إذا كانت واحدة ، وقال الأزهري : لا تكون الربطة إلا بيضاء .

(٣) حصص : مدينة مشهورة بالأقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة .

(٤) البحرين : إمارة على الخليج العربي .



تَرَى الْجُرُودَ كَالْبُرْزَانِ وَالْبَيْضَ كَاللَّحْيِ وَمَالًا يُعَدُّ مِنْ قِرَامٍ وَمِنْ سِتْرِ  
وَمِنْ رَيْطِيَّةٍ مَطْوِيَةٍ فِي صَوَانِهَا وَمِنْ طَيِّئٍ أَسْتَارٍ مُحْدَرَجَةٍ حُمْرٍ  
إِذَا التَّاجِرُ الْهِنْدِيُّ جَاءَ بِقَارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ رَاحَتَهُ فِي مَقَارِقِهِمْ تَجْرِي  
فَدُونَكَ مَالُ اللَّهِ لَا تَتَرُكُّهُ سَيَرَضُونَ إِنْ قَاسَمْتَهُمْ مِنْكَ بِالْشَطْرِ  
وَلَا تَدْعُوَنِي لِلشَّهَادَةِ إِنِّي أَغَيْبٌ وَلَيْكِنِّي أَرَى عَجَبَ الدَّهْرِ  
قال عمر : فإننا قد أعفيناك من الشهادة ، ونأخذ منهم نصف أموالهم ، فأخذ  
النصف ، وكان عمر قد استعمل هؤلاء الرهط .

حدثنا عبد الملك بن مسleme حدثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبيه ، أن  
جده أوصى أن يدفع إلى عمر بن الخطاب نصف ماله ، وكان عمر استعمله على  
بعض أعماله .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا سليمان بن أبي سليمان عن محمد بن سيرين  
قال : قال أبو هريرة : لما قدمت من البحرين قال لي عمر : يا عدو الله وعدو  
الإسلام ، خنت مال الله ؟

قال : قلت ، لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ، ولكن عدو من عاداهما ،  
ولم أخن مال الله ، ولكنها أمان خيل لي تناجحت ، وسهام اجتمعت .  
قال : يا عدو الله وعدو الإسلام ، خنت مال الله ؟

قال : قلت ، لست بعدو الله ولا عدو الإسلام ، ولكن عدو من عاداهما ،  
ولم أخن مال الله ، ولكنها أمان خيل لي تناجحت وسهام اجتمعت <sup>(١)</sup> .  
قال ذلك ثلاث مرات ، يقول ذلك عمر ، ويرد عليه أبو هريرة هذا القول .  
قال : ففرغ مني اثني عشر ألفاً ؛ فقممت في صلاة الغداء ، فقلت : اللهم أغفر

لأمير المؤمنين .

فأرادني على العمل بعد ، فقلت : لا .

(١) في نسخة ٥ : واجتمعت ، فأعاد القول الأول ثلاث مرات ، وأقول له كالجواب  
الأول ، فلما عين الجدة والانصراف قال ففرغ مني .... الخ .

قال : أَوَلَيْسَ يوسف خيرا منك ، وقد سأل العمل ؟  
قلت : إن يوسف نبي ابن نبي ، وأنا ابن أُمَيَّة ، وأنا أخاف ثلاثة واثنتين .  
قال : ألا تقول خسا ؟

قلت : لا

قال : مه

قلت : أخاف ، أن أقول بغير حلم ، وأقضى بغير علم ، وأن يضرب ظهري ،  
ويشتم عرسي ، ويؤخذ مالي .

#### ذكر

##### النيل

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن واهب بن عبد الله المعافري  
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : نيل مصر سيد الأنهار ، سخر الله له  
كل نهر بين للشرق والغرب ، فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن  
يمدّه ، فأمدته الأنهار بمائها ، ونجر الله له الأرض عيونا ، فإذا انتهت جريته إلى  
ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عُصْرِهِ<sup>(١)</sup> .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية  
ابن أبي سفيان سأل كعب الأحبار ، هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خيرا ؟  
قال : أى ، والذي فلق البحر لموسى ، إني لأجده في كتاب الله ، أن الله  
يوحى إليه في كل عام مرتين ، يوحى إليه عند جريه ، إن الله يأمرك أن تجرى ،  
فيجرى ما كتب الله له ؛ ثم يوحى إليه بعد ذلك ، بأنيل عُدَّ حميدا .

حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن  
عن حنص بن عاصم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : النيل

---

(١) هذه الرواية وما بعدها روايات غير صحيحة في منها وأسانيدها .

وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول ، أربعة أنهار من الجنة ، وضعها الله في الدنيا ، فالنيل نهر العسل في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة .

حدثنا سعيد بن أبي مرزوق ، حدثنا الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قالا ، . حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي جنادة السكناي أنه سمع كعبا يقول : النيل في الآخرة عسل أغزر ما يكون من الأنهار التي سماها الله ، ودجلة في الآخرة لبن أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله ، والفرات خمر أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله ، وجيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله . قال : فلما فتح عمرو بن العاص مصر — كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن من حدثه ، أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حيث دخل بؤونة<sup>(١)</sup> من أشهر العجم فقالوا له :

— أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سنة لا يمرى إلا بها .

فقال لهم : وما ذلك ؟

قالوا : إنه إذا كان لنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر<sup>٢</sup> بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليهما الحلى والنياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا بؤونة وأيب<sup>(٢)</sup> ومسرى<sup>(٣)</sup> لا يمرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاد .

(١) الشهر العاشر من السنة القبطية .

(٢) الشهر الحادي عشر من السنة القبطية .

(٣) الشهر الأخير من السنة القبطية .

فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر :  
قد أضبت ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة ، فألقها في  
داخل النيل إذا أتاك كتابي .

فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله عمر أمير  
المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر ،  
وإن كان الله الواحد القهار الذي يحريك فنسأل الله الواحد القهار أن يحريك .

فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم ، وقد سبها أهل مصر للجلاء  
والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلى النيل ، فأصبحوا يوم الصليب  
وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة ، وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر .  
حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب أنه موسى  
عليه السلام دعا على آل فرعون ، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ،  
حتى طلبوا إلى موسى أن يدعو الله ، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا ، فأصبحوا وقد  
أجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعا ، فاستجاب الله بتطوُّله لعمر بن الخطاب  
كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام <sup>(١)</sup> .

ذكر

الحجيرة

قال : وكان عمرو يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس ما كان  
يحتاج إليه ، وكانت فريضة مصر ، كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لميعة عن يزيد  
ابن أبي حبيب عن خلف بن خليفة ، وإقامة جسورها ، وبناء قناطرها ، وقطع جزائها ،  
مائة ألف وعشرين ألفا ، معهم الشطور والمساحي ، والأداة ، يعتقون ذلك ،  
لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا .

(١) روايات غير مقبولة في النقل ، ولا في المنطق .

ثم كتب عمر بن الخطاب، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن القاسم بن عبد الله عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، أن يجتم في رقاب أهل الذمة بالرماس ويظهروا مناطقهم، ويميزوا نواصبيهم، ويركبوا على الأكتف عرساً<sup>(١)</sup>، ولا يضر بوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسى<sup>(٢)</sup>، ولا يضر بوا على النساء ولا على الولدان<sup>(٣)</sup>، ولا يدعوم ينشبهون بالمسلمين في لبوسهم.

حدثنا شعيب بن الليث، حدثنا أبي عن محمد بن عبد الرحمن بن غنج<sup>(٤)</sup> أن نافعا حدثهم، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا ابن وهب، حدثني عبد الله ابن عمر، وعمر بن محمد، أن نافعا حدثهم عن أسلم مولى عمر، أنه حدثه، أن عمر كتب إلى أمراء الأجناد ألا يضر بوا الجزية إلا على من جرت عليه المواسى؛ وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق منهم، وأربعة دنانير على أهل الذهب، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت، مديان<sup>(٥)</sup> من حنطة، وثلاثة أقساط<sup>(٦)</sup> من زيت في كل شهر، لكل إنسان من أهل الشام والجزيرة، وودك<sup>(٧)</sup> وعسل لا أدرى كم هو.

ومن كان من أهل مصر فأردب كل شهر، لكل إنسان، لا أدرى كم من الودك والعسل، وعليهم من البز والسكسة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاث ليال<sup>(٨)</sup>.

(١) الأكسب شبه الرجال.

(٢) جهم موسى وهو ما يخلق به، والمراد من بلغز الحلم.

(٣) في نسخة - زيادة: ولا على الرهبان.

(٤) وفي الأصل عتج، والصواب ما ذكر، وهو محدث مقول.

(٥) الذي مكبال لأهل الشام يسع خمسة عشر مكوكا، والمكوك صاع ونصف.

(٦) القسط نصف صاع.

(٧) دسم اللحم.

(٨) في نسخة - زيادة، وكتب إلى أمراء الأجناد بذلك.

وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً، لكل إنسان ، لا أدرى كم لهم من الولد، وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان ، وكان يختم في أعناق أهل الجزية . قال : وكانت وبيسة<sup>(١)</sup> عمر بن الخطاب كما حدثنا عبد الملك عن الليث بن سعد في ولاية عمرو بن العاص ستة أمداد<sup>(٢)</sup> .

حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا سفيان بن عُيينة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب أن عمر قال : جعلت على أهل السواد ضيافة يوم وليلة ، فن حبسه مطر فلينفق من ماله .

قال : وكان عمرو بن العاص لما استوسق له الأمر أقر قبطها على جباية الروم ، وكانت جبايتهم بالتعديل ، إذا عرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم ، وإن قل أهلها وخربت نقصوا ، فيجتمع عرفاء كل قرية وما رؤسها<sup>(٣)</sup> ورؤساء أهلها ، فيتقنظرون في العارة والخراب حتى إذا أقرؤا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى السكور ، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى ، فوزعوا ذلك على أحوال القرى وسعة المزارع . ثم ترجع كل قرية بقسمهم ، فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة فيبيذرون ، فيخرجون من الأرض قدايرين سكننا نسهم وقحاماتهم ومعدياتهم من جملة الأرض ، ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان ؛ فإذا فرغوا نظروا إلى ما في كل قرية من الصناعات والأجراء ، فقسّموا عليهم بقدر أحوالهم ، فإن كانت فيها بحالية قسّموا عليها بقدر أحوالها ، وقل ما كانت تسكون إلا الرجل المقتاب أو المتزوج ، ثم ينظرون ما بق من الخراج ، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع

(١) مكبان .

(٢) جمع مد هو ربه صاع .

(٣) الماروت هو كبير الوجهاء ، وهي كلمة مأخوذة من اللغة السريانية ، والرفاء جمع عريف ، وهو من يتلو على الناس الأدعية .

منهم على قدر طاقتهم ، فإن عجز أحد وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزرعوا ما عجز عنه على الاحتمال ، وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، فإن تشاحوا قسموا ذلك على عِدَّتِهِمْ ، وكانت قسَمَتُهُمْ على قرارِيط الديقار ، أربعة وعشرين قيراطا ، يقسمون الأرض على ذلك .

وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : إنتم ستفتحون أرضا يذكركم فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا .

وجعل عليهم لكل فرد أن نصف إردب قح ، وَوَيْبَتَيْنِ من شعير ، إلا القُرْط<sup>(١)</sup> فلم يكن عليه ضريبة ، والْوَيْبَةُ يومئذ ستة أمداد .

وكان عمر بن الخطاب ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب ، يأخذ من صالحه من المعاهدين ما سَمِيَ على نفسه ، لا يضم من ذلك شيئا ، ولا يزيد عليه ، ومن نزل منهم على الجزية ولم يُسَمَّ شيئا يؤذيه نظر عمر في أمره ، فإذا احتاجوا خَفَّفَ عنهم ، وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم .

قال : وروى حيوة بن شريح ، حدثني الحسن بن ثوبان ، أن هشام بن أبي رُمَيْثَةَ اللخمي حدثه ، أن صاحب إختنا قدم على عمرو بن العاص ، فقال له : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصير لها ؟ فقال عمرو ؛ وهو يشير إلى ركن كنيصة ، لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك ، إنما أنتم خزنة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم ، وإن خفف عنا تخففنا عنكم .  
ومن ذهب إلى الحديث ذهب إلى أن مصير فتحت عنوة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال ،

قال عمر بن عبد العزيز ، أيما ذى أسلم فإن إسلامه يُحرز له نفسه وما له ، وما كان من أرض فإنها من في الله على المسلمين .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز قال : أيما قوم صالحوا على جزية يعطونها ، فن أسلم منهم كان أرضه وداره لبقيتهم .

قال الليث ، وكتب إلى يحيى بن سعيد ، أن ما باع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذى عليهم من عبد أو وليدة أو بعير أو بقرة أو دابة فإن ذلك جائز عليهم لمن ابتاعه منهم غير مردود إليهم إن أسسروا ، وما أكرأوا من أرضهم فحائز كراؤه إلا أن يكون يضر بالجزية التى عليهم ، فلعن الأرض أن ترد عليهم إن أضرت بحزيتهم ، وإن كان فضلا بعد الجزية فإننا نرى كراءها جائزا لمن تكارها منهم .

قال يحيى ، ونحن نقول ، الجزية جزيتان ، الجزية على رموس الرجال ، وجزية جملة تسكون على أهل القرية ، يؤخذ بها أهل القرية ، فن هلك من أهل القرية التى عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رموس الرجال ، فإننا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث أن أرضه ترجع إلى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية ، ومن هلك ممن جزيته على رموس الرجال ولم يدع وارثا فإن أرضه للمسلمين .

قال الليث ، وقال عمر بن عبد العزيز : الجزية على الرموس وليست على الأرضين ، يريد أهل الذمة .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لميعة عن عبد الملك بن جندادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى حيان بن سريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم . قال : وحديث عبد الملك هذا يدل على أن عمر بن عبد العزيز كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة ، وأن الجزية إنما هى على القرى ، فن مات من أهل



القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئاً .

قال . ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح ، فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم ، وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم عما صالحوا عليه شيئاً ، والله أعلم

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن وهب عن محمد بن عمرو عن ابن جُريج أن رجلاً أسلم على عهد عمر بن الخطاب ، فقال : ضعوا الجزية عن أرضي . فقال عمر : لا ، إن أرضك فتحت عنوة .

قال عبد الملك ، وقال مالك بن أنس : ما باع أهل الصلح من أرضهم فهو جائز لهم ، وما فتح عنوة فإن ذلك لا يشتري منهم أحد ولا يجوز لهم بيع شيء مما تحت أيديهم من الأرض ، لأن أهل الصلح من أسلم منهم كان أحق بأرضه وماله ؛ وأما أهل العنوة الذين أخذوا عنوةً فن أسلم منهم أحرز لإسلامه نفسه ، وأرضه للمسلمين ، لأن أهل العنوة غلبوا على بلادهم ، وصارت فينا للمسلمين ، ولأن أهل الصلح إنما هم قوم امتنعوا ومنعوا بلادهم حتى صالحوا عليها . وليس عليهم إلا ما صالحوا عليه ، ولا أرى أن يُزَادَ عليهم ولا يؤخذ منهم إلا ما فرض عمر ابن الخطاب ، لأن عمر خطب الناس ، فقال : قد فرضت لكم الفرائض ، وسُنَّتْ لكم السُّنَنَ ، وتَرَكْتُكم على الواضحة .

قال : وأما جزية الأرض فلا علم لي ولا أدري كيف صنع فيها عمر ، غير أنه قد أقرَّ الأرض ، فلم يقسمها بين الناس الذين افتتحوها ، فلو نزل هذا بأحد كنت أرى أن يسأل أهل البلاد ، أهل المعرفة منهم والأمانة ، كيف كان الأمر في ذلك ؟ فإن وجد من ذلك علماً يشفي وإلا اجتهد في ذلك هو ومن حضره من المسلمين .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عمر بن عبد العزيز وضع

الجزية عن أسلم من أهل الذمة من أهل مصر، وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشاثر من أسلموا على يديه.

قال : وقال غير عبد الملك ، وكانت تؤخذ قبل ذلك عن أسلم .

وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن رزين بن عبد الله المراءى ، الحجاج بن يوسف ، ثم كتب عبد الملك ابن مروان إلى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم أهل الذمة . فكلّمه ابن حُبيرة في ذلك ، فقال : أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سنّ ذلك بمصر ، فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم ، فكيف تضعها على من أسلم منهم ؟ فتركهم عند ذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى حيان بن سريح أن تضع الجزية عن أسلم من أهل الذمة ، فإن الله تبارك وتعالى قال : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وقال : « وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ بِلَايَةِ اللَّهِ ، مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ، وَهُمْ صَاغِرُونَ » .

وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال ، كان لعبد الله بن سعد موالى نصارى فأعتقهم ، فكان عليهم الخراج .

قال الليث : أدركنا بعضهم ، وإنهم ليؤدون الخراج .

حدثنا عثمان بن صالح وعبد الله بن صالح قالا ، حدثنا الليث بن سعد قال : لما ولي ابن رفاعة مصر خرج ليخصى عدّة أهلها ، وينظر في تعديل الخراج عليهم ، فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد ، حتى بلغ أسوان ، ومعه جماعة من الأعوان

«وَالْكِتَابُ، يَكْفُونَهُ ذَلِكَ بِحَدِّ وَتَشْمِيرٍ، وَثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ بِأَسْفَلَ الْأَرْضِ، فَأَحْصُوا مِنَ الْقُرَى أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ قَرْيَةٍ، فَلَمْ يُحْصَ فِيهَا، فِي أَصْغَرِ قَرْيَةٍ مِنْهَا، أَقْلٌ مِنْ خَمْسَمِائَةِ جُمُحَةٍ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَفْرَضُ عَلَيْهِمُ الْحِزْبَةُ.

ذَكَرَ

الْمَقْطُومِ

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ : سَأَلَ الْمُقَوْسَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنْ يَبْعَهُ سَفْحَ الْمَقْطُومِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَعَجِبَ عَمْرُو بْنُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : أَعُتِبُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى عَمْرٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ : سَلِّمْ لِمَ أَعْطَاكَ بِهِ ، مَا أَعْطَاكَ ؟ وَهِيَ لَا تَزْرَعُ وَلَا يَسْتَنْبِطُ بِهَا مَاءٌ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا .

فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : إِنَّا لَنَجِدُ صَفْقَتَهَا فِي الْكِتَابِ ، أَنْ فِيهَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ . فَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى عَمْرٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرٌ : إِنَّا لَا نَعْلَمُ غِرَاسَ الْجَنَّةِ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَأَقْبِرْ فِيهَا مَنْ مَاتَ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَبْنِ بِشَيْءٍ .

فَبَكَى أَوَّلَ مَنْ دَفِنَ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الْمَافِرِ ، يُقَالُ لَهُ ، عَامِرٌ ؛ فَقِيلَ : عُمِرْتَ . فَقَالَ الْمُقَوْسُ لِعَمْرُو ، كَا حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عُمَارَةَ بْنِ عَيْسَى ، قَالَ : مَا ذَلِكَ وَلَا عَلَى هَذَا عَاهَدْتَنَا ؛ فَقَطَعَ لَهُمُ الْحَدَّ الَّذِي بَيْنَ الْقَبْرِ وَبَيْنَهُمْ .

حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ عَنْ ابْنِ لُحَيْمَةَ أَنَّ الْمُقَوْسَ قَالَ لِعَمْرُو : إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا أَنَّ مَا بَيْنَ هَذَا الْجَبَلِ وَحَيْثُ نَزَلَتْ يَنْبُتُ فِيهِ شَجَرُ الْجَنَّةِ . فَكُتِبَ بِقَوْلِهِ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : صَدَقَ ، فَاجْعَلْهَا مَقْبَرَةً لِلْمُسْلِمِينَ .

وَقَالَ غَيْرُ عُمَارَةَ بْنِ عَيْسَى ، فَقَبِرَ فِيهَا مَنْ عُرِفَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَا حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ ابْنِ لُحَيْمَةَ عَنْ حَدِيثِهِ خَمْسَةَ نَفَرٍ ، عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الرُّبَيْدِيِّ ، وَأَبُو بَصْرَةَ الْغَفَارِيُّ ، وَعَقِبَةُ بْنُ عَامِرِ الْجَنْحِيُّ .

وقال غير عثمان : ومسلمة بن مخلد الأنصاري .

قال ابن لهيعة : وللقطعم ما بين القصير إلى مقطع الحجارة ، وما بعد ذلك فمن اليَحْمُوم ؛ وقد اختلف في القصير .

أخبرنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة قال : ليس بقصير موسى النبي عليه السلام ، ولكنه موسى الساحر .

حدثنا سعيد بن عفير وعبد الله بن عبيد قالا ، حدثنا الفضل بن فضالة عن أبيه . قال : دخلنا على كعب الأحبار ، فقال لنا : من أنتم ؟ قلنا : من أهل مصر ، فقال : ما تقولون في القصير ؟ قال ، قلنا ، قصير موسى . قال : ليس بقصير موسى ، ولكنه قصير عزيز مصر ، كان إذا جرى النيل يترقع فيه ؛ وعلى ذلك لمقدس من الجبل إلى البحر .

قال : ويقال ، بل كان موقدا يوقد فيه لفرعون ، إذا هو ركب من منف إلى عين شمس ؛ وكان على المقطم موقد آخر ، فإذا رأوا النار علموا بركوبه ، فأعدوا له ما يريد ، وكذلك إذا ركب منصرفا من عين شمس ، والله أعلم .

حدثنا هاني بن المتوكل عن ابن لهيعة ، ورشدين سعد بن عن الحسن بن ثوبان عن حسين بن شقيق الأصمجي عن أبيه شقيق بن عبيد أنه لما قدم مصر ، وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بمزاء ساقية أبي عون التي عند العسكر ، فقال : ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون ، وتركوا الجبل المقدس ؟

قال الحسن بن ثوبان : فقدّموا مصلاهم إلى موضعه الذي هو به اليوم .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل أن رجلا سأل كعبا عن جبل مصر ، فقال : إنه لمقدس ما بين القصير إلى اليَحْمُوم .

## ذكر

### استيطاء عمرو بن الخطاب عمرو بن العاص في الخراج

قال عبد الرحمن : فلما استيطاء عمرو بن الخطاب الخراج من قبل عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، سلام عليكم ، فإنني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنني فكرت في أمرك والذي أنت عليه ، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها عدداً وجلداً وقوة في بروج ، وإنها قد عالجتها القراعة ، وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوّهم وكفرهم ، فعجبت من ذلك ، وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب ، ولقد أكرّرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج ، وطمّنت أن ذلك سيأتيها على غير تزّر ، ورجوت أن تُفّيق فتُرفع إلى ذلك ، فإذا أنت تأتيني بما رضى تغتالها ، لا تُوافق الذي في نفسي ، ولست قابلاً منك دون الذي كانت تؤخذ به قبل ذلك من الخراج ؛ ولست أدري بعد ذلك ما الذي أنفرك من كتابي وقبضك ، فلتكن كنت مُجْزِئاً كافئاً صحيحاً ، إن البراءة لنافعة ، من أن كنت مُضِيعاً نَاطِقاً<sup>(١)</sup> ، إن الأمر لعلّ غير ما تحدث به نفسك ، وقد تركت أن أبطل ذلك منك في العام الماضي رجاء أنه تُفّيق فتُرفع إلى ذلك .

« وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا عمالك ، عُمال السوء ، ومائتو آس عليه وتَلَفّت ، اتخذوك كهفًا ، وعندى بإذن الله دواء ، فيه شفاء عما أسألك عنه ،

(١) تلف الرجل إذا اتهم بريبة .

فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتُعطاه، فإن التَّهَرَّ (١) يخرج الدرّ،  
والحق أبلج، ودعى وما عنه تَلَجَّج، فإنه قد برح الخفاء . والسلام .  
قال : فسكتب إليه عمرو بن العاص :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص .  
سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد بلغني .  
كتاب أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج ، والذي ذكر فيها من .  
عمل الفرائض قبلي ، وإعجابه من خراجها على أيديهم ، وتقص ذلك منها منذ  
كان الإسلام ، ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر ، والأرض أعمر ، لأنهم كانوا  
على كفرهم وعتوهم أرغب في عارة أرضهم منا منذ كان الإسلام ، وذكرت أن  
التَّهَرَّ يخرج الدرّ ، فخلبتهما حلبا قطع ذلك درهما ، وأكثرت في كتابك وأنذبت .  
وعَرَضْتَ ورثت (٢) ، وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خُبَر ، فحُفَّت  
لعمري بالْمُفْطَحات الْمُفْذِعات ، ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رَصِين .  
صارمٌ بليغ صادق ، وقد عَمِلْنَا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولن بعده فكنا بحمد  
الله مؤدِّين لأمانتنا ، حافِظِينَ لما عَظَّمَ الله من حقِّ أَمَّتِنَا ، نرى غير ذلك قبيحا ،  
والعمل به سيئا ، فيُعَرَف ذلك لنا ويُصدق فيه قِيلُنَا ، معاذ الله من تلك الطُّعَم .  
ومن شرِّ الشَّيْء والإجزاء على كلِّ مَأْتَم ، فاقبض عملاك ، فإن الله قد نَزَّهني عن  
تلك الطُّعَم الدَّنيَّة والرَّغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عِرْضاً ، ولم تُكْرِم  
فيه أخا ، والله يا ابن الخطاب لأنَّا حين يُراد ذلك مني أشد لفنسي غضبا ولما  
إِنْزَاهاً وإِكْرَاماً ، وما علمت من عمل أرى على فيه مَتَمَلِّقاً ، ولسكني حفظُ مالم  
تحفظ ، ولو كنتُ من يهود يثرب مازدت ، يغفر الله لك ولنا، وسكتُ عن أشياء .

(١) تهَرَّ الناقة ضرب ضربتها لدرّ .

(٢) التَّهَرُّب كالتَّأْيِب والتَّيْمِير والاستقصاء في اللوم .

كُتِبَ بِهَا عَلَامًا ، وَكَانَ اللِّسَانُ بِهَا مَنَى ذُلُولًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَظَّمَ مِنْ حَقِّكَ مَا لَا يُجْهَلُ ، وَالسَّلَامُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ أَهْلَانِيهِ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَكْرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي مَرْزُوقٍ الشَّجِيبِيِّ عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ .

« مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ كَثَرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ ، وَكِتَابِكَ إِلَى بُيُوتِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ ، وَلَمْ أَقْدِمُكَ إِلَى مَصْرٍ أَجْعَلُهَا لَكَ طَعْمَةً وَلَا أَقْوَمُكَ ، وَلَكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحَسَنِ سِيَاسَتِكَ ، فَإِذَا أَنْتَا كِتَابِي هَذَا فَاحْلِلْ الْخُرَاجَ ، فَإِنَّمَا هُوَ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعِنْدِي مِنْ قَدْ تَعَلَّمُ ، قَوْمٌ تَحْصُرُونَ ، وَالسَّلَامُ » .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْانِي كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبِطُنِي فِي الْخُرَاجِ ، وَيَزْعِمُ أَنِّي أَعْتَدُ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْكَبُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحِ مَا تَعَلَّمُ ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُذَرِكَ غَلَّتْهُمْ ، فَظَهَرْتُ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَيَصِيرُوا إِلَى بَيْعِ مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ » .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ عَمْرَأَ جَبَاهَا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ ؛ قَالَ غَيْرَ اللَّيْثِ : وَجَبَاهَا الْقَوْسُ قَبْلَهُ بِسِتَّةِ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كُتِبَ إِلَيْهِ بِمَا كُتِبَ بِهِ .

قال الليث : وجباها عبد الله بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف ؛ فقال عثمان لعمر : يا أبا عبد الله ، دَرَّتْ اللُّقْحَةُ<sup>(١)</sup> بأكثر من درهما الأول . قال عمرو : أضرتهم بولدها . وقال غير الليث ، فقال له عمرو : ذلك إن لم يمت التفصيل<sup>(٢)</sup> .

حدثنا هشام بن اسحق العامري قال ، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، أن يسأل المقوقس عن مصر ، من أين تأتي عمارتها وخرابها ؟ فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : تأتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، أن يُسْتَخْرَج خَرَّاجُهَا فِي إِبَّانٍ واحد عند فراغهم أهلها من زُرُوعِهِمْ ، وَيُرْفَعُ خَرَّاجُهَا فِي إِبَّانٍ واحد عند فراغ أهلها من عَصْرِ كُرُومِهِمْ ، وَتُحَقَّرَ مِنْ كُلِّ سَنَةِ خُلُجُهَا ؛ وَتُسَدُّ ثُرُوعُهَا وَجُسُورُهَا ، وَلَا يُقْبَلُ تَحْلُ أَهْلِهَا — يَرِيدُ الْبَيْعَى — فَإِذَا فَعَلَ هَذَا فِيهَا مُحَرِّتٌ ، وَإِنْ مَعِلَّ فِيهَا بِخِلَافِهِ خُرِبَتْ .

قال : وفي كتاب ابن بكير الذي أعطانيه عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما استبطأ عمر بن الخطاب عمرو بن العاص في الخراج كتب إليه ، أن أبعث إلى رجلا من أهل مصر .

فبعث إليه رجلا قديما من القبط ، فاستخبره عمر عن مصر وخراجها قبل الإسلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لا يؤخذ منها شيء إلا بعد عمارتها ، وعاملك لا ينظر إلى العمارة ، وإنما يأخذ ما ظهر له ، كأنه لا يريد لها إلا لعام واحد .

فعرف عمر ما قال ، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به .

---

(١) الملوقة .

(٢) ولد الناقة إذا فصل عن أمه .



## ذكر

### مهي الجند عن الزرع

قال : ثم إن عمر بن الخطاب، فيما حدثنا عبد الملك بن مسleme عن ابن وهب عن حيوة بن شريح عن بسر بن عمرو عن عبد الله بن هبيرة، أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد ، يتقدمون إلى الرعية أن عطاءهم قائم ، وأن رزق عيالهم سائل ، فلا يزرعون ولا يزارعون .

قال ابن وهب : فأخبرني شريك بن عبد الرحمن المراءى قال : بانفنا أن شريك بن سُمَيَّة الطَّيِّفِيّ أتى إلى عمرو بن العاص ، فقال : إنكم لا تعطوننا ما يُحْسِنُنَا ، أفأذن لي بالزرع ؟ فقال له عمرو : ما أقدر على ذلك .

فزرع شريك من غير إذن عمرو ، فلما بلغ ذلك عمر أكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن شريك بن سُمَيَّة الطَّيِّفِيّ حرث بأرض مصر ؛ فكتب له عمر : أن أبعث إلى به .

فلما انتهى كتاب عمر إلى عمرو أقرأه شريكا ، فقال شريك لعمرو : قتلني يا عمرو .

فقال عمرو : ما أنا قتلتك ، أنت صنعت هذا بنفسك .

قال له : إذ كان هذا من رأيك فأذن لي بالخروج إليه من غير كتاب، ولك عهد الله أن أجعل يدي في يده .

فأذن له بالخروج .

فلما وقف على عمر قال : تؤمّني يا أمير المؤمنين ؟

قال : ومن أى الأجناد أنت ؟

قال : أنا من جند مصر .

قال : فلعلك شريك سُمَيّ الغطيفي .

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين .

قال : لأجعلنك نكالا لمن خلفك .

قال : أو تقبل منى ما قبل الله من العباد ؟

قال : وتفضل ؟

قال : نعم .

فكتب إلى عمرو بن العاص ، إن شريك بن سُمَيّ جاءنى تائباً ،

فقبلت منه .

## ذكر

### مفر هليج أمير المؤمنين

حدثنا عبد الله بن صالح أو غيره عن الليث بن سعد ، أن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد فى خلافة عمر بن الخطاب فى سنة الرمادة ، فكتب إلى عمرو بن العاص وهو بمصر .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن العاص سلام ، أما بعد فلعمري يا عمرو ما تُبَالَى إذا شِيعت أنت ومن معك أن أهلك أنا ومن معى ، فياغوثاه ، ثم ياغوثاه » — يردد قوله ثلاثاً — .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« أما بعد ، فيالبئسك ثم يا بئسك ، قد بعثت إليك يعير أولها عندك وآخرها عندى ، والسلام عليك ورحمة الله » .

فبعث إليه بعير عظيمة ، فسكان أولها بالمدينة وأخرها بمصر ، يتبع بعضها بعضاً .

فلما قدمت على عمر وسع بها على الناس ، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيراً بما عليه من الطعام ، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس ، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه من الطعام ، أن يأكلوا وينحروا البعير فيأكلوا لحمه ، ويأندموا شحمه ، ويحتذوا<sup>(١)</sup> جلده . ويتفقوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام لما أرادوا من لحافٍ أو غيره ، فوسع الله بذلك على الناس .

فلما رأى ذلك عمر حمد الله ، وكتب إلى عمرو بن العاص ، يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه ، فقدموا عليه ، فقال عمر :

« يا عمرو ، إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهي كثيرة الخير والطعام ، وقد أتني في رُوعي ، لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر ، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين ، أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل في البحر ، فهو أسهل لما نريد من حل الطعام إلى المدينة ومكة ؛ فإن حمله على الظهر بعيد ، ولا نبليغ منه ما نريد ، فانطلق أنت وأصحابك ، فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم » .

فانطلق عمرو ، فأخبر بذلك من كان معه من أهل مصر ، فقتل ذلك عليهم ، وقالوا : نتخوف أن يدخل في هذا ضرر<sup>(٢)</sup> على مصر ، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين ، ونقول له ، إن هذا أمر لا يعتدل ولا يسكون ، ولا نجد إليه سبيلاً .

فرجع عمرو بذلك إلى عمر .

(٢) في نسخة ه زيادة : عظيم .

(١) يتماونوه .

فضحك عمر حين رآه وقال :

« والذى نفسى بيده ، اسكأنى أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتكم بما أمرت به من حفر الخليج ، فتثقل ذلك عليهم ، وقالوا ، يدخل في هذا ضرر على أهل مصر ، فزى أن تعظم على أمير المؤمنين ، وتقول له ، إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون ، ولا نجد إليه سبيلا .

فمعجب عمرو من قول عمر ، وقال : صدقت والله أمير المؤمنين ، لقد كان الأمر على ما ذكرت .

فقال له عمر : انطلق يا عمرو بعزيمة منى حتى تجدد في ذلك ، ولا يأتى عليك الخول حتى تفرغ منه إن شاء الله .

فانصرف عمرو ، وجمع لذلك من القمعة ما بلغ منه ما أراد .

ثم احتفر الخليج الذى فى حاشية القسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين ، فساقه من النيل إلى القلزم ، فلم يأت الخول حتى جرت فيه السفن ، فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة ، فنفذ الله بذلك أهل الحرمين ، وسمى خليج أمير المؤمنين ، ثم لم يزل يُحمل فيه الطعام حتى كمل فيه بعد عمر بن العزيز ، ثم ضيعة الولاية بعد ذلك ، فترك وغلب عليه الرمل ، فانقطع ، فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية طحاح القلزم .

قال : ويقال إن عمر بن الخطاب قال لعمر بن العاص حين قدم عليه ، كما حدثنا أخى عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن أبي عمير عن محمد بن عبد الرحمن قال - حسبته عن عروة - « يا عمرو ، إن العرب قد تشامت بى ، وكادت أن تهلك على رجلى ، وقد عرفت الذى أصابها ، وليس جند من الأجناد أزعجى عندى أن يفيث الله بهم أهل الحجاز من جندك ، فإن استطاعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله » .

فقال عمرو : ما شئت يا أمير المؤمنين ، قد عرفت أنه كانت تاتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام ، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستدّ ، وتركته التجار ، فإن شئت أن نحفره . فننشىء فيه سفنا ، نحمل فيه الطعام إلى الحجاز فعلته .

فقال له عمر : نعم ، فافعل .

فلما خرج عمرو من عند عمر بن الخطاب ذكر ذلك لرؤساء أهل أرضه من قبط مصر ، فقالوا له : ماذا جئت به ؟ أأصلح الله الأمير ، تنطلق فنخرج طعام أرضك وخصبها إلى الحجاز ، ونحرب هذه ؟ فإن استطعت فاستنقل ذلك .

فلما ودّع عمر بن الخطاب قال له يا عمرو :

انظر إلى ذلك الخليج فلا تنسَين حفره .

فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنه قد اندثرت في نفقات عظام .

فقال له عمر : أما والذي نفسى بيده ، إني لأظنك حين خرجت من عندي حدثت بذلك أهل أرضك ، فمظّموه عليك ، وكرهوا ذلك ، أغزِم عليك إلا ما حفرته وجعلت فيه سفنا .

فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، إنه متى ما يجد أهل الحجاز طعام مصر وخصبها مع صحة الحجاز لا يخفّوا إلى الجهاد .

قال : فإني سأجعل من ذلك أمراً ، لا يحمل في هذا البحر إلا رزق أهل المدينة وأهل مكة .

فحفره عمرو ، وعالجه ، وجعل فيه السفن .

قال : ويقال ، إن عمر بن الخطاب ، كما ذكر عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه ، كتب إلى عمرو بن العاص :

« إلى العاص بن العاص ، فإنك لعمري لا تبالي إذا سمعت أنت ومن معك أن  
أَعَجَبْتُ أنا ومن قِبَلِي ، فيا غوثاه ، ثم يا غوثاه » .

فكتب إليه عمرو بن العاص : أما بعد ، فيا لتيك ثم يا لتيك ، أنتك غير ،  
أولها عندك وآخرها عندي ، مع أني أرجو أن أجد السبيل إلى أن أحل إليك  
في البحر .

ثم إن عمرا ندم على كتابه في الحل إلى المدينة في البحر ، وقال : إن أمكنت  
عمر من هذا خرب مصر ، ونقلها إلى المدينة ، فكتب إليه ، إنني نظرت في أمر  
البحر فإذا هو عسير لا يُلتأم ولا يُستطاع .

فكتب إليه عمر : إلى العاص بن العاص ، فقد بانفي كتابك ، تعتل  
في الذي كنت كتبت إلى به من أمر البحر ، وأأيم الله لنفعلنَّ ، أو لأفعلنك  
بأذُنك ، أو لأبعثن من يفعل ذلك .

فعرف عمرو أن الجِدَّ من عمر بن الخطاب ، ففعل .

فبعث إليه عمر : ألا تدع بمصر شيئاً من طعامها وكسوتها وبقليها وعَدَمها  
وخَلَّها إلا بعثت إليها منه .

قال : ويقال ، إنما دلَّ عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبض مصر .  
حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح  
عن أبيه ، أن رجلاً أتى إلى عمرو بن العاص ، من قبض مصر ، فقال : أرايت إن  
دللنك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهي إلى مكة والمدينة أتضع عن الجزية ،  
وعن أهل يدي ؟

قال : نعم .

فكتب إلى عمر ، فكتب إليه ، أن افعل .

فلما قدمت السفن الحجاز خرج عمر حاجاً أو مُعْتَمِراً ، فقال للناس : سيروا  
 ننظر\* إلى السفن التي سيّرها الله إلينا من أرض فرعون حتى أتتنا .  
 فقال رجل من بني ضَمْرَةَ ، فَأَقْرَدَنِي السَّيْرُ مَعَهُ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ ، فَأَوَانَا اللَّيْلَ  
 إِلَى خِيَمَةِ أَغْرَابٍ ، فَإِذَا بِبُرْمَةٍ تَقْطِي عَلَى النَّارِ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ مِنْ طَعَامٍ ؟  
 قَالَ : لَا إِلَّا لَحْمٌ ظَلِي ، أَصْبَنَاهُ بِالْأَمْسِ .  
 فَقَرَّبُوهُ ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ مُتَحَرِّمٌ .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن سعد عن زيد  
 ابن أسلم عن عمرو بن سعد الجارري ، أن عمر أتى الجار<sup>(١)</sup> ، ثم دعا بمنديل ، ثم  
 قَالَ ، اغْتَسَلُوا مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ ، فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ .

قال غير أسد ، فلما قدمت السفن الجار ، وفيها الطعام صلت عمر للناس  
 بذلك الطعام صُكُوكًا ، فتبايع التجار الصكوك بينهم قيل أن يقبضوها .  
 قال : فحدثني أبي عبد الله بن الحكم أخبرنا ابن لهيعة عن أبي الأسود عن  
 عروة بن الزبير قال : لقي عمر بن الخطاب العلاء بن الأسود فقال : كم ربح حكيم  
 ابن حزام ؟

فقال : ابتاع من صكوك الجار بمائة ألف درهم ، وربح عليها مائة ألف .  
 فلقبه عمر بن الخطاب فقال : يا حكيم ، كم ربحت ؟  
 فأخبره بمثل خبر العلاء .

فقال عمر : فبعته قبل أن تقبضه ؟  
 قال : نعم .

قال عمر : فإن هذا يبيع لا يصلح ، فأردده  
 فقال حكيم : ما علمت أن هذا لا يصلح ، وما أقدر على ردّه .

---

(١) بلد على البحر بينه وبين المدينة يوم وليلة ، منه عبد الله بن سويد الصحابي ، ولعله  
 مكان « ينبع » الحالية .

فقال عمر : ما بُدّ .

فقال حكيم : والله ما أقدر على ذلك ، وقد تفرق وذهب ، ولسكن رأس  
مالى وربحى صدقة .

حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا مالك بن أنس عن نافع ، أن حكيم  
ابن حزام ابتاع طعاما أمر به عمر للناس ، فباع حكيم الطعام قبل أن يستوفيه ،  
فسمع بذلك عمر ، فردّه عليه ، وقال : لا تبع طعاما ابتعته حتى تستوفيه ،

قال مالك : وبلغنى أن صكوكا خرجت للناس فى زمان مروان بن الحكم  
من طعام الجار ، فتبايع الناس تلك الصلوك بينهم قبل أن يستوفوها .

فدخل زيد بن ثابت ورجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى  
مروان ، فقالا له : أئحل بيع الربا يامروان ؟ فقال : أعوذ بالله ، وما ذاك ؟ . قالا :  
هذه الصكوك يتبايعها الناس ، ثم يبيعونها قبل أن يستوفوها .

فبعث مروان الحرس يتبعونها ، فيقرعونها من أيدي الناس ، ويردونها إلى أهلها .  
وحدثنا أسد بن موسى ، حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا سعيد الجري عن أبى  
نضرة عن أبى فراس ، أن عمر بن الخطاب خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم  
قال : أيها الناس ، إنه قد أتى على زمان وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به  
الله وما عنده ، وقد خيل إلى بآخره أنه قد قرأه أقوام يريدون به الدنيا ، ويريدون  
به الناس ، ألا فأريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقرائتكم ، ألا إنما كنا نعرفكم إذ  
ينزل الوحي ، وإذا رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وإذا نبئنا الله من أخباركم ، فقد  
انقطع الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإما نعرفكم بما نقول لكم الآن ،  
من رأينا منه خيرا ظفنا به خيرا ، وأحبناؤه عليه ، ومن رأينا منه شرا ظفنا به شرا  
وأبغضناؤه عليه ، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم ، ألا إني إنما أبعث على ليعلموكم



دينكم ويعلوكم سننكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ولا يأخذوا أموالكم ، ألا فن أنى إليه شيء من ذلك فليرفعه إلى ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصته منه .

فقام عمرو بن العاص ، فقال : أرايت يا أمير المؤمنين ، إن عتب عامل من عمالك على بعض رعيته فأدب رجلا من رعيته ، إنك لمقصه منه ؟

قال : نعم ، والذي نفس عمر بيده لأقصته منه ، ألا أقصه وقد رأيت وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين ، فتذلّوهم ، ولا تمنعهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تحمّروا بهم فتقتلّوهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيّعوهم .

فأتى رجل من أهل مصر ، كما حدثنا أبي عبدة عن ثابت البناني وحيد عن أنس ، إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين ، عائد بك من الظلم . قال عذت معاذاً .

قال : سأقت ابن عمرو بن العاص ، فسبقته ، فجعل يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين .

فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالتقدم عليه ، ويقدم بابه معه .  
فقدم .

فقال عمر : أبن المصرى ؟ خذ السوط ، فاضرب .  
فجعل يضربه بالسوط ، ويقول عمر : اضرب ابن الألامين .  
قال أنس : فاضرب ، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه ، فما أقبل عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه .

ثم قال عمر للمصرى : ضع على ضلعة عمرو .  
فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما ابنه الذى ضربني ، وقد اشتفيت منه .

فقال عمر لعمر : مُدَّكُمْ تَعْبُدْتُمُ النَّاسَ . وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

قال : يا أمير المؤمنين ، لم أعلم ولم يأتني .

حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر أن صَبِيحًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ ، فَبَعَثَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .

فلما أتاه الرسول بالكتاب ، فقرأه قال : أين الرجل ؟

قال : فِي الرَّحْلِ .

فقال عمر : أَبْصُرْ أَنْ يَكُونَ ذَهَبَ فَتَصِيبُكَ مَنَى الْعُقُوبَةِ الْمَوْجِعَةِ .

فأتاه به .

فقال له عمر : عَمَّ تَسْأَلُ ؟

فخَذَّه .

فأرسل عمر إلى رَطَائِبِ<sup>(١)</sup> الْجَرِيدِ ، فَضْرِبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرُهُ دُبْرَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ ، فَقَالَ صَبِيحٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتُ تَرِيدُ قَتْلِي فَأَقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ أَنْ تَدَاوِيَنِي فَقَدْ وَاللَّهِ بَرَأْتُ .

فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ، ألا يجالسه أحد من المسلمين .

فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر ، إنه قد حسنت هيئته .

فكتب عمر : أَنْ أَتِذِّنَ لِلنَّاسِ فِي مَجَالَسَتِهِ .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا محمد بن خازم عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،

(١) الرطائب : الجريد غير الجاف .

يسأله عن رجل أسلم ثم كفر ثم أسلم، حتى فعل ذلك مراراً، أيقبل منه الإسلام؟ فسكتب إليه عمر: أن أقبل منه، اعرض عليه الإسلام، فإن قبل فأنكره، وإلا فاضرب عنقه.

حدثنا أسد بن موسى، حدثنا محمد بن خازم عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فسأله عن عبْدٍ وجَدَ جُرَّةً من ذهب مدفونة.

فسكتب إليه عمر: أن ارضخ<sup>(١)</sup> له منها بشيء؛ فإنه أحرى أن يؤدوا عما وجدوا.

## ذ ك ر

### فتح القيوم<sup>(٢)</sup>

حدثنا عبد الرحمن قال: حدثنا سعيد بن عفير وغيره قالوا: فلما تم فتح المسلمين [مصر] بعث عمرو جرائد الخيل إلى القرى التي حولها، فأقامت القيوم سنة لم يعلم للمسلمون بمكانها، حتى أتاهم رجل، فذكرها لهم، فأرسل عمرو معه ربيعة بن حُبَيْش بن عُرْقُطَةَ الصَّدَقِ.

(١) الرضخ: العاطية القليلة.

(٢) يروى للزُّرَّخُونِ الْفَرِيبِيِّ أَنَّ فَتْحَ الْقِيُومِ كَانَ بَعْدَ اسْتِیْلَاءِ الْعَرَبِ عَلَى أَمِّ دِينَ، وَأَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ حِينَئِذٍ أَبْطَأَتْ عَنْهُ الْأُمْدَادُ وَلَمْ يَسْتَطِعْ فَتْحَ حَصْنِ بَابِلْيُونِ سَارِ مِنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنْدِ بَعْدَ أَنْ عَبَرُوا النَّيْلَ سَالِمِينَ حَتَّى بَلَغُوا مَمْفِيسَ، تِلْكَ الْمَدِينَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي كَانَ أَمْرُهَا قَدْ اضْطَجَلَ مِنْذُ بِنَاءِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ، ثُمَّ سَارُوا نَحْوَ الْقِيُومِ، وَقَدْ كَانَ يَقُومُ بِالْبَدَافِعِ عَنْهَا فَاتَّكَتَبَتْهُ الْحَفَرُ فِيهَا، فَعَدَلَ جَيْشُ الْعَرَبِ إِلَى جَانِبِ الصَّحْرَاءِ حَتَّى بَلَغُوا مَدِينَةَ الْبَهْثَا فَفَتَحُوهَا عَنُوةً، ثُمَّ سَمِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ قُوَّةً مِنَ كَتِيبَةِ الْقِيُومِ تُسِيرُ وَرَاءَهُ تَرَاثِيهِ فِي قَلَّةٍ مِنَ الْفَرَسَانِ، فَبَعْدَ عَنْهُمْ عَمْرُو ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِمْ مِبَاغِتاً، فَحَاصَرَهُمْ وَقَتْلَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، ثُمَّ عَادَ رَاجِعاً إِلَى مَهَاجَةِ حَصْنِ بَابِلْيُونِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ بِحُجَى أُمْدَادُ الْعَرَبِ، وَقَدْ حَقَّقَ فَوْزاً كَثِيراً وَلَئِنْ لَمْ يَتِمَّ لَهُ الْاسْتِیْلَاءُ عَلَى الْقِيُومِ.

فلما سلكوا في الجبابرة لم يروا شيئاً ، فهتوا بالانصراف ، فقال : لا تعجلوا ،  
سيروا ، فإن كان كذب فما أقدركم على ما أردتم ، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى طلع  
سواد القيوم ، فهجموا عليها ، فلم يكن عندهم قتال ، وألقوا بأيديهم .

قال : ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدقي ، وهو صاحب الأشقر على  
فرسه ينفذ الجبابرة ، ولا علم له بما خلفها من القيوم ، فلما رأى سوادها رجع إلى  
عمرو فأخبره ذلك .

قال : ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد ، فسار  
حتى أتى القيس<sup>(١)</sup> ، فنزل بها ، وبه سميت القيس ، فرأى<sup>(٢)</sup> على عمرو خبره .  
فقال ربيعة بن حبيش : كُفيت .

فركب فرسه ، فأجاز عليه البحر - وكانت أنثى - فأتاه بالخبر .

ويقال إنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى الفيوم ، وكان يقال لفرسه  
الأصمى ، والله أعلم<sup>(٣)</sup> .

قال عبد الرحمن : وبعث عمرو بن العاص نافع بن عبد القيس الفهري .  
وكان نافع أخا العاص بن وائل لأمه ، فدخلت خيولهم أرض التوبة صوائف<sup>(٤)</sup> .  
كصوائف الروم :

فلم يزل الأمر على ذلك حتى عُزل عمرو بن العاص عن مصر ، وأمر عبد الله  
ابن سعد بن أبي سريح ، فصالحهم ، وسأذكر ذلك في موضعه ، إن شاء الله .

(١) القيس : قرية من أعمال مركز بني مزاح على الشاطئ الغربي للبحر .

(٢) الرث : الإبطاء .

(٣) روي هذا في الأصل عنوان « ذكر فتح بركة الثاني » مكتوباً في غير هذه السطور .

و بعده .

(٤) أى في فصل الصيف ، والفرد صائفة ، وهي النزوة في الصيف .

## ذكر

### ففتح برقة

قال : وكان البربر بفلسطين ، وكان ملكهم جالوت ، فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لُوبِيَّةَ وَمَرَقِيَّةَ ، وهما كورتان من كور مصر الغربية ، سما يشرب من السماء ، ولا ينالها النيل ، ففترقوا هنالك ، فتقدمت زِنَاتَةُ وَمَغِيلَةُ إلى الغرب ، وسكنوا الجبال ، وتقدمت لُؤَاتَةُ ، فسكنت أرض أنطابُلُس ، وهي بَرَقَةُ<sup>(١)</sup> ، وتفرقت في هذا المغرب ، وانتشروا فيه حتى بلغوا السُّوس<sup>(٢)</sup> ؛ ونزلت هَوَّارَةُ مدينة لَبْدَةَ ؛ ونزلت نَفُوسَةُ إلى مدينة سَبْرَت<sup>(٣)</sup> . وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك ؛ وأقام الأفارقُ ، وكانوا خدماً للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم .

فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم بَرَقَةَ ، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار ، يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبائهم في جزيتهم . حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : كتب عمرو بن العاص على لُؤَاتَةِ من البربر في شرطه عليهم ، إن عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبنائكم فيما عليكم من الجزية .

---

(١) برقة : منطقة في شرق ليبيا ، ومن مدنها بنغازي ، وكانت قد خربت في حروب بني هلال . وقد جاء في هامش الأصل تعليق بخط الناسخ ، جاء فيه « ذكر الواقدي أنه ملك أنطابلس زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه كياوس بن زَبُول ، وأن صاحب إفريقية في ذلك الوقت إقلاعورس بن كيارس المذكور بركة وأنطابلس .

(٢) السوس : مدينة على البحر الأبيض في تونس ، وقد أسسها الفينيقيون نحو القرن التاسع قبل الميلاد ، واسمها الحالي سوسة .

(٣) سبرت : مدينة في ساحل طرابلس .

حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة أن أنطابلس قُتحت بعهد من عمرو بن العاص .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمي أن ابن دِيَّاس حين ولى أنطابلس أتاه بكتاب عهدهم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عبد الله الحضرمي عن أبي قنَّان أيوب بن أبي العالِية الحضرمي عن أبيه قال : سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول : لأهل أنطابلس عهدٌ يُوفى لهم به .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج ، إنما كانوا يبيعون بالجزية إذا جاء وقتها . ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة ، وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين .

## ذكر

### أطرابلس

قال حدثنا عبد الرحمن : ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : غزا عمرو بن العاص أطرابلس في سنة ثلاث وعشرين .

ثم رجع إلى حديث عثمان ، فنزل القبة التي على الشرف من شرقها ، فحاصرها شهراً ، لا يقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من بني مُذَلِّج ذات يوم من عسكر عمرو متصيِّداً في سبعة نفر ، فوضوا غربي المدينة حتى أمعنوا عن المسكر ، ثم رجعوا فأصابهم الحر ، فأخذوا على صفّة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور

المدينة ، ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور<sup>(١)</sup> ، وكانت سفن الروم شائعة في مرساها إلى بيوتهم .

فغَطَّرَ المَذْلُجَى وأصحابه ، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكتاً إليها من الموضع الذى غاض منه البحر ، فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة ، وكثروا ، فلم يكن للروم مَفْزَعٌ إلا سفنهم ؛ وأبصر عمرو وأصحابه السِّلَّةَ في جوف المدينة ، فأقبل يمحشها حتى دخل عليهم ، فلم تغلت الروم إلا بما خَفَتْ لهم في سراكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة .

وكان من بَسِطَتْ مُتَحَصِّنِينَ ( واسمها نَبَارَة ، وَسَبَّحَتْ السوق القديم ، وإنما نقله إلى نبارة عبدالرحمن بن حبيب سنة إحدى وثلاثين ) فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة أطرابُلس وأنه لم يصنع فيهم شيئاً ولا طاقة له بهم أَمِنُوا .

فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته ، وأمرهم بسرعة السير ، فصَبَّحَتْ خِيَلُهُ مدينة سَبَّحَتْ ، وقد غفلوا ، وقد فتحوا أبوابهم لتُشْرَحَ ماشيتُهم ، فدخلوها ، فلم ينج منهم أحد ، واحتوى [جند] عمرو على ما فيها ، ورجعوا إلى عمرو .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد أنه سمع أبا تميم الجديشاني يقول : غزونا مع عمرو بن العاص غزوة أطرابلس ، فجمعنا المجلس ومعنا فيه هُبَيْبُ بْنُ مَغْفِلٍ ، فذكرنا قضاء دين رمضان ، فقال هُبَيْبُ بْنُ مَغْفِلٍ : لَا يُفَرِّقُ ، وقال عمرو بن العاص ، لَا بَأْسَ أَنْ يُفَرِّقَ إِذَا أَحْصَيْتَ الْعَدَدَ .

---

(١) كذا في الأصل ولعل في البارة تمحيضاً في كلمة سور في هذه الجملة أو في الجملة قبلها .

استئذان عمرو بن العاص عمر بن الخطاب

في غزوة إفريقية

وأراد عمرو أن يوجه إلى المغرب ، فكتب إلى عمر بن الخطاب كما حدثنا  
عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني « إن الله  
قد فتح علينا أطرابلس ، وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير  
المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل » .

فكتب إليه عمر : لا ، إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة ، غادرة ،  
مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل  
عن مرة بن ليث السخري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : إفريقية المفرقة ،  
المفرقة - ثلاث مرات - لا أوجه إليها أحدا ما مالت <sup>(١)</sup> عيني الماء .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن  
ربيع عن مسعود بن الأسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بايع  
تحت الشجرة ، أنه استأذن عمر بن الخطاب في غزو إفريقية ، فقال عمر : لا ، إن  
إفريقية غادرة مغدور بها .

قال : ثم رجع عثمان بن صالح وغيره ، قال : فأتى عمرو بن  
العاص كتاب القوقس يذكر له فيه أن الروم يريدون نكث العهد ، ونقض  
ما كان بينهم وبينه ، وكان عمرو قد عاهد القوقس على ألا يسكتهم أمرا يحدث ؛  
فانصرف عمرو راجعا مبادرا لما أتاؤه .

وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخليل فيصيبون الفئام ثم يرجعون .



## ذكر

### عزل عمرو عن مصر

قال عبد الرحمن : فتوفي عمر رحمة الله عليه وعلى مصر أميران <sup>(١)</sup> ، عمرو بن العاص بأسفل الأرض ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد .  
قال : وكانت وفاة عمر كما حدثنا يحيى بن بكير من الليث بن سعد مصدراً  
الحاج سنة ثلاث وعشرين .

حدثنا سعيد بن عقير قال : إنما كان عمر بن الخطاب ولي عبد الله بن سعد  
من الصعيد القيوم .

فلما استخلف عثمان بن عفان ، كما حدثنا عبد الله بن صالح أو غيره عن الليث ،  
طمع عمرو بن العاص <sup>(٢)</sup> لما رأى من عثمان أن يعزل عبد الله بن سعد عن الصعيد ،  
فوقد إليه ، وكله في ذلك ، فقال له عثمان : ولآء عمر بن الخطاب الصعيد وليس  
بينه وبينه حرمة ولا خاصة ، وقد علمت أنه أخى من الرضاة فكيف أعزله  
عما ولآء غیری ؟ !

وقال له فيما حدثنا سعيد بن عقير : إنك لقي غفلة عما كانت تصنع بي أمه ،  
إن كانت لتتجألى العرق من الاعم في رُدنها حتى آتى .

قال : ثم رجع إلى حديث الليث بن سعد قال : فغضب عمرو ، وقال : است  
راجعاً إلا على ذلك .

فكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد يؤمره على مصر كلها ، فجاءه

---

(١) في الأصل ، ومصر على أميرين .

(٢) في نسخة م زيادة : في مصر .

الكتاب بالقيوم ؛ قال ابن عُفَيْر : بقرية منها تُدعى دُمُوشة<sup>(١)</sup> .

قال الليث في حديثه : فجعل لأهل أطواب<sup>(٢)</sup> جُمُلا على أن يصبحوا به الفسطاط في مركبه ، وكان الذي جعل لهم كما يزعم آل عبد الله بن سعد خمسة دنانير .

قال الليث : قدموا به الفسطاط قبل الصبح ، فأرسل إلى المؤذن ، فأقام الصلاة حين طلع الفجر ، وعبد الله بن عمرو ينتظر للمؤذن يدعو إلى الصلاة لأنه خليفة أبيه ، فاستنكر الإقامة ، فقيل له : صلى عبد الله بن سعد بالناس .

وآل عبد الله يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربي المسجد بين يديه شُمة ، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شُمة ، فالتقت الشمتان عند القبلة .

قال الليث في حديثه ، فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله بن سعد ، فقال له : هذا بغيك ودَسُّك .

فقال عبد الله بن سعد : ما فعلتُ ، وقد كنت أنت وأبوك تحسداني على الصعيد ، فتعال حتى أولئك الصعيد وأولى أباك أسفل الأرض ، ولا أحسدك عليه .

فلبث عبد الله بن سعد عليها أميرا محمودا ، وغزا فيها ثلاث غزوات ، كلهن لها شأن ، إفريقية والأساور ، ويوم ذات الصواري ، وسأذكر ذلك في موضعه إن شاء الله .

(١) دُمُوشة : في نسخة ب تصحيح علي الهامشي : إنا هي شِدْمُوشة ، كذا ذكر أبو الفيدان بن السرحي ، وفي نسخة ٥ : قال أبو القاسم بن فريد قال لي أبو الفيدان بن السرحي إنا هي شِدْمُوشة ، وما كان له بدموشة شيء ، ولنا هذا تصحيح الرواية ، وقد وردت في تحفة الإرشاد باسم دُمُوشية ، وفي التحفة باسم دُمُوشة ، وكانت قبلي مدينة القيوم وشمال دير المرب ، واندثرت ، ومكانها اليوم يعرف باسم تل أبو خوصة بمحوض عبور رقم ٤٤ بأراضي ناحية الحاذقة بمركز القيوم من أعمال محافظة القيوم .

(٢) أطواب : قرية من قرى القيوم ، ولها ذكر في ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر .

قال : وكان عزّل عمرو بن العاص عن مصر كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن  
يكنز عن الليث بن سعد وتولية عبد الله بن سعد في سنة خمس وعشرين .

### ذكر

#### انتفاضة الإسكندرية

قال عبد الرحمن : وقد كانت الاسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن  
الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب انتفضت ، وجاءت الروم ، عليهم منوّل  
انحصى في المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية ، فأجابهم من بها من الروم ، ولم  
يكن المقوقس<sup>(١)</sup> تحرك ولا نكث .

وقد كان عثمان بن عفان عزّل عمرو بن العاص ، وولّى عبد الله بن سعد .  
فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يُقرّ عمرأ حتى  
يفرغ من قتال الروم ، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو . ففعل .

وكان على الاسكندرية سورها ، خلف عمرو بن العاص ، لأن أظهره الله .  
عليهم ليهد من سورها حتى تكون مثل بيت الزانية ، تؤتى من كل مكان .  
فخرج إليها عمرو في البر والبحر<sup>(٢)</sup> .

قال غير الليث : وضوى إلى المقوقس من أطاعه من القبط ، فأما الروم فلم  
يُطعم منهم أحد .

فقال خارجة بن حذافة لعمرو : ناهضهم قبل أن يكثر مددهم ، ولا آمن  
أن تنتفض مصر كلها .

(١) في نسخة ب : للمقوقس .

(٢) المراد القبط .

(٣) لم يكن للعرب أسطول بحري بعد ، وكان أسطول الروم الذي يمت به الإمبراطور  
قسطنز بقيادة منوّل للاستيلاء على الاسكندرية .

فقال عمرو : لا ، ولكن أدعهم حتى يسيروا إلى ، فإنهم يصيبون من مروا به ، فيخزي الله بعضهم ببعض .

فخرجوا من الإسكندرية ، وهم من نقص من أهل القرى ، فجعلوا ينزلون القرية ، فيشربون خورها ، ويأكلون أطعمتها ، ويتنهبون ما مروا به ، فلم يمرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس<sup>(١)</sup> ، فلقوهم في البر والبحر ، فبدأت الروم والقبط ، فرموا بالنشاب [ وهم ] في الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لحيته ، وهو في البر ، فمُتِر ، فنزل عنه عمرو .

ثم خرجوا من البحر ، فاجتمعوا هم والذين في البر ، ففضحوا المسلمين بالنشاب ، فاستأخر المسلمون عنهم شيئا ، وحلوا على المسلمين حملة ولّى المسلمون منها ، وانهزم شريك بن سمى في خيله .

وكانت الروم قد جعلت صفوفًا خلف صفوف ، وبرز يومئذ بطريق من جاء من أرض الروم على فرس له ، عليه سلاح مُدْهَب ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه رجل من زبيد ، يقال له حوَمَل ، يكتى أبا مَذْحِج ، فاقتتلا طويلا برُحْمٍ يتطاردان ، ثم ألقى البطريق الرمح ، وأخذ السيف ، وألقى حوَمَل رمحه ، وأخذ سيفه ، وكان يعرف بالنجدة ، وجعل عمرو يصيح ، أبا مَذْحِج ، فيجيبه ، لبنيك ، والناس على شاطئ النيل في البر على تعيبتهم وصفوقهم ، ففتحوا ولا ساعة بالسيفين ، ثم حمل عليه البطريق ، فاحتمله ، وكان نحيفا ، فاخترط<sup>(٢)</sup> حوَمَل حَنْجَرًا كان في مِطْطَقته — أو في ذراعه — فضرب به نحر العليج أو تر قوته ، فأثبتته ، ووقع عليه ، فأخذ سلكه .

(١) نقيوس : من المدن المصرية القديمة ، وقد زالت وعلمها اليوم الكوم الأخرى للوجود بالجبهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الأهالي هناك باسم كوم مانوس أو دقيانوس ، وما يعرفان من نقيوس التي اخنت اسمها من قديم ، وقد ذكرها على مبارك في المحطت التوفيقية الجزء الثامن صيفة ١٥ .

(٢) سله من غمده .

ثم مات حومل بعد ذلك بأربعة أيام ، رحمة الله عليه .

فروى عمرو يحمل سريره ، بين عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم .

ثم شد المسلمون عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالإسكندرية ، ففتح الله عليهم ، وقتل منوِيل الخَصِي .

حدثنا الهيثم بن زياد أن عمرو بن العاص قتلهم حتى أمعن في مذبتهم ، فكلم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم ، وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجد ، وهو المسجد الذي بالإسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة ؛ وإنما سمي منبجِد الرحمة لرفع عمرو السيف هناك . وهدم سورها كله .

وجمع عمرو ما أصاب منهم ، فحاث أهل تلك القرية بمن لم يكن نقض ، فقالوا : قد كنّا على صلحتنا ، وقد مرّ علينا هؤلاء اللصوص ، فأخذوا متاعنا ودوابنا ، وهو قائم في يديك .

فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البينة .

وقال بعضهم لعمرو : ما حلّ لك ما صنعت بنا ، كان لنا أن نقاتل عنا ، لأنّا في ذمتك ، ولم ننقض ، فأما من نقض فأبعده الله .

فندم عمر ، وقال : يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الإسكندرية .

وكان سبب نقض الإسكندرية هذا كما حدثنا عن حيوة بن شريح عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية ، أن صاحب إخنكا قدم على عمرو بن العاص فقال : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر لها .

فقال عمرو ، وهو يشير إلى ركن كنيسة : لو أعطيتني من الركن إلى السقف

ما أخبرتك ، إنما أنتم خزّانة لنا ، إن كثر علينا كثرنا عليكم ، وإن خُفّ غنا خفّفنا عنكم <sup>(١)</sup> .

فغضب صاحب إخواننا <sup>(٢)</sup> ، فخرج إلى الروم ، فقدم بهم ، فهرّهم الله ، وأسير النّبيّ عليّ <sup>(٣)</sup> ، فأُتي به عمرو ، فقال له الناس : اقتله .

فقال : لا ، بل انطلقْ فنجّنا بحيش آخر .  
حدثنا سعيد بن سابق قال : كان اسمه طلّماً وأن عمراً لما أتى به سوّدّه ، وتوجّه ، وكساه بُرّس أَرْجُوَان ، وقال له : إبقنا بمثل هؤلاء ؛ فرضى بأداء الجزية .  
فقيل لطلّما : لو أتيت ملك الروم ؟ فقال : لو أتيت لقتلني ، وقال ، وقتلت أحماني .

## ذكر

### خبراب خربة وردان

قال عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن سابق قال : وكان عمرو حين توجه إلى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان .  
قال عبد الرحمن : واختلف علينا في السبب الذي خربت له ، فحدثنا سعيد ابن غفيرة أن عمراً لما توجه إلى قيسوس لقتال الروم عدل وردان <sup>(١)</sup> لقضاء حاجته عند الصبيح ، فاخططه أهل الخربة ، فغيّبوه ، ففقد عمرو ، وسأل عنه ، وفعلاً أثره ، فوجدوه في بعض دورهم ، فأمر بإخراجهم منها .

- 
- (١) يروى المؤرخون أن عبد الله بن سعد والى مصر من قبل عثمان بن عفان قد جعل أول همه زيادة الضرائب على أهل الاسكندرية الذين كانوا يرزحون تحت عبء ثقل من الالتزامات ، وأنهم قد أقنعوا كتباً إلى الإمبراطور الروماني يسألونه استخلاصهم مما فرض عليهم .  
(٢) في نسخة أ تعاقب قوله : وجدته في غير نسخة من كتاب فتوح مصر الجليل (لجنا) ، والصواب ما ذكر ، وإخوانا مدينة كانت بالإقليم الذي كان يعرف بالحوف الغربي ، وهي قرية من الاسكندرية ، وصاحبها هو طلّما ، وقد ذكرها ياقوت في الجزء الأول صحيفة ١٦٦ ، ولنا لتعليم أن نعرف موضعه لإخوانا على الخرائط المصورة ، ولا بين أسماء القرى .  
(٣) الأنباط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، يستنبطون ما يخرج من الأرض .  
(٤) في نسخة هـ زيادة : مولى عمرو .

حدثنا عبد الملك بن مسleme قال : كان أهل الخربة رهباناً كلهم ، ففقدوا .  
بقوم من ساقه عمرو ، فقتلوه بعد أن باع عمرو الكبريتون ، فأقام عمرو ، ووجه  
إليهم وزدان ، فقتلهم ، وخرّبها ، فهي خراب إلى اليوم .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم قال : كان أهل الخربة أهل تَوَيْبٍ وخَيْثٍ ،  
فأرسل عمرو بن العاص إلى أرضهم ، فأخذ له منها جِرَابٌ فيه تراب من تَرَابِها ،  
ثم دعاهم ، فكلّهم ، فلم يجيبوه إلى شيء ، فأمر بإخراجهم ، ثم أمر بالتراب ،  
ففرّش تحت مُصَلَّاهُ ، ثم قعد عليه ، ثم دعاهم ، فكلّهم ، فأجابوه إلى ما أحبّ ؛  
ثم أمر بالشراب فرفع ، ثم دعاهم فلم يجيبوه إلى شيء ، حتى قول ذلك مراراً .  
فلما رأى عمرو ذلك قال : هذه بلدة لا تصلح إلا أن تَوطَأَ ، فأمر بإخراجها ،  
والله أعلم .

## ذكر

### ما قبل في فتح الاسكندرية الثاني

ثم رجع إلى حديث ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : فلما هزم الله  
الروم أراد عثمان عَمَرًا أن يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج ، فقال  
عمرو : إنا إذن كُنَّا كَالْبَقَرَةِ بَقَرَتْنِهَا وَآخِرُجْنَاهَا . فأبى عمرو .

حدثنا عبد الله بن يزيد المُنَيرِي ، حدثنا حَرَمَلَةُ بن عمران عن ثُمَمٍ بن فِرْعَ  
المُهَيرِي قال : شهدت فتح الاسكندرية في المرة الثانية ، فلم يُسْهِمَ لي حتى كاد أن  
يقع بين قومي وبين قريش مُنَازَعَةً ؛ فقال بعض القوم : أرسلوا إلى بَصْرَةَ الغفازي  
وعقبة بن عامر الجَلْهَنِي فلينها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألوها  
عن هذا فأرسلوا إليها ، فسألوها ، فقالا : انظروا ، فإن كان أَثْنَبَ فَأَسْهِمُوا لَهُ ،  
فانظر إلى بعض القوم ، فوجدوني قد أَثْنَبَ ، فأسهموا لي .

### ذكر

#### قروم عمرو على عمر بن الخطاب

حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا عثمان بن صالح عن الليث بن سعد قال ، عاش عمر بن الخطاب بعد فتح مصر ثلاث سنين ، قدم عليه عمرو فيها قدمتين . قال ابن عفير . استخلف في إحداهما زكرياء بن الجهم العبدري على الجند ، ومجاهد بن جبر مولى بني نوفل بن عبدمناف على الخراج — وهو جد معاذ بن موسى النفاط أبي إسحاق بن معاذ الشاعر ، فسأله عمر ، من استخلف ؟ فذكر له مجاهد بن جبر ؛ فقال له عمر : مولى ابنة غزوان ؟ قال : نعم ، إنه كاتب . فقال عمر : إن القلم ليرفع بصاحبه .

وبنت غزوان هذه أخت عقبة بن غزوان ، وقد شهد عقبة بدرًا .

حدثنا عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق قال : عقبة بن غزوان بن جابر بن وهب ابن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، حليف بني وائل ابن عبدمناف .

قال : وخطة مجاهد بن جبر دار صالح صاحب السوق .

قال : ثم رجع إلى حديث ابن عفير قال : واستخلف في القدمة الثانية عبد الله بن عمرو .

فحدثنا عبد الملك بن مسلمة وعبد الله بن صالح قالا ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص دخل على عمر بن الخطاب وهو على مائدته ، جاثيا على ركبتيه ، وأصحابه كلهم على تلك الحال ، وليس في الجفنة فضل لأحد مجلس .



فسلم عمرو على عمر ، فرد عليه السلام .

وقال : عمرو بن العاص ؟

قال : نعم .

فأدخل عمر يده في الثريد ، فلاها ثريدا ، ثم ناولها عمرو بن العاص .  
فقال : خذ هذا .

فجلس عمرو ، وجعل الثريد في يده اليسرى ويأكل باليمين ، ووقد أهل  
مصر ينظرون إليه .

فلما خرجوا قال الوفد لعمر : أى شىء صنعت ؟

فقال عمرو : إنه والله لقد علم أنى بما قدمت به من مصر لعبي عن الثريد  
الذى ناولنى ، ولسكنه أراد أن يحتبرنى ، فلم أقبلها للقيت منه شرًا .

حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيس  
قال : دخل عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب وقد صبغ<sup>(١)</sup> رأسه ولحيته  
بسواد .

فقال عمر : من أنت ؟

قال : أنا عمرو بن العاص .

قال عمر : عهدى بك شيخًا وأنت اليوم شاب ، عزمت عليك إلا ما خرجت .  
فغسلت هذا .

حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال :  
قدم عمرو بن العاص من مصر مرة على عمر ، فوافاه على المنبر يوم الجمعة ، فقال :  
هذا عمرو بن العاص قد أتاكم ، ما ينبغي لعمر أن يمشى على الأرض إلا أميرًا .

---

(١) في نسخة هـ وكان قد خضب .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثنا ابن لهيعة عن مِشْرَح بن عاهان عن عقبة  
ابن عامر أن عمر رضى الله عنه قال : ما ينبغي لعمرؤ أن يمشى على الأرض  
إلا أميراً .

قال الليث : قال عمرو بن العاص : ما كنت بشيء أنجَرَ منى بالحرب .

### ذكر

وفاة عمرو بن العاص رضى الله عنه

قال عبد الرحمن : ثم توفي عمرو بن العاص فى سنة ثلاث وأربعين .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : توفي عمرو بن العاص سنة ثلاث  
وأربعين ، وفيها أمر عتبة بن أبى سفيان على أهل مصر ، وفيها غزا شريك بن  
سهمى لِبَدَةِ الغرب<sup>(١)</sup> .

قال : وحدثنا أسد بن موسى وعبد الله بن صالح قالا : حدثنا الليث بن سعد  
عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسه ، أخبره أن عمرو بن العاص لما حضرته  
الوفاة دمع عينا ، فقال عبد الله بن عمرو : يا أبا عبد الله ، أجزع من الموت  
يملك على هذا ؟

قال : لا ، واسكن مما بعد الموت .

فذكر له عبد الله مواطنه التى كانت مع رسول الله عليه وسلم والفتوح التى  
كانت بالشام .

فلما فرغ عبد الله من ذلك قال : قد كنت على أطباق ثلاثة ، لومت على

(١) لبدة الغرب : مدينة بين بركة وإفريقية ، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة .  
وهى حصن من بنيان الأول بالمجر والآجر ، وحوها آثار مجيبة .

بعضهن علمت ما يقول الناس ، بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكنت أكره  
الناس لما جاء به ، أتمنى لو أنى قتلته ، فلو مت على ذلك لقال الناس ، مات  
عمرو مشركا ، عدوا لله ولرسوله ، من أهل النار ؛ ثم قذف الله الإسلام في قلبي ،  
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبسط إلى يده لبياعتي ، فقبضت يدي ،  
ثم قلت : أباي بك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي ، وأنا أظن حينئذ أنى لأحدث  
في الإسلام ذنباً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، إن الإسلام يحب ما قبله من  
خطيئة ، وإن الهجرة تحب ما بينها وبين الإسلام ، فلو مت على هذا الطبق  
لقال الناس ، أسلم عمرو وجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نرجو لعمرو  
عند الله خيرا كثيرا .

ثم أصبت إمارات وكانت فتن ، فأنا مشفق من هذا الطبق ، فإذا  
أخرجتموني فاسرعوا بي ، ولا تتبعني ماردة ولا نائحة ، وشدوا على إزاري ، فأني  
مُحْكَمٌ ، وسُئِلُوا عَلَى التَّرابِ سَنًا ، فَإِنْ يَمِينِي لَيْسَتْ بِأَحَقَّ بِالتَّرابِ مِنْ يَسَارِي ،  
وَلَا تُدْخِلُنَّ الْقَبْرَ خَشَبَةً وَلَا طَوْبَةً ؛ ثُمَّ إِذَا قَبِرْتُمُونِي فَاْمَكْتُوا عُنْدِي قَدْرَ نَحْرٍ  
جَزْزُورٍ وَتَقْطِعُهَا أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ .

حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن  
سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ سُمَيٍّ نَحْوَهُ .

قال : وقال عمرو : فوالله إني إن كنت لأشد الناس حياء من رسول الله  
عليه وسلم ، ما ملأت عيني منه ، ولا راجعته بما أريد حتى لحق بالله حياء منه .

وصية عمرو بن العاص يوم موته

حدثنا عبد الرحمن : حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن  
محمد بن طلحة عن إسماعيل أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال : ادعوا لي

عبد الله ، فقال : « يا بني ، إذا أنا ميتٌ فاغسلني وترّاً ، واجعل في آخر ماء تغسلني به شيئاً من كافور ، فإذا فوغت فاسرع بي ، فإذا أدخلتني قبري فسنّ عليّ التراب سنّاً ، واعلم أنك تتركني وحيداً خائفاً ، اللهم لا أعتذر ولسكني أستغفر ، اللهم إنك أمرت بأمور فتركناها ، ونهيت فركبنا ، فلا بريد لأعتذر ، ولا عزير فأنتصر ، ولسكن لا إله إلا أنت ، لا إله إلا أنت - ثلاث مرات - ثم قُبِضَ .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه ، أن عمرو بن العاص لما حضرته الوفاة ذرفت عيناه ، فبكى ؛ فقال له عبد الله : يا أبتِ ، ما كنت أخشى أن ينزل بك أمر من أمر الله إلا صبرت عليه .

قال له : يا بني ، إنه نزل بأبيك خلال ثلاث ، أما أولاهن فاقطاع عمله ؛ وأما الثانية فهوّل المطلّع ، وأما الثالثة ففراق الأختية ، وهي أيسرهن ، اللهم أمرت فتوانيتُ ، ونهيت فعصيتُ ، اللهم ومن شيمك العفو والتجاوز .

حدثنا وهب الله بن راشد أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ، أن عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة قال : أي بُنيّ ، إذا مت فكفني في ثلاثة أثواب ، ثم أزرني في أحدهن ، ثم شقوا لي الأرض شقّاً ، وسثوا عليّ التراب سنّاً ، فإني مُخاضمٌ ؛ ثم قال : اللهم إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور ، فتركنا كثيراً مما أمرت به ، ووقعنا في كثير مما نهيت عنه ، اللهم لا إله إلا أنت ، فلم يزل يرددّها حتى فاظ<sup>(١)</sup> .

حدثنا المقرئ عبد الله بن يزيد ، حدثنا حرمة بن عمران التُّجِيبِيّ ، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي فراس مولى عمرو بن العاص ، أن عمراً لما حضرته الوفاة قال لابنه عبد الله : إذا مت فاغسلني ، وكفني ، وشدّ عليّ إزارِي فإني مُخاضمٌ ؛ فإذا أنت حملتني فاسرع بي في المشي ، فإذا أنت وضعتني في المصلى ، وذلك في يوم .

عبد ، فانظر إلى أفواه الطارق ، فإذا لم يبق أحد واجتمع الناس ، فابدأ ، فصل على ، ثم صل العيد ، فإذا وضعتني في الدري ، فأهبلوا على التراب ، فإن شقى الأيمن ليس بأحق بالتراب من شقى الأيسر ، فإذا سوّيتهم على فاجلسوا عند قبري قدر نحر جزور وقطعها استأنس بكم .

فلما تقدم عبد الله ليصلي على أبيه كما حدثنا عبد الغفار بن داود وعبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن ربيعة بن لقيط قال : والله ما أحب أن لي بأبي أباً رجلي من العرب ، وما أحب أن الله يعلم أن عيني دمت عليه جزءاً ، وأن لي خمر النعم . ثم كبر .

حدثنا سعيد بن عفير ، قال : ودفن بالمقطم من ناحية الفج ، وكان طريق الناس يومئذ إلى الحجاز ، فأحب أن يدعو له من مرّ به ، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير :

ألم تر أن الدهر أخت ربوبه      على عمرو السهمي تجبى له مصر  
فأضحى نبيذاً بالعراء وضللت      مكائده عنه وأمواله الدثر<sup>(١)</sup>  
ولم يفر عنه جمعه واحتباله      ولا كيدته حتى أتيح له الدهر

\* \* \*

### فتح إفريقية

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فلما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر . وأمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو ، فيصيدون من أطراف إفريقية و يقتلهم ، فكتب في ذلك عبد الله بن سعد إلى عثمان ، وأخبره بقربهم من حرز المسلمين و يستأذنه في عزوها .

فتدب عثمان الناس لعزوها بعد المشورة منه في ذلك : فلما اجتمع الناس أمر عليهم عثمان الخارث بن الحسك إلى أن يقدموا على عبد الله بن سعد ، مصر . ليكون إليه الأمر .

فخرج عبد الله بن سعد إليها ، وكان مستقر سلطان إفريقية بمدينة يقال لها سراقية<sup>(١)</sup> ، وكان عليها ملك يقال له جرجير ، كان عرقل استخلفه ، فدخل عرقل و ضرب الدنانير على وجهه ، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة<sup>(٢)</sup> . حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة قال : كان عرقل استخلف جرجير ، فخلعه .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : تلقى جرجير قاتله ، وتلقاه الله ، وكان الذي ولي قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير .

ويروى جيش جرجير ، فبعث عبد الله بن سعد السرايا ، وفرتها ، فأصابوا غنائم كثيرة ، فلما رأى ذلك رؤساء إفريقية طلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم ما على أن يخرج من بلادهم ، فقبل ذلك منهم ، ورجع إلى مصر . وإبريل

(١) قرطاجنة : ويطلق عليها اسم قرطاج ، وهي مدينة ، لا تزال آثارها باقية بالقرب من مدينة تونس ، ويقال إن تونس قد بنيت من خرابها ، والاسم مكون من جزئين ، قرما بمعنى مدينة ، وأضيف إليها جنة ، لطيبها ونزهاتها . وقد كانت قرطاجنة مقر لمعاطلة جبارة قاومت روما مدة .

(٢) طنجة : مرفأ على مصيف جبل طارق شمال المغرب ، وهو قاعدة لمنطقة دولية ، وكانت طنجة مصرفاً للفينيقيين في القرن السادس قبل الميلاد .

عليهم أحدا ، ولم يتخذ قَبْرَ وَا ، فكانت غنائم المسلمين يومئذ ساحرة ، فاعيد الملك ابن مسلمة عن ابن هبة عن أبي الأسود عن أبي أُويس <sup>(١)</sup> ، قال أبو الأسود : رحلنا ، قال : غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية ، فقسم بيننا الفنائم بين بخراسان ، طخس . فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، الفرس ألفا دينار . ولتأخره ألف دينار ، وللراجل ألف دينار ، فُقسم لرجل من الجيش ثوبان بذات الخيام <sup>(٢)</sup> ، فدفن إلى أهله بعد موته ألف دينار .

حدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا ابن المبارك عن حمزة بن شريح عن عبد الرحمن بن أبي هلال عن أبي الأسود أن أبا أُويس مَوَّلَى لِمَ قَدِيمًا ، حدثه أن رجلا خرج في غزوة إفريقية فمات بذات الخيام ، فقسم له ، فكان سهمه يومئذ ألف دينار . . . . . عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد عن غير واحد أن عبد الله بن أبي حمزة غزا إفريقية وقتل جُرْجِيرًا ، فأصاب الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار ، والراجل ألف دينار .

قال غير الليث عن مشايخ أهل مصر : في كل دينار دينار مريم . قال : ثم رجع إلى حديث عَدَنَ بن صالح ، وغيره قال ، فكان جيش عبد الله بن سعد ثلاث عشرة ألفا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن هبة قال : كانت مَهْرَةٌ في غزوة عبد الله بن سعد ومعه سبائة رجل ، وغنم من الأزد سبائة رجل ، ومعدنان . . . . . وميدخان من الأزد . . . . . وكان علي يقاسمها كما حدثنا يحيى بن عبد الله ابن بكير عن ابن هبة عن الحارث بن يزيد عن أزهر بن يزيد القطيفي عن شريك ابن سلمة ، فباع ابن زُرَّارة المديني ثَبْرًا بذهب ، بعضه أفضل بعض ، ثم لقيه القناد بن الأسود ، فذكر ذلك له ، فقال القناد : إن هذا لا يصلح . فقال له ابن زُرَّارة : فبئس لك صبة . قال شريك : ما أحب أن لي ما حوز وأني أرحم به .

(١) هو أبو أُويس الأصبغي ، عبد الله بن عبد الله بن أُويس ( تقريب التهذيب ص ٥٢٣ ) .

(٢) مرض الخس .

وكانت ابنة جرجير كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن عُفَيْر  
قد صارت لرجل من الأنصار في سهمه ، فأقبل بها منصرفا قد حملها على بعير له ،  
فجعل يرتجز :

يا ابنة جرجير تَمْشِي عُنَيْتَكَ إِنِّ عَلَيْكَ بِالْحِجَارِ رَبَّتْكَ  
لَتَحْمِلَنَّ مِنْ قُبَاءٍ قِرْبَتَكَ

قالت : ما يقول هذا الكلب ؟

فأخبرت بذلك ، فألقت نفسها عن البعير الذي كانت عليه ، فذوّقت  
عنقها ، فماتت .

حدثنا عبد الملك بن مسleme ، حدثنا ابن لهيعة ، أن عبد الله بن سعد هو  
الذي افتتح إفريقية ، ونقل ، هو الذي افتتح إفريقية ، وأنه كان يوضع بين  
يديه الكوز من الورق ، فيقول للأفارقة : من أين لكم هذا ؟

قال : فجعل إنسان منهم يدور كالذي يلتمس الشيء حتى وجد زيتونة ،  
فجاء بها إليه ، فقال : من هذا نصيب الورق .

قال : وكيف ؟

قال : إن الروم ليس عندهم زيتون ، فكانوا يأتوننا يشترون منا الزيت ،  
فنأخذ هذا الورق منهم .

وإنما سموا الأفارقة فيما حدثنا عثمان بن صالح من ابن لهيعة وغيره ، أنهم من ولد  
فَارِق بن بَيْصَر ، وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقية ،  
فبالأفارقة سميت إفريقية .

حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا بكر بن مُصَر عن يزيد بن أبي  
حبيب عن قيس بن أبي يزيد عن الجلاس بن عامر عن عبد الله بن أبي ربيعة  
قال : عبد الله بن سعد للناس بإفريقية المغرب ، فلما صلى ركعتين سمع جلبة في  
للسجدة ، فراءهم ذلك ، وظنوا أنهم العدو ، فقطع الصلاة ، فلما لم ير شيئا خطب الناس ،  
ثم قال : إن هذه الصلاة احتضرت . ثم أمر مؤذنه ، فأقام الصلاة ، ثم أعادها .



قال : وبعث عبد الله بن سعد كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة بالفتح عقبه بن نافع ، ويقال : بل ، عبد الله بن الزبير ، وذلك أصح .  
وسار — زعموا عبد الله بن الزبير — على راحلته إلى المدينة من إفريقية عشرين ليلة .

حدثنا سعيد بن عفير ، حدثني المنذر بن بسم الحزامي <sup>(١)</sup> عن هشام بن عروة أن عبد الله بن سعد بعث عبد الله بن الزبير بفتح إفريقية ، فدخل على عثمان ، فجلس يخبره بلقائهم العدو وما كان في تلك الفزوة ، فأعجب عثمان ، فقال له : هل تستطيع أن تخبر الناس بمثل هذا ؟  
قال : نعم .

فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر ، ثم قال له أقصص عليهم ما أخبرتني .  
فלקأ عبد الله بدنا ، فأخذ الزبير قبضة حصياء وهم أن تحصيه بها ، ثم تسكلم كلاما أعجبهم : فكان الزبير يقول : إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة ، فليظفر إلى أبيها وأخيها ، فلن يلبث أن يرى رُبَيْطَةً منها يبابه ، لما كان يرى من شبه عبد الله بن الزبير بأبي بكر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : بعث عبد الله بن سعد عبد الله بن الزبير ، وكان في الجيش ، بالفتح ، فقدم على عثمان بن عفان ، فبدأ به قبل أن يأتي أباه الزبير بن العوام ، فخرج عثمان إلى المسجد ، ومعه ابن الزبير ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الذي أبلى الله المسلمين على يدى عبد الله بن سعد ، ثم قال : قم يا عبد الله بن الزبير فحدث الناس بالذي شهدت .

(١) في نسخة الحزامي ، وهو تصحيف ، فهو المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المنيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي ، مقبول وقد مات سنة إحدى ومائتين .  
(انظر تقريب التهذيب صحيفة ٥١٢) .

قال الزبير : فوجدت في نفسي على عثمان ، وقلت : يقيم غلاما من النعمان  
 الذي يحق عليه ، والذي يحمل به ، ققام ، فتكلم ، فأبلغ وأصاب ، فذا  
 من عارهم عجباً .

قال عثمان : وتام عبد الله بن الزبير إلى أبيه ، فأخذ أبوه بيده ، وقال :  
 إذا أردت أن تزوج امرأة فانظر إلى أبيها وأخيها قبل أن تزوجها ، كأنه يشبهه .  
 يترشح أبي بكر الصديق جده .

قال : . . . . .  
 سعد قد كان وجه مروان بن الحسك إلى عثمان من إفريقية ، فلا أدري آفي  
 الترشح أم بعده ، والله اعلم .

عنه . . . . .  
 عبد الله بن سعد ، ووجهه من رجلا من العرب من غلم أو جذام ، شك عبد الرحمن ،  
 قال : فسرنا حتى إذا كنا ببعض الطريق قرب الليل ، فقال لي صاحبي : هل لك  
 إلى صديق لي عاهنا ؟

قلت : يا شئت

قال : فعدل بن من الطريق حتى آفي إلى دير ، وإذا سلسلة معلقة ، فأخذ  
 السلسلة ، فحركها ، وآن أعلم مني ، فأشرف علينا رجل ، فلما رأنا فتح الباب ،  
 فدخلنا ، فلم يتكلم معي ، طرأ لي فراشا لصاحبي فراشا ، ثم أقبل على صاحبي .  
 يكلمه بلسانه ، فوأطنته (١) حتى سئلت طنا .

ثم أقبل علي ، فقال : أي شيء قرأتك من خليفتهم .

(١) نسخة ب ( الألب )

(٢) في نسخة د يرأطنه ، وإلطانة التسكلم بغير العرية .

قلت : ابن عمه .

قال : هل أحد أقرب إليه منك ؟

قلت : لا ، إلا أن يكون ولده .

قال : صاحب الأرض المقدسة أنت ؟

قلت : لا .

قال : فإن استطعت أن تكون هو فافعل ؛ ثم قال : أريد أن أخبرك بشئ .  
وأخاف أن تضعف عنه .

قال : قلت : ألى تقول هذا ؟ وأنا أنا .

ثم أقبل على صاحبي ، فراطنه ، ثم أقبل على ، فساءلني عن مثل ذلك ،  
وأحبته بمثل جوابي ، فقال : إن صاحبك مقتول ، وإنا نجد أنه بلى هذا الأمر من  
بعده صاحب الأرض المقدسة ، فإن استطعت أن تكون ذلك فافعل .  
فأصابني لذلك وجعة .

فقال لي : قد قلت لك إنى أخاف ضعفك عنه .

فقلت : وما لي لا يصيبني ، أو كما قال ، وقد نعت إلى سيد المسلمين وأمير المؤمنين .

قال : ثم قدمت المدينة ، فأقت شهرًا لا أذكر لعثمان من ذلك شيئًا .

ثم دخلت عليه ، وهو في منزل له على سرير ، وفي يده مروحة ، فخذته  
بذلك ؛ فلما انتهيت إلى ذكر القتل بكيت وأمسكت .

فقال لي عثمان : تحدث ، لا تتحدث .

فخذته ، فأخذ بطرف المروحة يعضها ( أحسبه قال عبد الرحمن ) واستأنق .

على ظهره ، وأخذ بطرف عقه يعركه حتى ندمت على إخباري إياه ، ثم قال لي :  
صدق ، وسأخبرك عن ذلك .

« لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك أعطى أصحابه سهمًا سهمًا ، وأعطاني سهمين ، فظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعطاني ذلك لما كان من نفقتي في تبوك ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إنك أعطيتني سهمين ، وأعطيت أصحابي سهمًا سهمًا ، فظننت أن ذلك لما كان من نفقتي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكن أحببت أن يرى الناس مكانك مني أو منزلتك مني . »

فأدبرت ، فلحقني عبد الرحمن بن عوف ، فقال : ماذا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما زال يُتبعُكَ بصره . فظننت أن قولي قد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمهلت حتى إذا خرج إلى الصلاة أتيتُهُ ، فقلت : يا رسول الله ، إن عبد الرحمن بن عوف أخبرني بكذا وكذا ، وأنا أتوب إلى الله ، أو كما قال .

فقال : لا ، ولكنك مقتول ، أو قاتل ، فكن المقتول ، والله أعلم .  
قال . وكان فتح إفريقية كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد سنة سبع وعشرين :

وفي تلك السنة ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس ، توفيت حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

## ذكر

### النوبة وفجرها

قال عبد الرحمن : عم غزا عبد الله بن سعد الأساود ، وهم النوبة ، كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير سنة إحدى وثلاثين ، وحدثنا عبد الملك بن مسلمة ،

حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان على مصر في سنة إحدى وثلاثين . فقَاتَلته النوبة .

قال ابن لهيعة ، وحدثني الحارث بن يزيد قال : اقتتلوا قتالا شديدا ، وأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ مُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَافٍ ، وَأَبِي شَيْمٍ بْنُ أُبْرَهَةَ ، وَحَيَّوِيلُ بْنُ نَاشِرَةَ ، فَيَوْمَئِذٍ سُبُحُوا رُمَاةَ الْحَدَقِ ، فَهَادَتْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِذْ لَمْ يُطِيقَهُمْ .  
وقال الشاعر .

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ يَوْمِ دُمُوعِهِ وَأَخْلِيلُ تَعْدُو بِالْأَرْوَاحِ مُنْقَلَهُ  
قال ابن حبيب في حديثه ، وإن عبد الله صالحهم <sup>(١)</sup> على هدنة بينهم ، على أنهم لا يغزونهم ، ولا يغزو النوبة المسلمين ، وأن النوبة يؤدون كل سنة إلى المسلمين كذا وكذا رأسا من السبي ، وأن المسلمين يؤدون إليهم من القمح كذا وكذا ، ومن العَدَسِ كذا وكذا في كل سنة

قال ابن أبي حبيب : وليس بينهم وبين أهل مصر عهد ولا ميثاق ، وإمعة هي هدنة أمان بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ .

قال ابن لهيعة : ولا بأس أن يُشْتَرَى رَقِيقُهُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ ؛ وَكَانَ أَبُو حَبِيبٍ أَبُو زَيْدٍ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ - وَاسْمُهُ سُؤِيدٌ - مِنْهُمْ

حدثنا سعيد بن عُفَيْرٍ ، حدثنا ابن لهيعة قال : سمعت يزيد بن أبي حبيب

---

(١) عقد القائد العربي عبد الله بن سعد بن أبي الصرح لأهل مكة Maqurra بعد دخول جيش المسلمين دنقة عاصمتها سنة ٦٥٢ هـ العقد الذي بضمن استقلال بلادهم ، ويخضع المسلمين الاطمنان ، على حدودهم من ناحية الجنوب ، ويفتح التوبة للتجارة والحصول على عدد من الرقيق في خدمة الدولة الاسلامية ، وقد اختلط العرب باليونانيين والبيجة ، واعتنق كثير منهم الاسلام .

( راجع عقد عبد الله بن سعد للتونيين في كتاب اللواغظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٩ طبعة بولاق ) .

يقول : أبى من سبى دُنُقْلَة مولى لرجل من بنى عاصر من أهل المدينة ، يقال له شريك بن طُفيل .

قال : وكان الذى صُوِّجَ عليه النُوبةُ ، كما ذكر بعض مشائخ أهل مصر ، على ثلاثمائة رأس وستين رأساً فى كل سنة ، ويقال : بل على أربعمائة رأس فى كل سنة ، منها لثبّاء المسلمين ثلاثمائة رأس وستون رأساً ؛ ولوالى البلاد أربعون رأساً .

قال : فزعم بعض المشائخ أن منها سبع عشرة <sup>(١)</sup> مَوْضِعاً .

ثم انصرف عبد الله بن سعد عنهم .

ويقال فيما ذكر بعض المشائخ المتقدمين ، أنه نظر فى بعض الدواوين بالفسطاط ، وقرأ قبل أن يتحرق ، فإذا هو يحفظ منه : إنا عاهدناكم وعاقدناكم أن توفونا فى كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً ، وتدخلوا بلادنا بمجتازين غير مقيمين ، وكذا ندخل بلادكم ، على أنفسكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة ، وعلى إن آوئتم للمسلمين عبداً فقد برأت منكم الهدنة ، وعليكم ردُّ أباقي <sup>(٢)</sup> المسلمين ، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة .

قال : وزعم غيره من المشائخ ، أنه لا سنة للنوبة على المسلمين ، وأنهم أول عام بعثوا بالقبْطِ <sup>(٣)</sup> أهدوا لعمر بن العاص أربعين رأساً ، فذكره أن يقبل منهم ، فرد ذلك على عظيم من عطاء القبط ، يقال له نَسْتَقُوس ، وهو القبط لهم فيها ، فباع

---

(١) فى الأصل سبعة عشر .

(٢) الإباقي الحرب .

(٣) قال القريرى فى المخطوط الجزء الأول صحيفة ٣٩٨ : البقط ما يقبض من سبي النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم . . . وقال أبو الحسن السعوى ، والبقط هو ما يقبض من السبي فى كل سنة ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم . وهو ثلاثمائة وخمسة وسفون رطل . لبيت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين . . . وكان الحاكم الذى يحضر القبض البقط مع أمير أسوان ينال فوق العدد المقرر لبيت المال خمسة رهوس ، ولأمير أسوان عمرون رأساً ، ولإثنا عشر شاهدا عدولاً من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي . ( السعوى ) .

ذلك، واشترى لهم جهازا، فاحتجوا بذلك، أن سمرا بعث إليهم القمح والخيل، وذلك أنهم زجرُوا عن القمح والخيل، فكشفوا ذلك في الزمان الأول فأصيبوا. هذه قصتهم.

ثم رجع إلى الحديث، ففتح مع له في انصرافه على شاطئ النيل البعجة<sup>(١)</sup>، فسأل عنهم، فأخبر عساكرهم، فهان عليه أمرهم، فنفذ وتركهم، ولم يكن لهم عقد ولا صالح؛ وأول من صالحهم عبيد الله بن الحبحاب.

ويزعم بعض المشائخ أنه قرأ كتاب ابن الحبحاب فإذا فيه : ثلاثمائة بكر في كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا غير مقيمين، على ألا يقتلوا مسلما ولا ذميا، فإن قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤووا عبيد المسلمين، وأن يردوا أبائهم إذا وقعوا؛ وقد عهدت هذا في أيامهم يؤخذون به؛ ولكل شاة أخذها يجاوى فعليه أربعة دنانير، والبقرة عشرة، وكان وكيلهم مقيا بالريف رهينة بيد المسلمين.

## ذكر

### زى الصواري

قال عبد الرحمن : ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي بن سرح كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ذا الصواري في ستة أربع وثلاثين.

وكان من حديث هذه الغزوة، كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب، أن عبد الله بن سعد لما نزل ذا الصواري أنزل نصف الناس مع بسر بن أبي أرطاة سرية في البر، فلما مضوا أتى أت إلى عبد الله بن سعد، فقال : ما كنت فاعلا حين ينزل بك هرقل في ألف مركب فافعله الساعة.

(١) البعجة قبائل ويطون سودانية تعيش فيما بين النيل والبحر الأحمر، ما يلي النوبة، وكان لهم في بلدكم ملك منفرد (المعروف ح ١٠٥ ص ١٥٥).

قال غير الليث ؛ إنما هو ابن هرقل لأنه مات في سنة تسع عشرة والمسلمون محاصرون الاسكندرية .

ثم رجع إلى حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب قال : وإنما قال ، مراكب المسلمين يومئذ مائتا مركب وتيف ، فقام عبد الله بن سعد بين ظهراني الناس فقال : قد بلغني أن هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركب ، فأشيروا علي ؛ فما كلمه رجل من المسلمين ، فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ، ثم قام الثانية ، فكلمهم ، فما كلمه أحد ، فجلس ؛ ثم قام الثالثة ، فقال : إنه لم يبق شيء ، فأشيروا علي .

فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال : أيها الأمير ، إن الله جل ثناؤه يقول . « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً . يَإِذْنَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

فقال عبد الله . اركبوا باسم الله ، فركبوا ، وإنما في كل مركب نصف شحنته ، قد خرج النصف الآخر إلى البر مع بسر ، فلقوهم ، فاقتلوهم بالنيل والنشاب ، وتأخر هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة ، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد اقتتلوا بالنيل والنشاب .

فقال : غلبت الروم .

ثم أتوه ، فقال : ما فعلوا ؟

قالوا : قد نفذت الحجارة ، وربطوا المراكب بعضها ببعض ، يقتتلون بالسيوف .

قال : غلبت الروم .



حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال :  
وكانت السفن إذ ذاك تُقرن بالسلاسل عند القتال ، فقال : تُقرن مركب عبد الله  
يومئذ ، وهو الأمير ، بمركب من مراكب العدو ، فكاد مركب العدو يجتر  
مركب عبد الله إليهم .

فقام علقمة بن يزيد الغطيفي ، وكان مع عبد الله بن سعد في المركب ،  
فضرب السلسلة بسيفه ، فمزقها .

فَسَأَلَ عبد الله امرأته بُسَيْسَةَ ابنة حمراء بن لَيْشَرَح<sup>(١)</sup> ، وكانت مع  
عبد الله يومئذ ، وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب ، من رأيت أشد قتالاً ؟  
قالت : علقمة صاحب السلسلة .

وكان عبد الله قد خطب بُسَيْسَةَ إلى أبيها ، فقال له : إن علقمة قد خطبها وله  
على فيها وأى<sup>(٢)</sup> ، وإن يتركها أفعل .

فكلم عبد الله علقمة ، فتركها ، فتزوجها عبد الله بن سعد ، ثم هلك عنها  
عبد الله ، فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ، ثم هلك عنها علقمة ، فتزوجها بعده  
كُرَيْب بن أبرهة ، وماتت تحته في السنة التي قُتل فيها مروان الأكدر بن حُمام .  
قال غير بن لهيعة ، قتل مروان الأكدر بن حُمام في اليوم الذي ماتت فيه  
بُسَيْسَةَ ، فجاء الخبر إلى كُرَيْب بذلك ، فقال : حتى أفرغ من دفن هذه الجنائزة ،  
فلم ينصرف حتى قتل ، فلام الناس يومئذ كُرَيْب بن أبرهة ، وللاكدر بن حُمام  
وقته حديث أطول من هذا .

قال غير ابن لهيعة : مشى الروم إلى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس  
وثلاثين ، فقالوا تترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى ؟

(١) بسيسة بنت حمزة بن عبد كلال . ابن حجر الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٢) الوأى الوعد .

فقال : ما أصنع بكم؟ ما تقدرون أن تمالكوا ساعة إذا لقيتم العرب .

قالوا : فأخرج على أنا نموت .

فتبايعوا على ذلك ، فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية ، فسار في أيام غالبية من الريح ، فبعث الله عليهم ريحا ، ففرقهم لإقسطنطين نجا بمركبه ، فألقته الريح بصقلية ، فسأله عن أمره ، فأخبرهم ، فقالوا : شئت النصرانية وأقنيت رجالها ، لودخل العرب علينا لم نجد من يردهم .

فقال : خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا ، فصنعوا له الحمام ، ودخلوا عليه ، فقال : ويلكم ، تذهب رجالكم وتقتلون ملككم .

قالوا : كأنه غرق معهم . ثم قتلوه ، وخلّوا من كان معه في المراكب .

### ذكر

#### رابطۃ الاسكندرية

حدثنا عبد الرحمن حدثنا عثمان بن صالح ، حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن هبيرة ، يزيد أحدهما على صاحبه قال : لما استقامت البلاد ، وفتح الله على المسلمين الاسكندرية قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية رُبْعَ الناس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ؛ ثم يعقبهم شانية ستة أشهر ، رُبْعَ في السواحل ، والنصف الثاني مقيمون معه .

قال غيرها : وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازیة من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكاتب الولاة ، لا تنفلها وتسكّف رابطتها ، ولا تأمن الروم عليها .

وكتب عثمان إلى عبد الله بن سعد ، قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين

بالاسكندرية ، وقد نفقت الروم مرتين ، فالزم الاسكندرية رابطتها ، ثم أجز عليهم أرزاقهم ، وأعقب بينهم في كل ستة أشهر .

حدثنا طلق بن السرح ، حدثنا ضيام بن إسماعيل الماعزى ، حدثنا أبو قبييل ، أن عتبة بن أبى سفيان عقد لعقمة بن يزيد القطيفى على الاسكندرية ، وبعث معه اثني عشر ألفا ، فكتب عقمة إلى معاوية يشكو عتبة حين غرر به . وبمن معه .

فكتب إليه معاوية ، إني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام ، وخمسة آلاف من أهل المدينة ، فكان فيها سبعة وعشرون ألفا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة أن عقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثنا عشر ألفا ، فكتب إلى معاوية ، إنك خلفتني بالاسكندرية . وليس معي إلا اثنا عشر ألفا ، ما يكاد بعضنا يرى بعضا من القلة . فكتب إليه معاوية ، إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة ، وأمرت معن بن يزيد السلمى أن يكون بالرملة<sup>(١)</sup> في أربعة آلاف مسمكين بأعنة خيولهم ، متى يبلغهم عنك فزع يعبروا إليك .

قال ابن لهيعة : وكان عزرو بن العاص يقول : ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة .

---

(١) الرملة مدينة عظيمة بفلسطين ، كانت رابطا للمسلمين ، وقد كانت دار ملك داود سليمان . وكان بنو أمية ينفقون على آبارها وقناتها . واستنقذها صلاح الدين من الإفريج في سنة ٥٨٣ هـ وخربها خوفا من استيلاء الإفريج عليها مرة ثانية .

## ذكر

من ثلثه يخرج على غزو المغرب بعد عمرو بن العاص وقتومه

### معاوية بن حديج

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الحكم قال : ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج التميمي سنة أربع وثلاثين ، وكان معه في جيشه عامر بن عبد الملك بن مروان ، فافتتح قصورا ، وغنم غنائم عظيمة ، واتخذ قَبْرَواتاً عند القَرْن ، فلم يزل فيه حتى خرج إلى مصر ، وكان معه في غزائه هذه جماعة من المهاجرين والأنصار .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة ، وحدثنا يوسف بن عدي ، حدثنا عبد الله بن المبارك نحوه عن ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله عن سليمان بن يسار قال : غزونا إفريقية مع ابن حديج ، ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير ، فنقلنا<sup>(١)</sup> ابن حديج النصف بعد الخمس ، فلم أر أحدا أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصاري .

وحدثنا يوسف بن عدي حدثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران قال : سألت سليمان بن يسار عن النفل في الغزو ، فقال : لم أر أحدا صنعه غير ابن حديج ، نقلنا بإفريقية النصف بعد الخمس ، ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأوّلين ناس كثير ، فأبى جبلة بن عمرو الأنصاري أن يأخذ منه شيئا .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره قال : فاتته إلى قونية ، وهي

موضع مدينة القيروان إفريقية ، ثم مضى إلى جبل يقال له السقرن ، يصكر إلى جانبه ، وبعث عبد الملك بن مروان إلى مدينة يقال لها جلولا<sup>(١)</sup> في أنف رجل ، فحاصرها أياماً ، فلم يصنع شيئاً ، فانصرف راجعاً ، فلم يسر إلا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس غباراً شديداً ، فظن أن العدو قد طلبهم ، فسكر جماعة من الناس لذلك ، وبقي من بقي على مصافهم ، وتسرع سرعان الفاس ، فإذا مدينة جلولا قد وقع حائطها ، فدخلها المسلمون ، وغنموا ما فيها ؛ وانصرف عبد الملك إلى معاوية بن حديج .

فاختلف الناس في الغنيمة ، فكتب في ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ، فكتب ، إن العسكر ردّ للتسرية . فقسم ذلك بينهم ، فأصاب كل رجل منهم لنفسه مائتي دينار ، وضرب للفرس بسهمين ، ولصاحبه بسهم .

قال عبد الملك : فأخذت لفرسي ولنفس ستمائة دينار ، واشترت بها جارية .

قال : ويقال ، بل غزاها معاوية بن حديج بنفسه ، فحاصرم ، فلم يقدر عليهم ، فانصرف آيساً منها ، وقد جرح عامة أصحابه ، وقتل منهم ، ففتحها الله بعد انصرافه بغير خيل ولا رجال ، فرجع إليها ومن معه ، وفيها السبي لم يردم أحد ، فغنموا ، وانصرف منها راجعاً إلى مصر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن طيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : غزا معاوية بن حديج إفريقية ثلاث غزوات ، أما الأولى فسنة أربع وثلاثين قبل قتل عثمان ، وأعطى عثمان مروان الخمس في تلك الغزوة ، وهي غزوة لا يعرفها كثير من الناس ؛ والثانية سنة أربعين ؛ والثالثة سنة خمسين .

---

(١) جلولا : مدينة شهيرة بإفريقية الشمالية ( تونس ) بينها وبين القيروان أربعة وعشرون ميلاً ، وبها آثار وأبراج من أبنية الأول .

## عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ

قال : ثم خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حُذَيْجٍ عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ . سنة سب وأربعين ، ومعه بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاسَةَ ، وشريك بن مُسَيِّ الْمُرَادِيُّ ، فأقبل حتى نزل بمغدّاش <sup>(١)</sup> من مُسَرَّت <sup>(٢)</sup> ، وكان توجه بُسْرٍ إليها ، كما حدثنا يحيى . ابن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد ، سنة ست وعشرين من مُسَرَّت ، فأدركه الشتاء ، وكان مُضْمَعًا ، وبلغه أن أهل وُدَّان قد نقضوا عهدهم ، ومنعوا ما كان بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاسَةَ فرض عليهم .

وكان عمرو بن العاص قد بعث إليها بُسْرًا قبل ذلك وهو محاصر لأهل أطرابلس ، فافتتحها ؛ فخلف عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ جيشه هنالك ، واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي ، وزهير بن قيس بن البلوي ، ثم سار بنفسه وبمن خف معه . أربعمائة فارس وأربعمائة بعير ، وثمانمائة قرية حتى قدم وُدَّان فافتتحها ، وأخذ ملسكهم ، فجدع أذنه . فقال : لِمَ فعلت هذا بي ، وقد عاهدتني ؟ فقال عُقْبَةُ : فعلت هذا بك أدبًا لك ، إذا مست أذنك ذكرته ، فلم تحارب العرب ؟

واستخرج منهم ما كان بُسْرُ فرضه عليهم ، ثلاثمائة رأس وستين رأسًا . ثم سألهم عُقْبَةُ : هل من ورائكم أحد ؟ فقبل له : جرّامة . وهي مدينة فرّان العظمى . فسار إليها ثمانى ليالى من وُدَّان ، فلما دنا منها أرسل ، فدعاهم إلى الإسلام . فأجابوا ، فنزل منها على ستة أميال .

وخرج ملسكهم يريد عُقْبَةَ ، وأرسل عُقْبَةُ خيلا ، فحالت بين ملسكهم وبين .

(١) مغدّاش : بلد قريب من مسرت في طرابلس الغرب بليبيا .

(٢) مدينة قديمة ، مكناها الآن مدينة تونس بشمال إفريقيا وقد كانت محطة للقوافل ، وسوقا للتجارة ، وبانت أوج عزها أيام الملوك الأغالبية في القرن التاسع الميلادي .

مَوْكِبِهِ ، فَأَمَشُوهُ رَاجِعًا حَتَّى أَتَى عَقِبَهُ وَقَدْ لَغِبَ<sup>(١)</sup> ، وَكَانَ نَاعِمًا ، فُجِعَ بِبَصْقِ  
الْدَمِ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا بِي وَقَدْ أَتَيْتُكَ طَائِعًا ؟  
فَقَالَ عَقِبَةُ : أَدْبَا لَكَ ، إِذَا ذَكَرْتَهُ لَمْ تَحَارِبِ الْعَرَبَ .  
وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثُمِائَةَ عَبْدٍ وَسَتِينَ عَبْدًا ، وَوَجَّهَ عَقِبَةَ الرَّجُلِ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ  
إِلَى الْمَشْرِقِ .

تَمَّ مَضَى عَلَى جِهَتِهِ مِنْ قَوْرِهِ ذَلِكَ إِلَى قُصُورِ فَرْزَانَ ، فَافْتَتَحَهَا قُصْرًا قُصْرًا ،  
حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَقْصَاهَا فَسَأَلَهُمْ : هَلْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَحَدٌ ؟  
قَالُوا : نَعَمْ ، أَهْلُ خَاوَرِ<sup>(٢)</sup> ، وَهُوَ قُصْرٌ عَظِيمٌ عَلَى رَأْسِ الْمَفَازَةِ فِي وَعُورَةٍ عَلَى  
ظَهْرِ جَبَلٍ ، وَهُوَ قُصْبَةُ كَوَّارِ<sup>(٣)</sup> .

فَسَارَ إِلَيْهِمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، فَلَمَّا انْتَهَى تَحَصَّنُوا ، فُخِصُوا شَهْرًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ  
لَهُمْ شَيْئًا .

فَخَضَى أَمَامَهُ عَلَى قُصُورِ كَوَّارٍ ، فَافْتَتَحَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَقْصَاهَا ، وَفِيهِ مَلِكُهَا ،  
فَأَخَذَهُ ، فَقَطَعَ إصْبِعَهُ ، فَقَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَذَا بِي ؟

قَالَ : أَدْبَا لَكَ ، إِذَا أَنْتَ نَظَرْتَ إِلَى إصْبِعِكَ لَمْ تَحَارِبِ الْعَرَبَ .  
وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثُمِائَةَ عَبْدٍ وَسَتِينَ عَبْدًا .

فَسَأَلَهُمْ : هَلْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَحَدٌ ؟

فَقَالَ الدَّلِيلُ : لَيْسَ بَعْدِي بِذَلِكَ مَعْرِفَةٌ وَلَا دَلَالَةٌ .

فَانْصَرَفَ عَقِبَةُ رَاجِعًا ، فَمَرَّ بِقُصْرِ خَاوَرٍ ، فَلَمْ يَعْزِضْ لَهُ ، وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِمْ ، وَسَارَ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَأَمْنُوا وَفَتَحُوا مَدِينَتَهُمْ ، وَأَقَامَ عَقِبَةُ بِمَكَانِ اسْمِهِ الْيَوْمَ مَادَ قَرَسَ ،

---

(١) اللغوب والتعب والإعياء .

(٢) خاور مدينة كبيرة جنوبي فرزان ببلخيا .

(٣) كذا في الأصل وقد ذكرت في معجم البلدان كاوار وهي كورة جنوبي قران  
مدینتها خاور .

ولم يكن به ماء ، فأصابهم عطش شديد ، أشقى منه عقبة وأحبابه على الموت ، فصلى عقبة ركعتين ، ودعا الله .

وجعل فرس عقبة يبحث بيديه فى الأرض حتى كشف عن صفاء ، فانفجر منها الماء ، فجعل الفرس يَمصُّ ذلك الماء .

فأبصره عقبة ، فنادى فى الناس ، أن احتفروا ؛ فحفروا سبعين حَسِيماً<sup>(١)</sup> ، فشربوا ، واستقوا ، فسعى لذلك ماء فرس .

ثم رجع عقبة إلى خاور من غير طريقه التى كان أقبل منها ، فلم يشعروا به حتى طرقتهم ليلاً ، فوجدهم مطمئنين قد تمهدوا فى أسرابهم ، فاستباح ما فى المدينة من ذرياتهم وأموالهم . وقتل مقاتلتهم .

ثم انصرف راجعاً ، فسار حتى نزل بموضع زويلة<sup>(٢)</sup> اليوم ، ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر ، وقد جت خيولهم وظهورهم ، فسار متوجهاً إلى المغرب وجانب الطريق الأعظم ، وأخذ إلى أرض مُزَانَة ، فافتتح كل قصر بها ، ثم مضى إلى صُفْر<sup>(٣)</sup> ، فافتتح قلاعها وقصورها .

ثم بعث خيلاً إلى غُدَامِس ، فافتتحت غدامس ؛ فلما انصرفت إليه خيله سار إلى قَفْصَة<sup>(٤)</sup> فافتتحها وافتتح قَصْطِلِيَّةَ<sup>(٥)</sup> .

ثم انصرف إلى القيروان ، فلم يعجب بالقيروان الذى كان معاوية بن حُذَيْم بناه قبله ، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم ، وكان وادياً كثير الشجر

(١) الحمى هو الحفيرة قرية العمق .

(٢) زويلة : عاصمة قران من أعمال ليبيا على ملتقى الطارق الصحراوية . وكثير من سكانها أباضيون ، وبها قبر الشاعر دعلج .

(٣) صُفْر ، كذا ضبطت فى الأصل ، واسمها الحالى صفرو ، وهى مدينة فى شمال المغرب فى قلب جبال أطلس الوسطى ، وثلاث سكانها من اليهود .

(٤) قَفْصَة : بلدة فى تونس ، كان لها شأن كبير فى عهد الرومان .

(٥) قَصْطِلِيَّة ، كذا كتبت فى الأصل ، وقد ورد ذكرها فى معجم البلدان قسطنطينية ، وهى إحدى مدن بلاد توزر الواقعة فى أقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء .



كثير القِطْف ، تأوى إليه الوحوش واليهام ، ثم نادى بأعلى صوته :  
يا أهل الوادى ، ارحلوا - رحمكم الله - فإننا نازلون ؛ نادى بذلك ثلاثة أيام .

فلم يبق من السباع شئ ولا الوحوش واليهام إلا خرج ، وأمر الناس  
بالثَغْيَةِ والخِطَطِ ، ونقل الناس من الموضع الذى كان معاوية بن حُذَيْج نزله إلى  
مكان القَيَرَوَانِ اليوم ، وركز رُجْحَهُ ، وقال : هذا قيروانكم .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا اللث بن سعد أن عقبة بن نافع عزا  
إفريقية ، فأتى وادى القيروان ، فبات عليه وهو وأصحابه حتى إذا أصبح وقف  
على رأس الوادى ، فقال : يا أهل الوادى ، إظعنوا ، فإننا نازلون . قال ذلك  
ثلاث مرات .

فجعلت الحيات تَنَسَّبُ والعقارب وغيرها مما يُعرَف من الدواب ، تخرج  
ذاهبة ، وهم قيام ينظرون إليها من حيث أصبحوا حتى أوجعهم الشمس ، وحتى  
لم يروا منها شيئاً ، فنزلوا الوادى عند ذلك .

قال الليث : فحدثني زياد بن العجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك  
أربعين سنة ، ولو التمسْت حَيَّةً أو عقرباً بألف دينار ما وجدت .

### أبو المهاجر

قال : ثم عُزِلَ عقبة بن نافع في سنة إحدى وخمسين ، عزله مسلمة بن مخلد  
الأنصارى ، وهو يومئذ والى البلد من قِبَلِ معاوية بن سفيان ، ومسلمة بن مخلد  
أول من بُجِمت له مصر والمغرب

وكانت ولاية مسلمة بن مخلد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد  
سنة سبع وأربعين ، وولى أبا المهاجر ديناراً مولى الأنصار ، أوصاه حين ولّاه  
أن يعزل عقبة أحسن العزْلِ ، فخالفه أبو المهاجر ، فأساء عزله وسجنه ، وأوقره

حديداً حتى أتاه الكتاب من الخليفة بتخليه سبيله وإشخاصه إليه ، فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء ، فصلى ، ثم دعا ، وقال : اللهم لا تَمِتْنِي حتى تَمَكِّنِي من أبي المهاجر ، دينار ابن أم دينار .

فبلغ ذلك أبا المهاجر ، فلم يزل خائفاً منذ بلغته دعوته .

فلما قدم عقبة مصر ركب إليه مسلمة بن مخلد ، فأقسم له بالله ، لقد خالفه ما صنع أبو المهاجر ، ولقد أَوْصَيْتَهُ بك خاصة .

وقد كان قيل مسلمة : لو أقررت عقبة فإن له جزالةً وفضلاً ؟

فقال مسلمة : إن أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيلٍ ، فنحن نحسب أن نكافئه .

فلما قدم أبو المهاجر إفريقية كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع ، ومضى حتى خلفه بميلين ، فابتنى ونزل .

وكان الناس قبل أبي المهاجر ، كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة ، وأحمد بن عمرو عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، يغزون إفريقية ، ثم يفتلون منها إلى القسطنطينية .

وأول من أقام بها حين غزاها أبو المهاجر مولى الأنصار ، أقام بها الشتاء والصيف ، واتخذها منزلاً .

وكان مسلمة بن مخلد الذي عقد له على الجيش الذي خرجوا معه إليها ، فلم يزالوا بها حتى قتل ابن الزبير ، فخرجوا منها .

ثم قدم عقبة على معاوية بن أبي سفيان فقال له : فتحت البلاد وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ، ودانت لي ، ثم أرسلت عبد الأنصارى ، فأساء عزلى .

فاعتذر إليه معاوية ، وقال : عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام للظلم ، وتقديمه إياه ، وقيامه بدمه ، وبذل مَهْجَتِهِ ، وقد ردّدتك على عمالك .

ويقال : إن معاوية ليس هو الذي رد عقبة بن نافع ، ولكنه قدم على يزيد .  
ابن معاوية بعد موت أبيه ، فردّه واليا على إفريقية ، وذلك أصبح لأن معاوية .  
توفي سنة ستين .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : توفي معاوية بن .  
أبي سفيان سنة ستين .

### مقتل عقبة بن نافع

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : خرج عقبة بن نافع سرّيعاً بحثه على .  
أبي المهاجر حتى توفي في إفريقية ، فأوثق أبا المهاجر في وثاق شديد ، وأساء عزّله ، .  
وغزا به معه إلى السّوس ، وهو في حديد .

وأهل السّوس بطن من البربر ، يقال لهم أنديّة ، فجول في بلادهم ، لا يعرض .  
له أحد ولا يقاتله ، فانصرف إلى إفريقية . فلما دنا من نعرها أمر أصحابه ، فافترقوا .  
عنه ، وأذن لهم حتى بقى في قلّة ، فأجذ على مكان يقال له شهوذة ، فعرض له .  
كسيلة<sup>(١)</sup> بن لزم في جمع كثير من الروم والبربر ، وقد كان بانه افتراق الناس .  
عن عقبة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل عقبة ومن كان معه ، وقتل أبو المهاجر .  
وهو موثق في الحديد ، ثم سار كسيلة ومن معه حتى نزلوا الموضع الذي كان عقبة .  
اختطه ، فأقام به ، وقهر من قُرب منه ، باب قابس وما يليه ، وجعل يبعث .  
أصحابه في كل وجه .

ويقال : بل خرج عقبة بن نافع إلى السّوس ، واستخلف على القيروان حمز .  
ابن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ؛ وكانت إفريقية تُدعى مُزائق ، فقدّم

---

(١) كسيلة بن لزم أمير قبيلة الأويّة في إفريقية ، وقد أسلم ، وحكم شمال إفريقية ، .  
ثم تمرد على الخليفة فقتل سنة ٦٨٨ م .

عقبة إلى السوس ، وحالفه رجل من العجم في ثلاثين ألفاً ، إلى عمر بن علي وزهير ابن قيس ، وهما في في ستة آلاف ، فمزمه الله .

وخرج ابن السكاهنة البربري على إثر عقبة ، كلما رحل عقبة من منهل<sup>(١)</sup> دفنه ابن السكاهنة ، فلم يزل كذلك حتى انتهى عقبة إلى السوس ، ولا يشعر بما صنع البربري ، فلما انتهى عقبة إلى البحر أقبح فرسه فيه حتى بلغ نحره ، ثم قال : اللهم إني أشهدك ألا تجاز ، ولو وجدت مجازاً لجزئت ؛ وانصرف راجعاً والمياه قد عورت ، وتعاونت عليه البربر ، فلم يزل يقاتل<sup>(٢)</sup> ، وأبو المهاجر معه في الحديد ؛ فلما استعجر الأمر أسر عقبة بفتح الحديد عنه ، فأبى أبو المهاجر ، وقال : ألقى الله في حديدك ؛ فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن معهما .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد أن عقبة بن نافع قدم من عند يزيد بن معاوية في جيش على غزو المغرب ، فرأى على عبد الله بن عمرو ، وهو بمصر ، فقال له عبد الله : يا عقبة ، لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالمهم . فضى مجيشه حتى قاتل البربر ، وهم كفار ، فقتلوا جميعاً .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن زاذر الماعري قال : كنت عند عبد الله بن عمرو بن العاص حين دخل عليه عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري ، فقال : ما أقدمك يا عقبة ؟ فإني أعلمك تحب الإمارة .

قال : فإن أمير المؤمنين يريد العقد لي على جيش إلى إفريقية .

فقال له عبد الله بن عمرو : إياك أن تكون لئمة أرامل أهل مصر ، فإني لم أزل أسمع أنه سيخرج رجل من قريش في هذا الوجه ، فهلك فيه .

(١) منهل : مكان شرب الماء .

(٢) في نسخة د : زيادة ، وكان عقبة قد خرج في فئة قليلة من عسكره إلى السوس ، وخلف عسكره بإفريقية ، وكان رجلاً صالحاً يفتلب التوكل ، لا يقاتل أحداً إلا بقية قليلة ، ويطلب من الله النصر ، ويبلغ في السؤال ، وهو الذي فتح المغرب وما وراءه ، رحمه الله تعالى ، وكان مقتله — قال الليث — في سنة ثلاث وستين .

فقدم إفريقية ، فتتبع آثار أبي المهاجر وضيق عليه وحدده ، ثم خرج إلى قتال البربر ، وهم خيبة آلاف رجل من أهل مصر ، وخرج بأبي المهاجر معه في الحديد ، فقتل ، وقتل أصحابه ، وقتل أبو المهاجر معهم .

وكان مقتل عقبه بن نافع وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة ثلاث وستين .

قال : ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره ، قال : ثم زحف ابن السكاهنة إلى القيربوان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس ، فقاتلاه قتالا شديدا ، فهزم ابن السكاهنة وقتل أصحابه ، وخرج عمر بن علي وزهير بن قيس إلى مصر بالجيش لاجتماع ملائكة البربر ، وأقام ضعفاء أصحابهما ومن كان خرج معها من موالى إفريقية بأطرابلس .

ويقال إن عبد العزيز بن مروان لما ولى مصر كتب إلى زهير بن قيس ، وزهير يومئذ ببرقة ، يأمره بغزو إفريقية ، فخرج في جمع كثير ، فلما دنا من قونية وبها عسكر كسيلة بن لؤم عتبا زهير لقتاله ، وخرج إليه ، فاقتلوا ، فقتل كسيلة ومن معه ، ثم انصرف زهير قافلا إلى برقة . ويقال : بل حسان بن النعمان الذي كان وجه زهير بن قيس ، والله أعلم .

كان مقتل كسيلة ، كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد ، في سنة أربع وستين .

### حسان بن النعمان

ثم قدم حسان بن النعمان واليا على المغرب ، أمره عليها عبد الملك بن مروان في سنة ثلاث وسبعين ، فغضى في جيش كبير حتى نزل أطرابلس ، واجتمع إليه بها من كان خرج من إفريقية وأطرابلس ، فوجه على مقدمته محمد بن أبي بكير ،

• وهلال بن تروان اللواتي وزهير بن قيس ، ففتح البلاد ، وأصاب غنائم كثيرة ،  
• وخرج إلى مدينة قُرطاجنة ، وفيها الروم ، فلم يصب فيها إلا قليلا من ضمائمهم .  
فأنصرف ، وغزا السكاهنة ، وهي إذ ذاك ملكة البربر ، وقد غلبت على جُلِّ  
إفريقية ، فلقبها على نهر يسمى اليوم نهر البلاد ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فهزمت ،  
وقُتلت من أصحابه ، وأسرت منهم ثمانين رجلا ، وأُفلت حسان ، ونفذ من مكانه  
إلى أنطاباس ، فنزل قصورا من حيز برقة ، فسميت قصور حسان ، واستخلف  
على إفريقية أباصالح ، وكانت أنطاباس ولؤيصة ومراقية إلى حدٍّ أجدابية<sup>(١)</sup>  
• من عمل حسان .

فأحسنت السكاهنة إسارَ من أسرته من أصحابه ، وأرسلتهم إلى الرجال منهم من  
بنى عبّس ، يقال له خالد بن يزيد ، فتَبَنَّته وأقام معها ، فبعث حسان إلى خالد  
رجلا ، فأناه ، فقال له : إن حسان يقول لك ، ما يمنعك من الكتاب إلينا  
• بخبر السكاهنة ؟

فكتب خالد بن يزيد إلى حسان كتابا ، وجعله في خبزة مَلَّة ، ثم دفعها إلى  
الرسول ليخفي فيها الكتاب ، وليظن من رأى الخبزة أنها زاد الرجل . فخرجت  
السكاهنة وهي تقول : يا بني ، هلاككم فيما تأكله الناس ؛ فكررت ذلك .  
ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب ، فيه عِلْم ما يحتاج إليه ؛ ثم  
كتب إليه أيضا كتابا آخر ، وجعله في قَرْبُوس<sup>(٢)</sup> حفره ، ووضع الكتاب فيه ،  
• وأطبق عليه حتى استوى وخفي مكانه .

فخرجت السكاهنة أيضا ، وهي تقول : يا بني ، هلاككم في شيء من نبات  
الأرض ميت ؛ فكررت ذلك .

(١) أجدابية : مدينة كبيرة في الصحراء بين برقة وطراباس الغرب ، وهي أكثر بلاد  
الغرب نخلا وأجودها تروا وينسب إليها أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله  
الطراباسي الأجدابي ، وكان أدبيا فاضلا ، وله تصانيف حسنة منها كفاية المحقق وهو مختصر  
في اللغة مشهور ، وكتاب الأنواء .

(٢) القربوس . جنو السرج .

ومضى حتى قدم على حسان ، فندب أصحابه ، ثم غزاها .  
فلما توجه إليها خرجت ناشرة شعرها ، فقالت : يا بني ، انظروا ماذا نرون  
في السماء ؟

قالوا : نرى شيئاً من سحاب أحر .

قالت : لا وإلهي ، ولكنها رَهَجٌ <sup>(١)</sup> خيل العرب .

ثم قالت لخالد بن يزيد : إني إنما كنت تَبْنِيْتُكَ لمثل هذا اليوم ، أنا مقتولة ،  
فأوصيك بأخويك هذين خيراً .

فقال خالد : إني أخاف ، إن كان ما تقولين حقاً إلا يُسْتَبَقِيَا .

قالت : بلى ، ويكون أحدهما عند العرب أعظم شأنًا منه اليوم ، فانطلق ،  
فخذ لهما أماناً .

فانطلق خالد ، فلقى حسان ، فأخبره خبرها ، وأخذ لابنَيها أماناً .

وكان مع حسان جماعة من البربر من البُتْرِ ، فولى عليهم حسان الأكبر من  
ابن السكاهنة وقرّبه ، ومضى حسان ومن معه ، فلقى السكاهنة في أصل جبل ،  
فقتلت وعامة من معها ، فسميت بئر السكاهنة <sup>(٢)</sup> ، وكان مقتل السكاهنة <sup>(٣)</sup> .

قال ثم رجع إلى حديث عمان وغيره ، قال : ثم انصرف حسان ، فزل  
موضع قيروان إفريقية اليوم ، وبنى مسجد جماعتها ، ودون الدواوين ، ووضع الخراج  
على عجم إفريقية ، وعلى من أقام معهم على البصرائية من البربر ، وعامتهم من  
البرانس إلا قليلاً من البُتْرِ ، وأقام حسان بوضعه حتى استقامت له البلاد ، ثم  
توجه إلى عبد الملك بفنائمه في مجدي الآخرة سنة ست وسبعين .

(١) الرهج : الفيار .

(٢) في نسخة س زيادة : ثم انصرف حسان ، فزل موضع قيروان إفريقية اليوم ،  
وكان مثل السكاهنة . قال ، ثم رجع إلى حديث عمان وغيره قال ، وبنى مسجد جماعتها . الخ  
(٣) يباش في الأصل لم يذكر تاريخ موت السكاهنة .

قال : وحدثنا ابنُ بكير حدثنا الليث بن سعد قال : قتل حسان بن النعمان من إفريقية سنة ثمان وسبعين ، فلما مرَّ حسان ببرقة أمر على خراجها إمرأهيم بن النصراني ، ثم مضى ، فر بعبد العزيز بن مروان وهو مصر ، ثم نفذ إلى عبد الملك ، فسرَّ عبد الملك لما أُورِدَ عليه حسان من فتوجه وغناءه . ويقال : بل أخذ منه عبد العزيز كل ما كان معه من السَّبِي ، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشيء لم ير مثله جمالا ، فكان نُصَيْبُ الشاعر يقول : حضرت السبي الذي كان عبد العزيز أخذه من حسان مائتي جارية ، منها ما يقام بألف دينار .

#### مقتل زهير بن قيس

قال وأغارَت الروم بعد حسان على أنطابلس ، فهرب ابنُ النصراني وخلي أهل أنطابلس وأهل ذمتها في أيدي الروم ، فرأسوها أربعين ليلة حتى أسرعوا فيها الفساد .

وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان فأرسل إلى زهير بن قيس ، وكان خرج مع حسان ، فلما بلغ مصر أقام بها ، فأمره عبد العزيز بالهوض إلى الروم ، ولم يجتمع زهير من أصحابه إلا سبعون رجلا ، وكان عارض من الصدَف يقال له ، جندل بن صخر ، وكان فظلا غليظا

فقال زهير لعبد العزيز بن مروان : أما إذ قد أمرتني بالخروج فلا تبعن معي جندلا عارضا ، فيحبس على الناس ، لشدة وفظاظته ، وكان عبد العزيز عاتبا على زهير بن قيس لأنه كان قاتله حين وجهه أبوه مروان بن الحكم من ناحية أيلة من قبل أن يدخل مصر .

فقال له : ما علمتك يا زهير إلا جلفا جافيا .

فقال له : ما كنت أرى يا ابن كَيْلَى أن رجلا جمع ما أنزل الله على محمد



صلى الله عليه وسلم من قبل أن يجتمع أبواك جلفٌ جافٌ ، ماهو بالجلف ولا الجلف ، أنا منطلق فلا ردنى الله إليك .

فخرج حتى إذا كان بَدْرَةَ<sup>(١)</sup> من طَبْرِقَةِ<sup>(٢)</sup> من أرض أنطا بلس لقي الروم ، وهو في سبعين رجلا ، فتوقف لتَلَحُّق به الناس .

فقال له فتى شاب كان معه : جَبِئْتُ يا زهير .

فقال . ما جبنتُ يا ابن أخى ، ولكن قتلتنى وقتلت نفسك .

فلقبهم ، فاستشهد زهير وأصحابه جميعاً ، فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم .

وكان مقتل زهير وأصحابه كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث في سنة ست وسبعين .

قال : وكان بأَمْسَلَس من بَرِّيَةِ أنطا بلس رجل من مَذْمُوج ، يقال له عطية بن بَرْبُوع ، خرج يابن له هاربا من الوباء ، وكان في تلك البرية جماعة من المسلمين ، فاستقاهم وركب قمين حوله من الناس ، فاجتمع إليه سبعائة رجل ، فزحف بهم إلى الروم ، فقاتلهم فهزموهم ، واعتصموا بسفهم ، وهرب من بقى منهم .

وبلغ ذلك عبد العزيز بن مروان ، فبعث إليها غلاما ، يقال له تَلِيد ، ووجهه معه ناسا من أشرف أهل مصر فضبطها .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : أُمِر على أنطا بلس حين قتل زهير طارق ، فقتل على الناس إمامة تَلِيد بهم ، لأنه عبد ، فبلغ ذلك عبد العزيز ابن مروان . فأرسل إلى تَلِيد بعثته ، وأقام بأنطا بلس .

(١) بدرنة : إحدى بلاد ليبيا ، وتقع على البحر الأبيض المتوسط شرق بنغازى .

(٢) طبرقة : بلدة في ساحل تونس على بعد ١٥ كيلومترا من حدود الجزائر ، وقد ازدهرت على عهد روما وبيزنطية .

( م ١٨ — فتوح مصر )

### موسى بن نصير

وقدم حسان بن النعمان من قبل عبد الملك متوجهاً إلى المغرب، فلما قدم مصر قال لعبد العزيز : اكتب إلى جدك بالإعراض عن انطابلس .

فقال له عبد العزيز : ما كنت لأفعل بعد إذ ضيعتها فاستولت عليها الروم .  
فقال حسان : إذن أرجع إلى أمير المؤمنين .

فقال عبد العزيز : إرجع .

فانصرف حسان راجعاً إلى عبد الملك ، وخلف ثقله بمصر .

فقدم على عبد الملك ، وهو مريض .

ووجه عبد العزيز موسى بن نصير إلى المغرب .

فأخبر حسان عبد الملك بذلك ؛ فخرّ عبد الملك ساجداً ، وقال : الحمد لله الذى أمكننى من موسى ، لشدة أسفه عليه .

وكان عاملاً لعبد الملك على العراق مع بشر بن مروان ، فعتب عليه عبد الملك وأراد قتله ، فافتداه منه عبد العزيز بمال لما رأى من عقل موسى بن نصير ولبته وكان عنده بمصر .

ثم لم يلبث حسان بن النعمان إلا يسيراً ، حتى توفى ؛ وقدم موسى بن نصير المغرب فى سنة ثمان وأربعين .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث قال : أمر موسى بن نصير على إفريقية سنة تسع وسبعين ؛ فعزل أبا صالح وافتتح عامة المغرب ، وواتر فتوحه ؛ وكتب بها إلى عبد العزيز بن مروان ؛ وبعث بفتايمه ؛ وأنهاها عبد العزيز إلى عبد الملك فسكر ذلك من عبد الملك بعض ما كان يتجد على موسى .

حدثنا عبد الملك بن مسleme، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش ، فأصاب من السبى مائة ألف ، وبعث ابن أخيه في جيش آخر . فأصاب مائة ألف .

ف قيل لـيـث بن سعد . من هم ؟ .

فقال : البربر .

فلما أتى كتابه بذلك قال الناس : ابن نصير والله أحق ، من أين له عشرين ألفاً يبعث بها إلى أمير المؤمنين في المجلس ؟

فبلغ ذلك موسى بن نصير ، فقال : ليعيشوا من يقبض لهم عشرين ألفاً .

ثم توفي عبد الملك بن مروان ، وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين . واستخلفت الوليد بن عبد الملك ، فتوالت فتوح المغرب على الوليد من قبل موسى بن نصير فغضبت منزلة موسى عنده ، واشتد عجه به <sup>(١)</sup> .

ذكر

فتح الأندلس

قال : ووجه موسى بن نصير ابنه مروان بن موسى إلى طنجة مرابطاً على ساحلها ، فجهد هو وأصحابه ، فانصرف ، وخلف على جيشه طارق بن عمرو ، وكانوا ألفاً وسبعائة .

(١) في نسخة زيادة : ثم فتح الله الأندلس على المسلمين على يد بسر بن أرطاة وموسى بن نصير ، وغنموا غنائم كثيرة لم يبلغها حصر حتى كتب موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك حين فتح الأندلس أنه ليس بالفتح ، إنما هو الحفر ، ووجدوا فيها مائدة سليمان بن داود وتاجه ، وفتحت فيها كنوز كثيرة ، وغلت الناس غلواً كثيرة ، فلما رجعوا بالغانم في البحر سمعوا قاطلاً لإبراهيم بن شخصه : اللهم شرّق بهم ، فسطعوا ، وتقلدوا بالمصاحف ، فهاجت الريح وضربت السفن بعضها بعضاً ، ففرقوا أجهين إلا رجلين ، لم يكونا من القلوب في شيء ، فسلموا . ( انظر صحيفة ١١٦ ) .

ويقال : بل كان مع طارق اثنا عشر ألفا من البربر إلاسته عشر رجلا من العرب ، وليس ذلك بالصحيح .

و يقال : إن موسى بن نصير خرج من إفريقية غازيا إلى طَنْجَة ، وهو أول من نزل طَنْجَة من الولاة ، وبها من البربر بطون البُتْر والبرانس ممن لم يكن دخل في الطاعة .

فلما دنا من طَنْجَة بث السرايا ، فأنهت خيله إلى السوس الأَدْنَى ، فوطئهم وسبام ، وأدوا إليه الطاعة ، وولى عليهم واليا أحسن فيهم السير .

ووجه بُسر بن أبي أطارة إلى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة أيام ، فافتتحها ، وسبى الذرية وغنم الأموال . قال ، فسميت قلعة بُسر ، فهي لا تعرف إلا به إلى اليوم .

ثم إن موسى عزل الذي كان استعمله على طَنْجَة ، وولى طارق بن زياد ، ثم انصرف إلى القيروان ، وكان طارق قد خرج معه بجارية له ، يقال لها أم حكيم ، فأقام طارق هناك مُرابطاً زمانا ، وذلك في سنة ثنتين وتسعين .

وكان الحجاز الذي بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم ، يقال له : يُلَيَّان صاحب سَبْتَه<sup>(١)</sup> ، وكان على مدينة على الحجاز إلى الأندلس ، يقال لها : الخضراء — والخضراء مما على طَنْجَة — وكان يُلَيَّان يؤدي الطاعة إلى لُدْرِيْق صاحب الأندلس ، وكان لُدْرِيْق يسكن طُلَيْطَلَة<sup>(٢)</sup> .

(١) سبتة : مدينة في المغرب الأسباني على مضيق جبل طارق ، وقد تميز عندها طارق ابن زياد بالوسائل البحرية لقطع البرزخ في سنة ٧١١ م ، وينسب إليها جماعة من أعيان أهل العلم ، منهم ابن موانة البصري أستاذ ابن العربي القرطبي ..

(٢) طليطلة : مدينة في أسبانيا قرب مدريد فتحها طارق بن زياد سنة ٧١٤ م ، واستردها إلى الأسبان ملك قشتالة سنة ١٠٨٥ م ، وبها آثار عربية فجة .

فراسل طارق يُليانَ ولا طفه حتى تهاديا .

وكان يليان قد بعث بابنته إلى أذريق صاحب الأندلس، ليؤدبها ويعلمها،  
فأخبرها، فبلغ ذلك يليان، فقال : لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل  
عليه العرب .

فبعث إلى طارق : إني مدخلك الأندلس، وطارق يومئذ يتلمس<sup>(١)</sup> ،  
وموسى بن نصير بالقيروان .

فقال طارق : فإني لا أطئن إليك حتى تبعث إليّ برهينة .

فبعث إليه بابنته، ولم يكن له ولد غيرها، فأقرها طارق بتلمس<sup>(٢)</sup> ،  
واستوثق منهما .

ثم خرج طارق إلى يليان، وهو بسبّعة على الحجاز، ففرح به حين قدم عليه،  
وقال له : أنا مدخلك الأندلس .

وكان فيما بين الحجازين جبل يقال له اليوم جبل طارق فيما بين سبتة والأندلس .  
فلما أمسى جاءه يليان بالراكب، فحمله فيها إلى ذلك الحجاز، فأمكن فيه  
سهاره؛ فلما أمسى ردّ الراكب إلى من بقى من أصحابه، فحملوا إليه حتى لم يبق  
منهم أحد، ولا يشعر بهم أهل الأندلس، ولا يظنون إلا أن المراكب تختلف  
بمثل ما كانت تختلف به من منافعهم .

وكان طارق في آخر غرّوج ركب، فجاز إلى أصحابه، وتخلف يليان ومن  
كان معه من التجار بالغصراء، ليسكون أطيب لأنفس أصحابه وأهل بلده .

وبلغ خبر طارق ومن معه أهل الأندلس ومكانهم الذي هم به، وتوجه

---

(١) تلمس : مدينة في الجزائر، وصوابها تلمسان، وهي مدينة قديمة اختطها ملوك  
الغرب اللاتيون، ولها ينسب أبو الحسين خطاب بن أحمد التلمساني الشاعر .

طارق ، فسلك بأصحابه على قنطرة من الجبل إلى قرية يقال قَرْطَاجَنَّة<sup>(١)</sup> ،  
وزحف يريد قَرْطُبة ، فَرَبَّجَزيرة في البحر ، فخلَّف بها جارية له ، يقال لها  
أم حكيم ، ومعها نفر من جنده ، فتلك الجزيرة من يومئذ تسمى جزيرة أم حكيم .  
وقد كان المسلمون حين نزلوا الجزيرة وجدوا بها كَرَّامين ، ولم يكن بها  
غيرهم ، فأخذوهم ، ثم عمدوا إلى رجل من الكَرَّامين فذبجوه ، ثم عضَّوه .  
وطبخوه ، ومن بقى من أصحابه ينظرون ، وقد كانوا طبخوا لحما في قُدُورٍ أُخَرَ .  
فلما أدركت طرَحوا ما كانوا طبخوه من لحم ذلك الرجل ولا يُعْلَم بطرحهم له ،  
وأكلوا اللحم الذي كانوا طبخوه .

ومن بقى من الكَرَّامين ينظرون إليهم ، فلم يشكوا أنهم أكلوا لحم صاحبهم ،  
ثم أرسلوا من بقى منهم ، فأخبروا أهل الأندلس أنهم يأكلون لحم الناس ،  
وأخبروهم بما صنَّع بالكَرَّام .

قال : وكان بالأندلس كما حدثنا أبي عبد الله بن عبد الحَكَم وهشام بن اسحق  
بيتٌ عليه أُنْفَالٌ ، لا يلي ملك منهم إلا زاد عليه قُفْلًا من عنده ، حتى كان الملك  
الذي دخل عليه المسلمون ، فلأنهم أرادوه أن يحمل عليه قُفْلًا كما كانت تصنع الملوك  
قبله ، فأبى ، وقال : ما كنت لأضع عليه شيئًا حتى أعرف ما فيه .

فأمر بفتحهِ ، فإذا فيه صور العرب ، وفيه كتاب ، إذا فتح هذا الباب دخل  
هؤلاء القوم هذا البلد .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : فلما جاز تلقته جنود قَرْطُبة واجترأوا  
عليه للذي رأوا من قلة أصحابه ، فاشتد قتالهم ، ثم انهزموا ، فلم يزل  
يقتلهم حتى بلغوا مدينة قَرْطُبة .

---

(١) قرطاجنة : مدينة بالأندلس ، وكانت تعرف بقرطاجنة الحائِثاء ، وقد خربت من  
ماء البحر ، وكانت قد شيدت على مثال قرطاجنة إفريقية .

وبلغ ذلك لذرّيق ، فزحف إليهم من طليطلة ، فالتقوا بموضع يقال له شذونة<sup>(١)</sup> على وادي ، يقال له اليوم وادي أمّ حكيم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل الله عز وجل لذرّيق ومن معه .

وكان معتب الرومي غلام الوليد بن عبد الملك على خيل طارق ، فزحف معتب الرومي يريد قرطبة ، ومضى طارق إلى طليطلة ، فدخلها ، وسأل عن المائدة ، ولم يكن له ثمّ غيرها ، وهي مائدة سليمان بن داود التي يزعم أهل الكتاب .

قال : وحديثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث بن سعد قال : ففتح لموسى بن نصير الأندلس ، فأخذ منها مائدة سليمان بن داود عليه السلام والتاج .

ف قيل لطارق : إن المائدة بقلمة يقال لها فراس ، مسيرة يومين من طليطلة ، وعلى القلمة ابن أخت لذرّيق . فبحث إليه طارق بأمانه وأمان أهل بيته ، فنزل إليه ، فأمنه ووفى له .

فقال له طارق : ادفع إلى المائدة .

فدفعها إليه وفيها من الذهب والجوهر ما لم ير مثله .

فقلع طارق رجلا من أرجلها بما فيها من الذهب والجوهر ، وجعل لها رجلا سواها ، فقوت المائدة بمائتي ألف دينار ، لما فيها من الجوهر ، وأخذ طارق ما كان عنده من الجوهر والسلاح والذهب والقضة والآنية ، وأصاب سوى ذلك من الأموال ما لم ير مثله ، فحوى ذلك كله .

ثم انصرف إلى قرطبة وأقام بها .

وكتب إلى موسى بن نصير يطلبه بفتح الأندلس ، وما أصاب من الغنائم ،

---

(١) شذونة : مدينة في الجنوب الغربي لاسبانيا في إقليم وادي ياش ، وكانت قاعدة ولاية إقليم إشبيلية أيام المسلمين ، وكانت حاميتهما من عرب فلسطين .

فكتب موسى إلى الوليد بن عبد الملك يُعلمه بذلك ونَحَلَه نفسه ، وكتب موسى إلى طارق ألا يماوز قرطبة حتى يقدم عليه ، وشمته شتما قبيحا .

ثم خرج موسى بن نصير إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين بوجوه العرب والموالي وعُرفاء البربر حتى دخل الأندلس ، وكان مَحِيظًا على طارق ، وخرج معه حبيب بن أبي عبيدة القُمرى ، واستخلف على القيروان ابنه عبد الله ابن موسى ، وكان أَسَنَ ولده .

فأجاز من الخضراء ، ثم مضى إلى قرطبة<sup>(١)</sup> ، فالتقاء طارق ، فترضاه ، وقال له : إنما أنا مولاك ، وهذا الفتح لك .

فجمع موسى من الأموال ما لا يُقدر على صفته ، ودفع طارق ، كل ما كان غنم إليه .

قال : ويقال بل توجه لُذريق إلى طارق ، ولُذريق يومئذ على سرير مُلكه ، والسرير بين بَعْدَيْنِ يَحْمِلَانِهِ ، وعليه تاجُهُ وقُفَّازُهُ ، وجميع ما كانت الملوك قبله تلبسه من الحليّة .

فخرج إليه طارق وأصحابه رجالةً ، كلهم ليس فيهم راكب ، فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن غربت ، وظنوا أنه القناء ، فقتل الله لُذريق ومن معه ، وفتح للمسلمين ، ولم يكن بالمغرب مقتلة قط أكثر منها ، فلم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة أيام ، ثم ارتحل الناس إلى قرطبة .

قال : ويقال إن موسى الذى وجّه طارقا بعد مدخله الأندلس إلى طُلَيْطَلَة ، وهى النصف فجاً بين قرطبة وأرْبُونَة ، وأرْبُونَة أقصى ثغر الأندلس .

---

(١) قرطبة : مدينة فى أسبانيا أسسها الفينيقيون ، واستمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين فى الأندلس ، فازدحرت فى أيامهم ، وقد شيدوا فيها المباني العظيمة .



وكان كتاب عمر بن عبد العزيز ينتهى إلى أربونة ، ثم غلب عليها أهل الشِّرك ، فهى فى أيديهم اليوم ، وأن طارقاً إنما أصاب المائدة فيها .  
وكان لُذريق يملك ألفى ميل من الساحل إلى ماوراء ذلك ، وأصاب الناس غنائم كثيرة من الذهب والقضة .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال : إن كانت الطَّنْفِسَة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة من الذهب بالؤلؤ والياقوت والزَّبَرَجَد ، وكان البربر ربما وجدوها فلا يستطيعون حملها حتى يأثروا بالفأس ، فيضرب وسطها ، فيأخذ أحدها نصفها والآخر نصفها لأنفسهم ، وتسير معهم جماعة والناس مشتغلون بغير ذلك .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا الليث بن سعد قال . لما فتحت الأندلس جاء إنسان إلى موسى بن نصير فقال : ابعثوا معي أدلكم على كنز . فبعث معه ؛ فقال لهم الرجل : انزعوا هاهنا . فنزعوا .

قال . فسأل عليهم من الزَّبَرَجَد والياقوت شىء لم يروا مثله قط ، فلما رأوه هتبيوه ، وقالوا : لا يصدقنا موسى بن نصير . فأرسلوا إليه حتى جاء ونظر إليه .

حدثنا عبد الملك ، حدثنا الليث بن سعد أن موسى بن نصير حين فتح الأندلس كتب إلى عبد الملك ، إنها ليست بالفتوح ولكن به الحشر .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال : لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم ، فغفلوا فيها غلوا<sup>(١)</sup> كثيراً ، حملوه فى المراكب وركبوا فيها ؛ فلما وسطوا البحر سمعوا منادياً يقول : اللهم غرق بهم . فدعوا الله وتقلدوا المصاحف .

---

(١) الغلول : الخيانة فى النعم .

قال : فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة ، وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تسكّرت وغرق بهم .

وأهل مصر ينكرون ذلك ويقولون : إن أهل الأندلس ليس هم الذين غرقوا ، وإنما هم أهل سرّدانية .

وذلك أن أهل سرّدانية كما حدثنا سعيد بن جعفر لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى ميناء لهم في البحر ، فسدّوه ، وأخرجوا منه الماء ، ثم قذفوا فيه آتيتهم من الذهب والنفضة ، ثم ردّوا عليه الماء بحاله ، وعمدوا إلى كنيسة لهم ، فجعلوا لها سقفاً من دون سقفا ، وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفتين .

فزل رجل من المسلمين يقتل في ذلك للوضع الذي سكرّوه ، ثم أعادوا عليه الماء ، فوقعت رجله على شيء فأخرجته ، فإذا صحفة من فضة ، ثم غاص أيضاً فأخرج شيئاً آخر .

فلما علم المسلمون بذلك حبسوا عنه الماء ، وأخذوا جميع تلك الآنية ، ودخل رجل من المسلمين ومعه قوس بُندُق إلى تلك الكنيسة التي رفعوا بين سقفتيها ما لهم ، فنظر إلى سخام ، فرماه ببُندُقه ، فأخطأه ، وأصاب شبيحة خشب ، فكسرها ، وانهاه عليهم المال ، ففعل المسلمون يومئذ غلوا كثيراً ، فإن كان الرجل ليأخذ المهر فيذهبها ، ويرى بما في جوفها ، ثم يحشوه بما غلّ ، ثم يخط عليه ويرمى بها إلى الطريق ليتوهم من رآها أنها مينة ، فإذا خرج أخذها ، وإن كان الرجل يزرع نصل سيفه فيطرّحه ويملاً الجفن غلوا ويضع قائم السيف على الجفن .

فلما ركبو السفن وتوجهوا سمعوا منادياً ينادى ، اللهم غرق بهم ؟ فنقلوا المصاحف ففرقوا جميعاً إلا عبد الرحمن الحُلَيْلى وحشش بن عبد الله السجّاسي فإنهما لم يكونا ندياً<sup>(١)</sup> من الغلول بشيء .

(١) في نسخة - أخذنا .

حدثنا عبد الملك بن مسلمة ، حدثنا ابن طهية قال : سمعت أبا الأسود قال : سمعت عمرو بن أوس يقول ، بعثنى موسى بن نصير أفتش أصحاب عطاء بن رافع مولى هزيل حين انكسرت مراكبهم ، فسكنت ربما وجدت الإنسان قد خبا الدنانير في خرقه في شيء بين خصيتيه ، قل : فرّ بي إنسان مُتَكِنًا على قهصبة ، فذهبت أفتشه ، فناز عني ، فعضبت ، فأخذت القهصبة ، فضرته بها . فانكسرت ، وانتثرت الدنانير منها ، فأخذت أجمعها .

حدثنا عبد الملك حدثنا الليث بن سعد قال : بلغني أن رجلا في غزوة عطاء ابن رافع أو غيره بالمغرب غل ، فتحمل بها حتى جعلها في زفت ، فسكان يصيح عند الموت ، من الزفت من الزفت .

قال . وأخذ موسى بن نصير طارق بن عمرو ، فشده وثاقا وجبسه ، وهم بقتله ، وكان مُعْتَبَ الرومي غلاما للوليد بن عبد الملك ، فبعث إليه طارق ، إنك إن زفت أمرى إلى الوليد ، وأن فتح الأندلس كان على يدي ، وأن موسى حبسني . يريد قتي ، أعطيتك مائة عبد ، وعاهده على ذلك .

فلما أراد معتب الانصراف ودّع موسى بن نصير ، وقال له : لا تعجل على طارق ولك أعداء ، وقد بلغ أمير المؤمنين أمره ، وأخاف عليك وجده ، فانصرف . معتب وموسى بالأندلس .

فلما قدم معتب على الوليد أخبره بالذي كان من فتح الأندلس على يدي طارق ، ومحبس موسى لإيائه ، والذي أراد به من القتل ، فكتب الوليد إلى موسى . . . يقسم له بالله ، إن ضربته لأضرب بك ، ولئن قتلته لأقتل ولدك به . . . وجهه الكتاب مع معتب الرومي .

فقدم به على موسى الأندلس ، فلما قرأه أطلق طارقا وخلي سيبله ، ووفى طارق لمعتب بالمائة عبد التي كان جعل له .

وخرج موسى بن نصير بغنائمه والجواهر والمائدة ، واستخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى ، وكانت إقامة موسى بالأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وأربع وتسعين ، وأشهر من سنة خمس وتسعين .

فلما قدم موسى إفريقية كتب إليه الوليد بن عبد الملك بالخروج إليه ، فخرج واستخلف على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى ، وسار بتلك الغنائم والهدايا حتى قدم مصر ، ومرض الوليد بن عبد الملك ، فتكأن يكتب إلى موسى يستعجله ، ويكتب إليه سليمان بالسكث والمقام لموت الوليد ، ويصير مامع موسى إليه . وخرج موسى حتى إذا كان بطبرية أئته وفاة الوليد ، فقدم على سليمان بتلك الهدايا ، فسر سليمان بذلك .

ويقال . إن موسى بن نصير حين قدم من الأندلس لم ينزل القيروان ، خلفها ونزل قصر الماء ، ونحى هنالك ، ثم شخص وشخص معه طارق .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال : قتل موسى بن نصير واقدا إلى أمير المؤمنين في سنة ست وتسعين ، ودخل القسطنطين يوم الخميس ست ليالٍ بقين من شهر ربيع الأول .

ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح وغيره ، قال : فبينما سليمان يقرب تلك الهدايا إذ انبعث رجل من أصحاب موسى بن نصير يقال له عيسى بن عبد الله الطويل من أهل المدينة ، وكان على الغنائم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أغناك بالحلل عن الحرام ؛ وإنى صاحب هذه المقاسم ؛ وأن موسى لم يُفْرَجَ حُمُسا من جميع ما أتاك به .

فغضب سليمان وقام عن سريره ، فدخل منزله ، ثم خرج إلى الناس فقال : نعم ، قد أغناي الله بالحلل عن الحرام ، وأمر بإدخال ذلك بيت المال .

وقد كان سليمان قد أمر موسى بن نصير برفع حوائجه وحوائج من معه ، ثم الانصراف إلى المغرب .

قال : ويقال : بل قدم موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك ، والوليد مريض ، فأهدى إليه موسى المائدة ، فقال طارق ، أنا أصبْتُها .  
فكذَّبَه موسى .

فقال للوليد : فادع بالمائدة ، فانظر هل ذهب منها شيء .  
فدعا بها الوليد ، فنظر ، فإذا برجل من أرجلها لا تشبه الرجل الأخرى .  
فقال له طارق : سَلِّ يا أمير المؤمنين ، فإن أخبرك بما تستدل به على صدقه .  
فهو صادق .

فسأله الوليد عن الرجل .  
فقال : هكذا أصبْتُها .

فأخرج طارق الرجل التي كان أخذ منها حين أصابها ، فقال : يستدل أمير المؤمنين بها على صدق ما قلتُ له ، وأنى أصبْتُها .  
فصدقه الوليد ، وقيل قوله ، وأعظم جائزته .

ثم رجع إلى حديث عثمان وغيره قال : وكان عبد العزيز بن موسى بعد خروج أبيه قد تزوج امرأة نصرانية ، بنت ملك من أهل الأندلس ، يقال إنها ابنة لُذْرِيق .  
ملك الأندلس الذي قتله طارق ، فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يوصف .

فلما دخلت عليه قالت : مالي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون .  
لك كما كان أهل مملكة أبي يعظمونه ويسجدون له ؟

فلم يدر ما يقول لها ، فأمر بباب ، فنُقِبَ له في ناحية قصره ، وجعله قصيراً ،  
وكان يأذن للناس ، فيدخل الداخل إليه من الباب حين يدخل مُتَكِّئاً رأسه  
لقصر الباب ، وهي في موضع تنظر إلى الناس منه .  
فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز : الآن قوى مملكتك .

• وبلغ الناس أنه إنما نقب الباب لهذا .

وزعم بعض الناس أنها نصرته ، فشار به حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد ابن النابغة التميمي ، وأصحاب لهم من قبائل العرب ، واجتمعوا على قتل عبد العزيز الذي بلغهم من أمره ، وأنوا إلى مؤذنه فقالوا : أَذْنٌ بَلِيلٌ لِسِكِّي نَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ . فَأَذَنَ الْمُؤَذِّنُ ، ثُمَّ رَدَّ التَّنْوِيبَ ، فخرج عبد العزيز ، فقال لمؤذنه : لَقَدْ عَجِلْتُ وَأَذْنْتُ بَلِيلَ .

ثم توجه إلى المسجد وقد اجتمع له أولئك نفر وغيرهم ممن حضر الصلاة ، فقدم عبد العزيز ، وافتتح يقرأ . « إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَيْسَ لِقَوْمَتِهَا كَذِبَةٌ ، خَافِضَةُ رَافِعَةٍ » ، فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز ، فانصرف هارباً حتى دخل داره ، فدخل جنانا له ، واختبأ فيه تحت شجرة ، وهرب حبيب بن أبي عبيدة وأصحابه ، واتبعه زياد بن النابغة ، فدخل على أثره ، فوجده تحت الشجرة : فقال له عبد العزيز : يَا ابْنَ النَابِغَةِ ، نَجَّيْتُ وَلَكَ مَا سَأَلْتَ .

فقال : لَا تَذُوقُ الْحَيَاةَ بَعْدَهَا .

فأجهز عليه ، واحتز رأسه .

• وبلغ ذلك حبيباً وأصحابه ، فرجوا .

ثم خرجوا برأس عبد العزيز إلى سليمان بن عبد الملك ، وأمروا على الأندلس أيوب بن أخت موسى بن نصير ، ومروا على القيروان وعليها عبد الله بن موسى ابن نصير ، فلم يعرض لهم ، وساروا حتى قدموا على سليمان برأس عبد العزيز بن موسى ، فوضعه بين يديه ، وحضر موسى بن نصير ، فقال له سليمان :

أتعرف هذا ؟

قال : نعم أعرفه صَوَّامًا قَوَّامًا ، فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه .

وكان قتل عبد العزيز بن موسى كما حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن  
الليث بن سعد في سنة سبع وتسعين .

قال : وكان سليمان عاتبا على موسى بن نصير ، فدفعه إلى حبيب بن أبي عبيدة  
وأصحابه ليخرجوا به إلى إفريقية ، فاستغاث بأبيوب بن سليمان فأجازه ، وشفع  
له إلى أبيه .

ويقال : إن سليمان أخذ موسى بن نصير ، ففرم له مائة ألف دينار ، وألزمه  
ذلك ، وأخذ ما كان له ، فاستجار بيزيد بن المهدي ، فاستوبه من سليمان ،  
فوهبه له وماله ، ورد ذلك عليه ولم يلزمه شيئا .

ومكث أهل الأندلس بعد ذلك سنتين لا يجمعهم وال .

وعزم سليمان على الحج ، فأخرج موسى بن نصير على نصب جحره ، فخرج حتى  
إذا كان بالمز<sup>(١)</sup> توفي ، وكانت وفاته في سنة سبع وتسعين فها حدثنا يحيى بن  
بكير عن الليث بن سعد .

ثم ولي إفريقية محمد بن يزيد القرشي ، ولأه سليمان بن عبد الملك بمشورة  
رجاء بن حيوة ، وصرف عبد الله بن موسى سنة ست وتسعين .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث قال : أمر محمد بن يزيد نعلي إفريقية سنة  
سبع وتسعين ، فلم يزل محمد بن يزيد واليا حتى توفي سليمان بن عبد الملك ، وكانت  
وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة لعشر ليال بقين من  
صفر سنة تسع وتسعين ، ففُزل ؛ وولي مكانه اسماعيل بن عبيد الله في الحرم  
سنة مائة على حربها وخراجها وصدقاتها ، وكان حسن السيرة ، ولم يبق في ولايته  
يومئذ من البربر أحد إلا أسلم ، فلم يزل واليا عليها حتى توفي عمر بن عبد العزيز ؛

---

(١) المز : بطن من بطون إسم ، والمراد مكان نزولهم .

وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الجمعة اشهر ليل  
بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، فعزل وولى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب  
الحجاج ، ولأه يزيد بن عبد الملك في سنة إحدى ومائة .

وعبد الله بن موسى بن نصير يومئذ بالمشرق ، فقدم مع يزيد بن أبي  
مسلم إلى إفريقية حتى إذا كان قريباً منها تلقاه الناس ، فلما دخل القيروان عزم  
يزيد بن أبي مسلم على عبد الله بن موسى بن نصير أن ينصرف إلى منزله ، فضى  
عبد الله إلى داره ، وأمر يزيد الناس باتباعه حتى ظنوا أنه شريك معه .

فلما أدير عبد الله أخقه يزيد رسولاً ، بأن أعد من مالكة عطاء الجند  
خمس سنين .

ثم إن يزيد بن أبي مسلم أخذ موالى موسى بن نصير من البربر ، فوشم  
أيديهم وجعلهم أخماساً ، وأحصى أموالهم وأولادهم ، ثم جعلهم حرسه وبطالته ،  
وأخذ محمد بن يزيد القرشي ، فعذب به وجلده جلداً وجيعاً ، فاستسقاها ، فسقاها رماًداً .

وكان محمد بن يزيد قد ولى عذاب يزيد بن أبي مسلم بالمشرق في زمان  
الحجاج ، فقال له يزيد : إذا أصبحت عذبتك حتى تموت أو أموت قبلك .

وكان قد بنى له في السجن بيتاً ضيقاً ، فجعله فيه ، وكساه حبة صوف غليظة ،  
وطعم عليها بخاتم من رصاص .

فلما تمشى يزيد بن أبي مسلم أتى في آخر طعامه بعنب ، فتناول منه عنقوداً ،  
وأهوى إليه رجل من حرسه — يقال له حريز — بالسيف ، فضر به حتى قتله ،  
وأخذ رأسه ، ورمى بها المسجد عتمة .

فأقبل غلام محمد بن يزيد ، فدخل عليه السجن ، فقال : أبشر فإن  
يزيد قد قتل .



فقال له محمد : قد كذبت . وظن أنه دُسَّ إليه .  
ثم أتبعه آخر من غلغله ، ثم آخر ، حتى توافوا سبعة .  
فلما تيقن محمد بموت يزيد أعتق العبيد .

قال : ويقال ، بل كان حرس يزيد بن أبي مسلم حين قدم البربر ليس فيهم إلا بُتْرِيٌّ، وكانوا هم حرس الولاية قبله . البُتْرُ<sup>(١)</sup> خاصة ، ليس فيهم من البرانس أحد .  
فخطب يزيد بن أبي مسلم الناس فقال : إني إن أصبحت صالحا وثممتُ  
حرسى في أيديهم كما تصنع الروم ، فأُثِمَّ في يد الرجل اليُمْنَى اسمه ، وفي اليسرى  
حرسى ، فيعرفون بذلك من غيرهم .  
فأَنفوا من ذلك ، ودبَّ بعضهم إلى بعض في قتله ، وخرج من ليلته إلى المسجد  
لصلاة المغرب ، فقتلوه في مُصَلَّاه ، وكان قتله كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن  
سعد في سنة ثنتين ومائة .

فلما قتل يزيد بن أبي مسلم اجتمع الناس ، فنظروا في رجل يقوم بأمرهم إليه  
أن يأتي رأْيُ يزيد بن عبد الملك ، فتراضوا بالمغيرة بن أبي بُرْدَةَ القرشي ، ثم  
أحد بنى عبد الدار .  
فقال له عبد الله ابنه : أيها الشيخ ، إن هذا الرجل قُتِلَ بحضرتك ، فإن قمتَ  
بهذا الأمر بعده لم آمن عليك أن يُزَيِّمَكَ أميرُ المؤمنين قتله :  
فقبل ذلك الشيخ .

فاجتمع رأى أهل إفريقية على محمد بن أوس الأنصارى ، وكان بتونس  
على غزو مجرها ، فأرسلوا إليه ، فوَلَّوه أمرهم .  
وكتب إلى يزيد يخبره بما كان ، فبهت في ذلك خاله بن أبي عمران ، وهو  
من أهل تونس ، فقدم على يزيد ، فقبل منهم ، وعفا عما كان من زلتهم .

(١) . فرقة من طائفة الزيدية .

قال خالد بن أبي عمران . ودعاني يزيد خالياً فقال : أي رجل محمد بن أوس ؟

فقلت : رجل من أهل الدين والفضل ، معروف بالفتة .

قال : فما كان بها قرشي ؟

قلت : بلي ، المغيرة بن أبي بردة .

قال : قد عرفته ، فما له لم يقيم ؟

قلت : أبي ذلك ، وأحب العزلة .

فسكت .

واتهم الناس عبد الله بن موسى بن نصير أن يكون هو الذي عمل في قتل يزيد ابن أبي مسلم ، فولى يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان السكلي إفريقية ، وذلك في سنة ثنتين ومائة ، وكان عامه على مصر .

فخرج إلى إفريقية ، واستخلف على مصر أخاه حفظة ؛ فلما دخل إفريقية بلغه أن عبد الله بن موسى هو الذي دس لقتل يزيد بن أبي مسلم ، وشهد على ذلك خالد بن أبي حبيب القرشي وغيره .

فكتب بشر إلى يزيد بن عبد الملك ، فكتب يزيد إلى بشر بن أبي صفوان يأمره بقتل عبد الله بن موسى بن نصير .

وهم بشر بتأخيره أياما ، فقال خالد بن أبي حبيب ومحمد بن أبي صفوان : عجل بقتله من قبل أن تأتيه عافيته من أمير المؤمنين .

وكانت أم عبد الله ابنة موسى بن نصير تحت الربيع ، صاحب خاتم يزيد ، حكلم يزيد ، فأمر بعافيته ، وجعلت أخته للرسول ثلاثة آلاف دينار إن هو أدركه . وأمر بشر بقتل عبد الله بن موسى ، فقتل ، وقدم الرسول بعافيته بعد أن قتله في ذلك اليوم ، وبعث برأسه مع سليمان بن وعلة الصميني إلى يزيد ، فقصه .

ثم وقد بشر بن أبي صفوان إلى يزيد بهدايا كان أعداها له ، حتى إذا كان ببعض الطريق لقيته وفاة يزيد ؛ وكانت وفاته كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث ابن سعد ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقدم بشر بتلك الهدايا على هشام بن عبد الملك ، فردّه على إفريقية ، فقدمها ، وتنجيع أموال موسى بن نصير ، وغدّب عماله ، وولّى على الأندلس عَنبَسَةَ بن مَسْخَمٍ السكليّ ، وعزل عنها الحُرّ بن عبد الرحمن القيسيّ ، وقد كان بشر غزا البحر من إفريقية ، فأصابهم الهول ، فهلك لذلك من جيشه خلق كثير ، ثم توفى بشر بن صفوان من مرض ، يقال له الدُّبَيْلَةُ <sup>(١)</sup> في شوال سنة تسع ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : نُزِعَ بشر بن أبي صفوان عن إفريقية في سنة خمس ومائة ، ورُدَّ إليها في سنة ست ومائة ، ومات في سنة تسع ومائة .

واستخلف بشر بن صفوان حين توفى على إفريقية نُعْمَانُ بن إِقْرِطِ السكليّ فمزملة هشام ، وولّى عبيدة بن عبد الرحمن القيسيّ على إفريقية في صفر سنة عشر ومائة .

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال : وولّى عبيدة بن عبد الرحمن إفريقية في الحرّم سنة عشر ومائة ؛ فلما قدم عبيدة إفريقية وجه المستنير بن الحُجُبَابِ اسارَ شَيْ غازیاً إلى صقلية ، فأصابهم ريح ، ففرّقهم ، ووقع المركب الذي كان فيه المستنير إلى ساحل أطرابُلس .

فكتب عبيدة بن عبد الرحمن إلى عامله على أطرابلس يزيد بن مسلم السكندی يأمره أن يشده وثاقاً ، ويبعث معه ثقة ، فبعث به وثاقاً ، فلما قدم على عبيدة جلده

(١) جاء في لسان العرب أن الدبيلة خراج ودمل كبير يظهر في الجوف ، فيقتل صاحبه .

جلداً وجيماً ، وطاف به القيروان على أتان ، ثم جعل يضر به في كل جمعة مرة حتى أبلغ إليه .

وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتى نزل عليه الشتاء ، واشتدت أمواج البحر وعواصفه ، فلم يزل محبوساً عنده .

وكان عبيدة قد ولي عيد الرحمن بن عبد الله التقي على الأندلس ، وكان رجلاً صالحاً ، ففزا عيد الرحمن إفريقية ، وهم أقاصى عدو الأندلس ، ففتم غنائم كثيرة وظفر بهم ، وكان فيما أصاب رجل من ذهب مفضضة بالدر والياقوت والزبرجد ، فأمر بهافكسرت ، ثم أخرج الخمس ، وقسم سائر ذلك في المسلمين الذين كانوا معه .

فبلغ ذلك عبيدة ، فغضب غضباً شديداً ، فكتب إليه كتاباً يتواعده فيه . فكتب إليه عيد الرحمن : إن السموات والأرض لو كانت رتقا لجعل الرحمن للمتعين منها خرجاً .

ثم خرج إليهم غازياً ، فاستشهد وعامة أصحابه ؛ وكان قتله فيما حدثنا يحيى عن الليث في سنة خمس عشرة ومائة .

فولي عبيدة على الأندلس بعده عبد الملك بن قطن ، ثم خرج عبيدة إلى هشام بن عبد الملك ، وخرج معه بهديا ، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان قدوم عبيدة بن عبد الرحمن من إفريقية سنة خمس عشرة ومائة ، وفيها أمر ابن قطن على الأندلس ، وكان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجوار المتخيرة سبعائة جارية ، وغير ذلك من الخيصة والخليل والدواب والذهب والفضة والآنية .

واستخلف على إفريقية حين خرج عقبة بن قدامة التَّجِيبِيّ ، فقدم على هشام  
بهدياه ، واستعفاه فأعفاه ، وكتب إلى عبيد الله بن الحبحاب ، وهو عامله على  
مصر يأمره بالمسير إلى إفريقية ، وولّاه إياها ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة  
ست عشر ومائة ؛ فقدم عبد الله بن الحبحاب إفريقية ، فأخرج المستنير من السجن ،  
وولّاه تونس ، واستعمل ابنه إسماعيل بن عبيد الله على السُّوس ، واستخلف ابنه  
القاسم بن عبيد الله على مصر ، واستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج وعزل  
عبد الملك بن قطن .

ويقال : بل كان والي على الأندلس يومئذ عنبسة بن سحيم الكلبي ، فعزله  
ابن الحبحاب وولّى عقبة بن الحجاج ، فهلك عقبة بن الحجاج بالأندلس ، فردّ  
عبيد الله عليها عبد الملك بن قطن .

وعزّى عبيد الله حبيب بن أبي عبيدة الفهرى السُّوسَ وأرض السودان ،  
وظفر بهم ظفراً لم ير مثله ، وأصاب ما شاء من ذهب ، وكان فيما أصاب جارية أو  
جارتين من جنس تسميه البربر إيجان ، ليس لكل واحدة منهن إلا ندى  
واحد<sup>(١)</sup> ، ثم غزاه أيضاً البحر ، ثم انصرف .

وانتقضت البربر على عبيد الله بن الحبحاب بطنجة ، فقتلوا عامله عمر بن عبد الله  
المُرَادِيّ ، وكان الذي تولى ذلك ميسرة القنبر البربري ثم المذغريّ ، وهو الذي  
قام بأمر البربر ، وادعى الخلافة ، وتسمى بها ، وبويع عليها ، ثم استعمل ميسرة  
على طنجة عبد الأعلى بن جريج الأفريقي ، وكان أصله روميّاً ، وهو مولّى لابن  
نصير ، ثم سار إلى السُّوس وعليها إسماعيل بن عبيد الله فقتله ، وذلك أول فتنة  
البربر بأرض إفريقية .

فوجه عبيد الله بن الحبحاب خالد بن أبي حبيب النهريّ إلى البربر بطنجة ، ومعه

وجره أهل إفريقية من قریش والأنصار وغيرهم ، فُقِتِل خالد وأصحابه ، لم ينج منهم أحد ، فسميت تلك الغزوة غزوة الأشراف .

ويقال إن خالداً لقي ميسرة دون طنجة ، فقتل ومن معه ، ثم انصرف ميسرة إلى طنجة ، فأنسكت عليه البربر سيرة وتغزروا عما كانوا يابعوه عليه ، فقتلوه ، وولوا أمرهم عبد الملك بن قطن الحارثي .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : كان بين ميسرة الفقير وأهل إفريقية<sup>(١)</sup> . . . وقتل إسماعيل بن عبيد الله وخالد بن أبي حبيب في سنة ثلاث وعشرين ومائة ، فوجه إليهم ابن الحبحاب حبيب بن أبي عبيدة ، فلما بلغ تلمسين أخذ موسى بن أبي خالد مولى لمعاوية بن حُذَيْج ، وكان على تلمسين ، وقد اجتمع إليه من تمسك بالطاعة ، فاتهمه حبيب أن يكون له هوى ، أو قد دُس للفتنة ، فقطع يده ورجله ، وكان مقبياً بتلمسين في جيشه ، وقتل عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك ، وذلك في جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة . ثم وجه هشام على إفريقية كلثوم بن عياض القينسي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقدم بَلَجَ بن بشر أماته ، فلما قدم كلثوم إفريقية أمر أهل إفريقية بالجهاز والخروج معه إلى البربر ، وقطع على أهل أطرابلس بَعَثًا ، فخرج في عدد كثير ، واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عُمَيَّة الغفاري ، وعلى الحرب مسلمة بن سودة القرشي ، فشار عليه بعد خروج كلثوم ، يريد بربر طنجة ، عكاشة ابن أيوب الفزاري من ناحية قايس ، وهو صُبْرِي<sup>(٢)</sup> ، وأرسل أخاه له ، فقدم سَبْرَت ، فجمع بها زَنَاتة ، وحصر أهل سوق سَبْرَت في مسجدهم ، وعليهم حبيب بن ميمون . وبلغ الخبر صفوان بن أبي مالك وهو أمير على أطرابلس ، فخرج بهم ، فوقع على أخى الفزاري وهو محاصر أهل سَبْرَت ، فقاتلهم ، فانهزم الفزاري ، وقتل أصحابه من زَنَاتة وغيرهم ، وهرب إلى أخيه بقايس .

(١) يياض في الأصل قدر كلتين .

(٢) الصفرية : قوم من الحروبية ، ينسبون إلى زياد بن الأضر ، أو لى صفره ألوانهم ، أو لى خلوصهم من الدين .

وخرج مسلة بن سودة في أهل القيروان إلى عكاشة بن أيوب بقابس ، فقاتلهم ، فانهزم مسلة ، وقتل عامة من خرج معه ، ولحق بالقيروان ، وتحصن . عامة من كان مع مسلة من أهل القيروان ، وعليهم سعيد بن بجرمة الغساني .

ويقال إن كلثوم بن عياض حين قدم من عند هشام خلف القيروان ، ولم ينزل به ولم يدخله ، ونزل سيدييه ، وهي من مدينة القيروان على يوم ، فأفطر فيها ، وكتب إلى حبيب بن أبي عبيدة ألا يفارق عسكره حتى يقدم عليه ، ثم شخص كلثوم غازيا حتى قدم على حبيب ، ثم رحلا جميعا بمن معها إلى طنجة ، وكان كلثوم حين خرج إلى البربر قدّم بلّج بن بشر القيسي على مقدمته في الخليل .

فلما قدم على حبيب رفضه وأهان منزلته ، ثم قدم كلثوم فلقاه حبيب ، فمهاون به أيضاً ، ثم خطب كلثوم الناس على ديدان له <sup>(١)</sup> ، فطعن في حبيب وشتمه وأهل بيته ، وكان عبد الرحمن بن حبيب مع أبيه حبيب ، ثم نفذ كلثوم وحبيب ، فلما انتهى إلى مطالبه من أرض طنجة تلقته البربر بمحورهم ، وعليهم خالد بن حميد الزناني ثم الهنوزي ، عراة متجردين ، ليس عليهم إلا السراويلات ، وكانوا صفرية ، وجاءوا جرّدين فأشار حبيب بن أبي عبيدة على كلثوم أن يقاتلهم ، الرجال بالرجالة ، والخليل بالخليل .

فقال له كلثوم : ما أغنانا عن رأيك يا ابن أم حبيب .

فوجه بلّج بن بشر على الخليل ليدوسهم بها ، وكانت الخليل أوثق في نفس كلثوم من الرجالة ، وأن بلّجاً أسرى ليلة حتى واقعهم عند الصبح ، واستقبلوه عراة متجردين ، فعملت عليهم الخليل ، فصاحوا وولّوا ورموا بالأوصاف <sup>(٢)</sup> ، فانهزم بلّج جريحاً ، وتساقطت الخيول على كلثوم ، وقد تأهب وعي أصحابه ، فأرسل إلى

(١) هو البرج المنقل ، واللفظ فارسي .

(٢) المراد الخيل الراكضة ، ووصف البعير أسرع ، وأوضحته أوحفته في الركض .

حبيب بن أبى عبيدة فقال : إن أمير المؤمنين أمرنى أن أولئك القتال ، وأغيد لك على الناس .

فقال حبيب : قد فات الأمر .

وزحفت رجاله البربر على إثر الخيل حتى خالطوا كلثوما وأصحابه ، فأقسم حبيب على ابنه عبد الرحمن ألا ينزل راجلا ، وأن يلزم بَلَجًا فيسكون معه أسفًا على بَلَج ، فإنه مقتول .

وهلك كلثوم وحبيب ومن معهما ، وانهزم الناس إلى إفريقية ، وكان قتل كلثوم في سنة ثلاث وعشرين ومائة .

حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : قُتِل كلثوم في سنة أربع وعشرين ومائة ، قتلهم مَيْسرة ، وانهزم بلج بن بشر وتعلبة الجذامي ، وبقية من أهل الشام إلى الأندلس ، فاتبعهم أبو يوسف المؤازى ، وكان طاغية من طواغى البربر ، فأدركهم ، فقتلهم ، فقتل أبو يوسف ، وانهزم أصحابه ، ومضى بلج وتعلبة إلى الأندلس .

وكان كلثوم قد كتب إلى أهل الأندلس وعليها عبد الملك بن قطن الفهرى ، يأمرهم بإمداده والخروج إليه ، فوافاهم بلج وقد وقعوا إلى مجاز الخضراء ، وتقدم عبد الرحمن بن حبيب أمام بلج إلى الأندلس ، فقدمها ، وأمر عبد الملك بن قطن ألا يسمع لبَلَج ولا يطعمه .

ثم قدم بلج فأقام بالجزيرة ، وكتب إلى عبد الملك بن قطن يعلمه أنه خليفة كلثوم ، وشهد له بذلك تعلبة الجذامي وأصحابه ، وكان الرسول فيما بينهما قاضى الأندلس .

فسلم عبد الملك بن قطن الولاية لبَلَج على كره من عبد الرحمن بن حبيب ، فخرج عبد الرحمن من قرطبة كارها لولاية بلج .



ثم إن بَلَجًا لما قدم قرطبة حبس عبد الملك بن قطن في السجن ، وثار عبد الرحمن بن حبيب ومعه أمتية بن عبد الملك بن قطن ، فجما لقتال بَلَج .  
فأخرج بَلَج عبد الملك بن قطن من السجن وقال له : قُمْ في المسجد فأخبر الناس أن كلنوما كتب إليك أني خليفة .

فقام عبد الملك فقال : أيها الناس ، إني والى كلنوم ، وإني محبوس بغير حق .  
فضرب بَلَج عنقه .

ثم قدم عبد الرحمن بن حبيب بمجموع ، فخرج إليه بلج ومن معه من أهل الشام ، وكان بينهم نهر ، فلما كان الليل عبر عبد الرحمن إلى قرطبة ، وخليفة بَلَج بها القاضي . وقد كان القاضي أشبه بدم عبد الملك بن قطن .  
فأخذ عبد الرحمن بن حبيب فسمّل عينيه ، وقطع يديه ورجليه ، وضرب عنقه ، وصلبه على شجرة ، وجعل على جثته رأس خنزير ، وبَلَج لا يشعر .

ثم خرج من قرطبة ، فقاتله بَلَج ، فانهزم عبد الرحمن بن حبيب ، ثم جمع جمعا آخر ، فقتل بَلَج ومن معه . ويقال إن بَلَجًا لم يقتل ، وإنما مات موتا .  
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال : مات بَلَج في سنة خمس وعشرين ومائة بعد قتله ابن قطن بشهر .

ثم افترق أهل الأندلس على أربعة أمراء حتى أرسل اليهم حنظلة بن صفوان السكلي بأبي الخطار السكلي ، فجبعهم ، وسأذ كر ذلك في موضعه إن شاء الله .  
وقد كان كلنوم بن عياض كتب إلى عامله على أطرا بلس ، صفوان بن أبي مالك يستمده ، فخرج إليه بأهل أطرا بلس حتى قدم قابس<sup>(١)</sup> ، فأنهى إليه خبر كلنوم ومن معه ، فانصرف .

---

(١) قابس : مدينة في تونس ، تجاورها الواحات الخصبة العامرة ، وقبأ أسس الفينيقيون في موضعها مدينة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وقد كان خرج إليه سعيد بن بَجْرَة ومن تحصّن معه من أصحاب مسلمة بن سَوَادَة الجذامي ، وتنحى الفَزَارِيّ إلى نهر يقال له الجَلَّة على اثني عشر ميلاً من قابس ؛ فلما رجع صفوان بن أبي مالك تحصن سعيد بن بَجْرَة وأصحابه بقابس .  
وخرج عبد الرحمن بن عَقْبَة الفِفَارِيّ في أهل القيروان إلى الفَزَارِيّ ، فلقية فيما بين قابس وبين القيروان ، فانهزم الفَزَارِيّ ، وقتل عامة أصحابه .

ثم وجه هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان في صفر سنة أربع وعشرين ومائة ، وكان عامله على مصر ، فلما قدم إفريقية كتب إليه أهل الأندلس وأهل الشام وغيرهم ، يسألونه أن يبعث إليهم والياً ، فبعث أبا الخطاب .

فلما قدما أَدَوَا إليه الطاعة ، فوليا ، ودانت له ، وفرق جمع بَلَج بن بشر وعبد الرحمن بن حبيب ، وأخرج ثعلبة بن سلامة في سفينة إلى إفريقية ، ثم أخرج بعده عبد الرحمن بن حبيب ، وأخرج مع ثعلبة أهل الشام ، فكانوا بالقيروان مع حنظلة .

ثم إن حنظلة بن صفوان أخرج عبد الرحمن بن عَقْبَة الفِفَارِيّ إلى عكاشة ابن أيوب الفَزَارِيّ ، وقد جمع جميعاً بعد انهزامه من قابس ، فلقية بمن معه ، فانهزم الفَزَارِيّ ، وقتل عامة أصحابه .

ثم جمع أيضاً ، فلقية عبد الرحمن بن عَقْبَة ، فهزمه ، ثم جمع جميعاً آخر ، وقدم عبد الواحد بن يزيد الهواري ثم اللَّذَهْمِيّ ، وكان صُفْرِيّاً مجامعاً للفَزَارِيّ على قتال حنظلة بن صفوان ، فخرج إليها عبد الرحمن بن عَقْبَة في أهل إفريقية ، فقتل عبد الرحمن بن عَقْبَة وأصحابه .

وكان مقتل عبد الرحمن بن عَقْبَة كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد في سنة أربع وعشرين ومائة .

ثم مضى عبد الواحد بن يزيد فأخذ تونس واستولى عليها ، وسُئِلَ عليه

بالخلافة ، ثم تقدم إلى القيروان ، وانتبذ الفزاري بمسكره ناحية ، وكلاهما يريد  
القيروان ، يقبدران إليها ، أيهما يسبق صاحبه فيغنم .

فلما رأى حفظة ماغشيه من جموع البربر مع الفزاري وعبد الرحمن احتفر  
على القيروان خندقا ، وزحف إليهم عبد الواحد ، وكتب إلى حفظة ، يأمره أن يُخَيِّلَ  
له القيروان ومن فيه ، فأسقط في أيديهم وظنوا أنهم سَيَسْبُونُ ، حتى إن كان  
حفظة ليُبعث إلى الرسول منهم لِيَأْتِيَهُ بالخبر فإيخرج إلى مسيرة ثلاثة أميال إلا  
بخمسين دينارا .

فلما غشيه عبد الواحد ، وكان القيروان على شبيهة بمرحلة ، بكان يقال له  
الأصنام ، ونزل الفزاري من القيروان على ستة أميال ، وكان مع عبد الواحد أبو  
قُرَّةَ العقيلي ، وكان على مقدمته ، فكتب حفظة إلى الفزاري كتابا يرغبه فيه ،  
وَيُغْنِيهِ رجاء ألا يجتمعا عليه ، فلا يقوى عليهما ، وخاف اجتماعهما ، وكان عكاشة  
أقرب إلى حفظة .

فصَبَّحَ عبد الواحد الأصنام بجموعه ، وزحف حفظة إلى الفزاري لقربه منه ،  
وخرج معهم بأهل القيروان ، فخرج قوم آيسون من الحياة للذي كانوا يتخوفونه من  
سبي الذراري وذهاب النساء والأموال ، وجعل عليهم محمد بن عمرو بن عقبة ،  
فلقبهم بالأصنام ، فهزم الله عبد الواحد وجمعه ، وقتل ومن معه قتلا ما يُدْرَى  
ما هو ، وهرب من هرب منهم .

فلما فتح لحفظة عاجل عكاشة الفزاري من ليلته ، فقاتله بالقرن ، ولم يكن  
بلغ عكاشة هزيمة عبد الواحد ، فهزمه الله ومن معه من أصحابه ، وهرب عكاشة  
حتى انتهى إلى بعض نواحي إفريقية ، فأخذه قوم من البربر أسيرا حتى أتوا به  
إلى حفظة ، فقتله .

وكان عبد الواحد ومن معه صُفْرِيَّةً ، يستحلون سبي النساء ؛ وكان قتل عكاشة  
وعبد الواحد كما حدثنا يحيى بن بكير عن الليث سنة خمس وعشرين ومائة .

وقد كان حفظة عند ما كان من حلول عبد الواحد بالأصنام ، وعكاشة بالقرن ، وقرّيا من القيروان كتب إلى معاوية بن صفوان عامله على أطرابلس ، يأمره بالخروج إليه بأهل أطرابلس ، فخرج حتى انتهى إلى قابس ، قبله ما كان من هزيمة عبد الواحد وعكاشة ، فكتب إليه حفظة ، في برز خرجوا بنفزاوة<sup>(١)</sup> ، وسبوا أهل ذمتها ، أن امض إليهم .

فسار إليه بن معه ، فقاتلهم ، فقتل معاوية بن صفوان ، وقتل الصفرية ، واستنقذ ما كانوا أصابوا من أهل الذمة ، فبعث حفظة إلى جيش معاوية ذلك زيد بن عمرو السكبي ، فأنصرف بهم إلى أطرابلس .

وكان عبد الرحمن بن حبيب بتونس ، وكان ثعلبة بن سلامة الجذامي مع حفظة ، فلما بلغ من إفريقية من أهل الشام قتل الوليد بن يزيد خرج عامة قوادهم ، وخرج ثعلبة بن سلامة إلى المشرق .

وكان قتل الوليد كاحداثنا يحيى بن بكير عن الليث بن سعد يوم الخميس لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

فخرج عبد الرحمن بن حبيب بتونس ، وجمع لقتال حفظة بن صفوان وإخراجه من إفريقية ؛ فلما بلغ ذلك حفظة أرسل وجوه إفريقية إلى عبد الرحمن يدعوهم إلى الدرة والكف عن الفتنة ، فساروا ، فلما كانوا ببعض الطريق بلغتهم ولاية مروان بن محمد ، فأرادوا الانصراف .

وبلغ عبد الرحمن أن حفظة قد أرسل إليه رسلا ، وكانوا خمسين رجلا ، وأنهم يريدون الانصراف ، فأرسل إليهم خيلا ، فأصرفهم إليه ، ووجد عبد الرحمن عليهم نحر وجههم إليه ، وكانوا قد كانوا قبل ذلك ميرا من حفظة ؛ فلما بلغتهم ولاية مروان نزعوا عن ذلك ، فبعث بهم إلى تونس في الحديد .

وكتب عبد الرحمن إلى حفظة أن يحلّ له القيروان وأن يخرج منها ، وأجله

---

(١) قزاوة : مدينة بالجزائر في شمال إفريقية ، مشهورة بنخلها وثمارها ، ويطلق اسم نراوة في الجزائر على مجموعة من الواحات ، فيها الآبار الإرتوازية .

ثلاثة أيام ، وكتب إليه صاحب بيت المال ، ألا يعطيه ديناراً ولا درهما إلا ما حلف له من أرزاقه .

فلما قرأ حفظاً الكتاب هم بقتله ، ثم حجزه عنه الورع . وكان ورعاً ؛ فخرج بمن خفّ معه من أصحابه من أهل الشام ؛ وذلك في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة ؛ ودخل عبد الرحمن بن حبيب القيروان في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

ثم بعث عبد الرحمن أخاه ابن حبيب عاملاً على أطرابلس ؛ فأخذ عبدالله بن مسعود النجيبى ؛ وكان إياضياً<sup>(١)</sup> ورئيساً فيهم ؛ فضرب عنقه ، واجتعمت الإياضية بأطرابلس ؛ فعزل عبد الرحمن أخاه ، وولى حميد بن عبد الله العكبي .

وكان على الإياضية حين اجتمعت عبد الجبار بن قيس المرادى ، ومعه الحارث بن تليد الحضرمي ، فحاصروا حميد بن عبدالله في بعض قرى أطرابلس ، ووقع الوباء في أصحابه ؛ فخرج بهمد وأمان .

فلما خرجوا أخذ عبد الجبار بن قيس نصير بن راشد مولى الأنصار فقتله ، وكان من أصحاب حميد ، وكانوا يطلبونه بدم عبدالله بن مسعود التجيبى المقتول ، واستولى عبد الجبار على زناتة وأرضها .

فكتب عبد الرحمن بن حبيب إلى يزيد بن صفوان المعافري بولاية أطرابلس ، ووجه مجاهد بن مسلم المواري يستألف الناس ، ويقطع عن عبد الجبار هواره وغيرهم .

فأقام مجاهد في هواره أشهراً ، ثم طرده ، فلتحق يزيد بن صفوان بأطرابلس ، فوجه عبد الرحمن بن حبيب محمد بن مقرون في خيل ، وكتب إلى يزيد بن صفوان بالخروج معه ، فخرجوا ، فلقبهم عبد الرحمن بن قيس والحارس بن تليد بـكان من أرض هواره ، فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مقرون ، وهزم مجاهد بن مسلم إلى أرض هواره .

(١) الإياضية فرقة من الموارج أصحاب عبد الله بن إياض التميمي ، ولهم هوى ينسبون إليه .

فقتل عبد الرحمن بن حبيب واجتمع إليه جمع كثير ، فزحف بهم إلى عبد الجبار والحارث بن تليد ، فلقبهم بأرض زناتة ، فانهزم عمرو بن عثمان وأصحابه ، واستولى عبد الجبار والحارث على أطرابلس كلها .

ثم خرج عمرو بن عثمان إلى دَغُوغَا ، ومعه مجاهد بن مسلم ، واتبعه الحارث ابن تليد ، فوجه عمرو من دَغُوغَا إلى أرض الصحراء ، فأدركه الحارث ، فتقدم عمرو إلى سُرْت ، فأدركته خيل الحارث ، فقتلوا نَفْرًا من أصحابه ، ونجا عمرو على فرسه جريحا ، واحتوى الحارث على عسكره ، واستفحل أمر عبد الجبار والحارث ؛ ثم اختلف أمرهما ، وتفاقم ما بينهما ، فاقتتلا ، فقتل عبد الجبار والحارث جميعا .

فولى البربر على أنفسهم إسماعيل بن زيادة النّفُوسى ، فعظم شأنه وكثر بيعه ، فخرج إليه عبد الرحمن بن حبيب حتى إذا كان بقابس قدّم ابن عمه شعيب بن عثمان فى خيل ، فلقبه إسماعيل ، فقتل إسماعيل وأصحابه ، وأسير من البربر أسارى كثيرة .

وكان عبد الرحمن مقبلا فى عسكره ولم يشهد الواقعة ، فنهض حتى فتح له إلى سوق أطرابلس ومعه الأسارى ، وكتب إلى عمرو بن عثمان ، فقدم عليه من أرض سُرْت ، وقدّم الأسارى ، فضرب أعناقهم وصلبهم ، واستعمل على أطرابلس عمرو بن سُويد المرادى ، وأمره أن يُنْقَلَ .

---

## فهرس الموضوعات

| صفحة | الموضوع                          | صفحة | الموضوع                        |
|------|----------------------------------|------|--------------------------------|
| ٢    | وصية رسول الله ﷺ بالقطب .        | ١٩٥  | خيسل مصر .                     |
| ٦    | فضائل مصر .                      | ١٩٨  | مقابلة عمر بن الخطاب العامال . |
| ٩    | سكنى القطب بمصر .                | ٢٠٢  | ذكر النيل .                    |
| ١٤   | إبراهيم الخليل في مصر .          | ٢٠٤  | ذكر الجزيرة .                  |
| ١٨   | الداهقة بمصر ، وأمر يوسف .       | ٢١١  | ذكر المقطم .                   |
| ٢٠   | استنباط القيوم .                 | ٢١٣  | استنباط عمر بن الخطاب عمرو     |
| ٢٤   | دخول أهل يوسف بمصر، ووفاته يعقوب |      | ابن العاص في الحراج .          |
| ٢٨   | وفاة يوسف التي .                 | ٢١٧  | نهى الجند عن الزرع .           |
| ٢٩   | ملوك مصر بعد يوسف .              | ٢١٨  | حفر خليج أمير المؤمنين .       |
| ٣١   | نقل عظام يوسف إلى الشام .        | ٢٢٧  | فتح القيوم .                   |
| ٣٥   | خروج بني إسرائيل من مصر .        | ٢٢٩  | (فتح مرقه) .                   |
| ٤٠   | لللكة دلوكة .                    | ٢٣٠  | (ذكر أطراباس) .                |
| ٤١   | عمل البرابي                      | ٢٣٢  | غزو إفريقية .                  |
| ٤٢   | ملوك مصر بعد دلوكة .             | ٢٣٣  | عزل عمرو بن العاص عن مصر .     |
| ٤٦   | دخول تحت مصر مصر .               | ٢٣٥  | انتفاض الإسكندرنية .           |
| ٥٠   | ظهور الروم وفارس على مصر .       | ٢٣٨  | خراب خربة وردان .              |
| ٥٢   | اكتشاف فارس عن الروم .           | ٢٣٩  | فتح الاسكندرية الثاني .        |
| ٥٦   | بناء الاسكندرية .                | ٢٤٠  | فقد عمرو على عامر .            |
| ٦٤   | كتاب رسول الله ﷺ إلى القوقس .    | ٢٤٢  | وفاة عمرو بن العاص .           |
| ٧٦   | سبب دخول عمرو بن العاص مصر .     | ٢٤٣  | وصية عمرو بن العاص .           |
| ٨٠   | فتح مصر :                        | ٢٤٦  | فتح إفريقية .                  |
| ١٠٦  | فتح الاسكندرية الأول .           | ٢٥٢  | فتح بلاد التوبة .              |
| ١٢٣  | القول بأن مصر فتحت بصالح .       | ٢٥٥  | ذكر ذى الصوارى .               |
| ١٢٩  | " " " " " " " " " " " "          | ٢٥٨  | رباط الاسكندرية .              |
| ١٣٢  | ذكر الخطط .                      | ٢٦٠  | غزاة المغرب .                  |
| ١٤١  | الخطط حول جامع عمرو .            | ٢٦٠  | معوية بن حديج .                |
| ١٧٥  | خطط الجزيرة .                    | ٢٦٢  | عقبه بن نافع .                 |
| ١٧٧  | أثاث الاسكندرية .                | ٢٦٥  | أبو المهاجر ، دينار .          |
| ١٧٨  | الريادة في مسجد عمرو .           | ٢٦٧  | مقتل عقبه بن نافع .            |
| ١٨١  | القلائص .                        | ٢٦٩  | حصان بن النعمان .              |
| ١٨٩  | خروج عمرو إلى الريف .            | ٢٧٢  | مقتل زهير بن قيس .             |
| ١٨٩  | خطبة عمرو بن العاص .             | ٢٧٤  | موسى بن نصير .                 |
| ١٩٢  | مرتبه الجند .                    | ٢٧٥  | فتح الأندلس .                  |

رقم الإيداع: ٩٩/٧٥٧٥

شركة الأمل للطباعة والنشر  
٣٩٠٤٠٩٦: ج